



153

الكويت والتنمية الثقافية العربية

تأليف:

د. محمد حسن عبد الله



X¹uJ « , »«œü«Ë ÊuMH «Ë W UI¦K wMÞu «

صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923 ـ 1990

153

الكويت والتنمية الثقافية العربية

تأليف

د. محمد حسن عبد الله



المحتوى

إلى القارئ العربي في كل مكان..

غياب قهري أستمر عاما كاملا، توقفنا فيه عن إصدار كتابك الشهري «عالم المعرفة» الذي كان يصلك في مطلع كل شهر منذ «مائة وأربعة وخمسين شهرا» بلا تأخر أو انقطاع، يصلك حيثما تكون من أرض بلاد العرب.

وعندما كان عدد «أغسطس 1990» يشحن بالطائرات من كويت العرب، إذا بمئات الألوف من جيوش «طاغية بغداد» محمولة بمئات الدبابات والعربات والطائرات والزوارق والبوارج الحربية تصب جام عنفها المجنون على الكويت الغارقة في المحبة والسلام والعمل من أجل الإنسان، لتحيلها خرابا ودمارا، وتحيل أهلها إلى مشردين أو معذبين مقهورين ومنتهكين في أموالهم وأعراضهم وبيوتهم.

إنه طوفان مدمر، لم تحكمه مبادئ أو قيم إنسانية، و لم تردعه روابط الدم والدين والثقافة الواحدة،. فدمر ما استطاع تدميره، واحرق ما لم يحرق مثله هوس وجيوشه الغازية الجاهلة، فأغلق دور العلم، ومنع تداول الثقافة وألغى الصحافة، ومنع نشر الكتب وخلع المطابع لينقلها إلى العراق، وأوقف الإذاعة والتلفاز، وصادر حرية خيب الجمعة في مساجد الله، وكمم الأفواه، بل وقطع الألسن أحيانا، وصادر المعرفة بكل أنواعها، حتى حرية الصلاة صودرت في بعض مناطق الكويت، ومنع

الناس من دخول المساجد.

كل ذلك بدافع الجشع وحب المال والجاه، وجنون السيطرة الغاشمة، ومنبع هذا إنما هو الجهل الفاضح بقوانين العالم الذي نعيش، وتخلف عن فهم ما يجرى حولنا في دنيا البشر.

ومع كل ما حدث للكويت وشعبها من آلام وجراح في العقل والوجدان، آلا أننا نعود إليك أيها القارئ العزيز، بعدد«سبتمبر 1991» وبعد انقطاع عام كامل عن الصدور، وسيكون هدا الحدث-الفاجعة علامة فارقة في تاريخ الأمة العربية، وستسجله كتب التاريخ في عداد أعوام الفواجع والكوارث التي ألمت بهذه الأمة، وما أكثر ما ابتليت به في تاريخها الحديث من جراء جرائم المغامرين والجهلة من أبنائها أمثال صدام حسين، ممن عرضوا مصالحها الحيوية للضياع والدمار، ومزقوا تضامنها، وحفروا الفرقة بين أبنائها.

لكن تبقى «الكويت.. الدولة والشعب» تواصل الطريق، وهى منشغلة بتضميد جراحاتها العميقة بين أبنائها في الجسد والنفس، للعمل لما فيه مصلحة هذه الأمة، وتقريب التفاهم والمحبة بين أبنائها من خلال بناء الثقافة الأصيلة، لكي تتمكن إن شاء الله من العودة إلى طريق الخير لصالح مستقبل أبنائها ودورهم المنتظر في المساهمة في بناء الحضارة الإنسانية المعاصرة.

رئاسة التحرير

تقديم

«أنني لا أعرف الكويت إلا بوصفها منبعا للثقافة». هكذا قال لي شاب عربي لم يزر الكويت ولا يعرف عنها إلا أقل القليل، غير أن صلته بها تتوطد من خلال تلك الأعمال الثقافية التي ينتظرها في مواسمها بلهفة، والتي تكاد تكون مصدر معرفته الوحيد بهذا البلد. أمثال هذا الشاب في العالم العربي عشرات الألوف، ومن المؤكد أنهم جميعا قد شعروا طوال ذلك العام المشئوم الذي بدأ بالثاني من أغسطس 1990، أنهم افتقدوا ذلك الزاد الثقافي الخصب الذي كانت تمدهم به تلك المؤسسات الثقافية الكويتية التي اكتسبت، في طول العالم العربي وعرضه، ثقة الإنسان المثقف أو المتطلع إلى الثقافة. ففي تلك المجلات والدوريات وسلاسل الكتب كان الإنسان العربي يجد أقرب النماذج إلى تحقيق هدف «المعرفة لأجل المعرفة»، وهو في بلادنا العربية هدف عزيز المنال، بعد أن اعتدنا طويلا ألا نتلقى سوى أنواع المعرفة التي تستهدف الشهرة أو الدعاية أو غسيل المخ.

وحين يرى مثل هذا الشاب سلسلة «عالم المعرفة» تعود بعد عام واحد من التوقف القسري، فسوف يكون اليوم الذي يقلب فيه صفحات عددها الأول بعد الغزو، أحد أيام أعياده. ولا بد أن يشعر بالزهو حين يرى بلدا يستمد مصدر دخله الوحيد من النفط، يعود إلى الإنفاق على مشروعات ثقافية تستهدف نفع العالم العربي كله، وهو لم يطفئ بعد

نصف آبار البترول آلتي أحرقها المحتل الغاصب، ولم يبدأ في إنتاج مصدر دخله بالقدر الذي يفي بحاجاته الضرورية. وسوف يدرك عندئذ أن عودة الثقافة النابعة من الكويت، وعودة الحياة النابضة إلى الكويت، هما مسميان لشيء واحد.

عام كامل توقفت فيه سلسلة «عالم المعرفة» رغما عنها، بعد أن صدر آخر عدد منها بحمل عنوانا تنبؤيا: «التلوث مشكلة العصر». كان ذلك بالفعل عام التلوث. تلوث سياسي وعسكري أصابنا منذ اللحظة آلتي فكر فيها بلد عربي في أن يحل مشكلته مع بلد آخر بالغزو، وتلوث أخلاقي تمثل في تلك الممارسات الهمجية آلتي تفوق كل ما يخطر ببال الخيال المريض، وتلوث مادي في عمليات التلغيم والهدم والتخريب، ثم الإحراق الكامل لأشد المواد قابلية للاحتراق، ولثروة عربية آثر الغزاة أن يبددوها في الهواء ما داموا قد وجدوا أنفسهم عاجزين عن الاستحواذ عليها..

غير أن أفدح أشكال التلوث آلتي لحف بنا خلال هذا العام المشئوم، والتي ستظل تشوه وجه حياتنا بعد وقت طويل من انتهاء آثار التلوث السياسي والأخلاقي والمادي، هو التلوث الفكري. فقد انشقت تلك الأرض الطيبة التي سقاها رواد الحضارة العربية الحديثة بنور عقولهم، والتي أخصبها كل مشروع ثقافي نبيل نبع من وطننا العربي، كمشروع «عالم المعرفة»،- انشقت تلك الأرض عن كيانات فكرية شوهاء توظف عقولها من أجل دعم العدوان، وتكدس الحجج المغلوطة من أجل التستر على الجرائم الشنعاء آلتي كانت ترتكب يوميا في حق الإنسان الكويتي، والعراقي، والعربي أينما كان.

لقد كانت أشد اللحظات إيلاما هي تلك التي اكتشف فيها كل من اسهم يجهده وفكره في إنجاح مشروع ثقافي مثل «عالم المعرفة»، أن تلك المعاني التي حاولنا قدر استطاعتنا أن نغرسها في النفوس طوال ثلاثة عشر عاما، قد انكسرت عند القشرة الخارجية لعقول الكثيرين، وأن قيما كالحرية وحقوق الإنسان والتضامن والتفاهم والعقلانية لم تجد من يدافع عنها بين شعوب عربية كاملة، بل لقد وجدت، بين أشهر «المثقفين» من يعد هذه القيم رخاوة وطراوة، ويسمى الفاشية الدموية الغاشمة «صرامة». في مثل هذه اللحظات قد ينتاب المرء شك قاتل حين يتساءل. هل كنا نحرث في البحر

؟ وهل تغلغلت الثقافة حقا في نفوس أولئك الذين صفقوا للطغيان وفلسفوا جرائمه وغضوا أنظارهم عن كل ما يتصل من قريب أو بعيد بإنسانية الإنسان ؟!

على أن صدمة الكشف الأليم سرعان ما تتحول إلى مزيد من الإصرار. فالطريق ما زال طويلا، هذه هي الحقيقة الأساسية التي أثبتها ذلك الانشقاق الفكري الذي أصاب العقل العربي منذ الثاني من أغسطس. ولكن هذه الحقيقة بعينها هي التي تجعل «عالم المعرفة» أشد ضرورة، وتجعل أهدافها أشد إلحاحا. فالتنوير الذي اتخذته هذه السلسلة هدفا لها، لا بد أن يخوض معركته، وفى نهاية المطاف لن يصح إلا الصحيح.

وبعد، فإنه لمما يسعدني كل السعادة أن تكون حلقة الوصل بين أعداد السلسلة السابقة، التي أربت على المائة والخمسين، وبين ما تقدمه هذه السلسلة من نتاج ثقافي رفيع في أعقاب تحرير الكويت، كتابا يتناول موضوعا ذا دلالة بالغة، هو الدور الثقافي للكويت على الصعيد العربي. ففي هذا الكتاب تذكير بتلك الحقيقة آلتي ربما غابت عن أذهان الكثيرين من فرط اعتيادهم عليها، وهى أن الدور الحقيقي للمشروعات الغافية التي تتبع من أرض الكويت هو دور عربي في المحل الأول، وأن تلك المشروعات تحظى بقدر من الحرية، في اختيار موضوعاتها، ومؤلفيها، وتوجهها العام، يندر أن نجد له نظيرا في عالمنا العربي، وهو بالقطع يمثل الوجه الآخر والمضاد، لتلك «الثقافة» الدعائية الموجهة توجهها فجأة، والتي تصدر عن أجهزة النظام الشمولي في البلد المغتصب.

ولقد كان الأستاذ الدكتور محمد حسن عبد اللت، مؤلف هذا الكتاب، هو الأجدر حقا بأن يتصدى لهذه المهمة في ظروف شاقة لا يتاح فيها للكاتب في مثل هذا الموضوع سوى القدر اليسير من مصادر البحث. فقد عرف مؤلفنا الكويت، واندمج في حياتها الثقافية، طوال ما يربو عل العشرين عاما ،عاش فيها معلما، وأستاذا جامعيا، وناقدا أدبيا، وكاتبا مسرحيا، مما أتاح له أن يطل بنظرة «بانورامية» شاملة على جميع آفاق الثقافة في هذا البلد الذي يؤدى في هذا الميدان دورا يفوق حجمه بكثير. ومما يحمد لمؤلفنا أنه، على الرغم من الظروف الخاصة آلتي يقدم فيها كتابه، قد صان قلمه من الوقوع في هوة الدعاية المتشنجة أو الهجوم العدائى على الخصوم.

مم أود أن يتأمل القارئ بإمعان تلك الصفحات التي ترد قرب نهاية الكتاب، والتي يتحدث فيها بأمانة عن تلك القصائد العديدة التي كتبها شعراء كويتيون عن بغداد، فيعرضها بموضوعية تامة، ويترك لذكاء القارئ أن يستخلص ما يشاء من الدلالات.

وبعد، فإني إذ أعود في السطور الأخيرة من هذه المقدمة إلى هذا الشاب العربي الذي لا يعرف الكويت إلا بوصفها منبعا للثقافة، أزجي إليه التهنئة لأن صرحا من الصروح الشامخة لهذه الثقافة قد ارتفع من جديد، ولا تملك أسرة تحرير «عالم المعرفة» إلا أن تعد هذا الشاب بأنها ستواصل مسيرتها على النهج نفسه الذي أتاح لها أن تكتسب ثقة جيله بأكمله، وتعمل ما في وسعها فيما يستوعب العقل العربي تلك الدروس البليغة التي علمتنا إياها أحداث مشئومة حرمت شبابنا، إلى حين، من منابع ثقافتهم الأصيلة.

مستشار السلسلة

سأغسطس (آب)1991

أربع مقدمات صغيرة

١- هذه الصفحات عن «دور الكويت في التنمية الثقافية العربية» تستبعد تماما-ما أمكنها ذلك-الظروف المؤلمة التي وجدت فيها الكويت صبيحة الخميس الموافق الثاني من أغسطس (آب) عام ألف وتسعمائة وتسعين. وهذا الاستبعاد-في حدود الممكن-لا يرتكز على قاعدة من الاستهانة بما جرى، أو تهوينه-ولو ظاهريا-في عيون الآخرين، فالأمر على عكس ذلك بكل اليقين، لأن القاصمة التي أصابت الجسد العربي وحالة الاختلاط العقلي التي أصابت فكره، والغيبوبة آلتي تكاثفت طبقاتها على وجدانه، قد أضافت عطبا في التكوين العربي جسدا وفكرا ووجدانا، وهو عطب نشاهد بداياته ولا يلحق الخاطر باحتمالاته، ولا تجد النفس-مهما أضناها الشوق واستبد بها تتبع سراب الأمل-سبيلا إلى احتوائه وإزالة آثاره. لهذا نعتقد أن الكارثة التي لحقت بالثقافة العربية قد نزلت، واستحكمت، ورسخت مرارتها في النفس، وانتشرت أشواكها في منافذ الإدراك العربي. وليس يعنى أنه بعودة الكويت إلى قرارها، وصدور ما تعودت أن تصدره من فكر وفن وثقافة إلى سائر أنحاء الوطن العربي، يكون كل شئ قد عاد كما كان، وكأن شيئا لم يكن.. الخسارة راسخة حتى بعد أن تعود عالم الفكر» و «عالم المعرفة» وتستمر هيئة الجنوب والخليج في أداء دورها .. الخ، لأن الضربة الطائشة أصابت في الصميم مبدأ الحرية، وأصابت في القلب مبدأ

الأمان العربي، والحرية ركيزة الثقافة، والأمان ضمان التنمية. وإذا كانت الكويت تقول في نفسها- مستقبلا-«كيف أعاودك وهذا أثر فأسك» (على عنقي)، فقد رأى الآخرون آثار الفأس، ودخل ذلك في حساباتهم. لقد كان للعرب عدو واحد يحذرونه، وهو خصم تاريخي وإن تفاوتت الرؤى والحسابات و توقيت أو أسلوب مجابهته، فأصبح لهم عدو آخر «من أنفسهم» لا يعرفون كيف يتعاملون معه

يقول الأستاذ محمود شاكر: «إن هذه المحنة سيمتد لأثيرها على الثقافة إلى عشرات السنين، بشكل خارج عن المنطق والعقل. المسألة تجاوزت حدود الثقافة والمثقفين إلى ما هو أعم من ذلك وأشمل، فالوضع الموجود الآن يدل على أن رجلا واحدا استطاع أن يستغل حالات الجهل وعدم الوعي، المتفشية في الأمم النامية للسيطرة على العقول،بحيث يوجهها في بلده التوجيه الذي يريد، دون نظر إلى مصالح هذه الأمة» ثم يتعجب الأستاذ شاكر (صحيفة الأهرام 1990/14/9 صفحة فكر ثقافي) من مقدرة حاكم العراق على تدمير الحرية والاحتماء بالإسلام في نفس الوقت وهو ما لم يسبقه إليه غير نابليون في مصر، على أنه قد تجاوز «مقدرة» نابليون، فهو لم يدخل الكويت محتلا، وإنما دخلها مخربا مدمرا، فلو كان محتلا لأبقى الأمور على ما هي عليه «ثم يجمل رؤيته الناقدة لما كان من أمر ثقافتنا العربية، والمتشائمة لما سيؤول إليه مستقبلها فيقول: «إن ثقافتنا العربية المعاصرة كانت ثقافة مهلهلة،. والمثقفون لهم شواغلهم الخاصة والعامة، والقائمون على أمرها غير جادين. والثقافة بوجه عام غير مبنية على دراسات ومناهج أو حتى تقاليد كنا نعرفها نحن أبناء الأمس. وفى ظل هذا الوضع الراهن تأتى هذه المحنة ليقضى شبحها على ما كان قد يرجى من هذه الثقافة بعد عشرات السنين، بشكل خارج عن المنطق العقلي. فالمسألة في رأى تتجاوز الثقافة: مستقبلها، إلى القضاء على العلوم والفنون، بل القضاء على أمة بأكملها وليس الكويت وحدها».

ليس شرطا أن نبلغ المدى الذي بلغه الأستاذ شاكر في نظرته اليائسة من المستقبل لكي ندرك فداحة ما جرى للثقافة العربية، متضمنا فيما جرى الكويت، أو شناعة المصير الذي ستلقاه الثقافة العربية ترتيبا على سكوت الكويت-كرها-عن أداء دورها الثقافي، ولو إلى حين.

نحن إذا، في هذه الصفحات، نتوقف عن ذكر ما سيكون من أمر الثقافة، مكتفين بقدر من الوصف والتحليل، يساعد على تقريب صورة الدور الكويتي في التنمية الثقافية العربية، دون أن نسحب أشجان وآلام ما جرى في الثاني من أغسطس على هذه الصورة الوصفية التحليلية.

غير أننا لا نستطيع أن ننظر إلى ما جرى، وكأنه لم يكن (ولو على سبيل الافتراض التعسفي) حين ننظر إليه من زاوية موضوعنا بصفة خاصة، فنحن لا نبالغ إذا اعتبرنا «الثقافة» أو الاختلال الثقافي العربي، والشرخ الواضح في أسس نظرتنا إليها، وقيمنا المستخلصة منها، أحد الأسباب الهامة، إن لم يكن السبب الرئيسي لما حدث من فواجع واضطراب عام، وأيضا فإننا نعتبر الثقافة العربية على رأس الضحايا المهددة في المستقبل. مهددة بالمقاطعة والخصومة السياسية، مهددة بتصاعد موجة الإقليمية، مهددة بيأس الإنسان العربي من تشكيل مستقبله، وتحقيق أهدافه البعيدة، بعد أن رأى أهدافه القريبة تتحطم بين يوم وليلة، ومسلماته تتحول إلى أخطاء في التصور، وعجز عن الفهم. من واجبنا أن نقاوم هذه الاحتمالات الممكنة، القريبة الإمكان، ولكن.. إذا لم يكن في استطاعة هذه الصفحات أن تطرح مشكلة الثقافة العربية بتصور كلى وشامل، فإن في استطاعتها أن تكون بداية لطرح هذه القضية الشديدة التأثير على المستقبل العربي..

2- في هذا العصر الشديد التعقيد، لم يعد مثقف يجهل أهمية التخطيط، لا مكان في عالم اليوم لمن يترك الأمور تمض كيفما اتفق، إن مدى الرؤية أمام العين الطبيعية أصبح محدودا جدا، بتكاثف المؤثرات وتعارض المصالح، وتداخل المشاهد، والحل أن تتجمع عيون كثيرة، لترى اكثر من خلال «الخطة»، التي تقوم على «التحليل» في إعادة «التركيب» من خلال تحديد الأهداف. ولهذا كان التخطيط أحد شعارات العصر الحديث، غير أننا-كبلاد نامية، متخلفة إداريا، سرعان ما تتراخى قبضتها عن خططها، ثم تتساها، وتصطنع أهدافا جديدة، تأخذ في التخطيط لها-ينبغي أن نقرن شعار التخطيط بشعار المتابعة، أو مراقبة التنفيذ، بل إننا نرى أن المتابعة أهم من التخطيط.

هذه توطئة أراها ضرورية ونحن نتعرف-أو نحاول-على «دور الكويت في التنمية الثقافية العربية». وقد يكون السؤال المهم. هل انبثق هذا الدور من

تلقاء نفسه، وتنامي وتفرع بتداعيات الظروف وميول الأشخاص (أو القيادات الثقافية في الكويت) أو كان ثمرة لرؤية، تشكلت في خطة، تنامت وتفرعت بفعل المتابعة وقياس الجدوى وردود الأفعال؟

هذا أمر لا يسهل القطع به، ولكننا سنجد عليه علامات مبكرة، فبعض المشروعات الثقافية المؤثرة إلى اليوم، المستمرة إلى اليوم، بدأت عام 1958 بل إن مساعدات هامة بدأت قبل ذلك، ومع هذا قد تكون الفصول القادمة محاولة لتقريب الجواب، أو تقريبه إلى الدقة والتوثيق، وإذا كان «التخطيط» (وهو هنا التخطيط الثقافي قصدا) ركيزة السؤال،«فإن التوثيق»برهان الجواب. ولابد أن نعترف بأنه-في الأوضاع المرحلية الراهنة-لن يتاح لنا توثيق بعض ما نروم ذكره أو التذكير به. ومع هذا فربما خفف من غياب هذا الجانب أو عدم اكتماله أننا نجد له البديل، وهو البديل الأقوى، لأن «الفعل» أهم من «القول». وليس من شك في أن ما بين أيدينا من مطبوعات الكويت، وما عاينا من أنشطتها الثقافية في المجالات المختلفة أصدت دلالة من أرقام الملايين آلتي أنفقت، ومحاضر الاجتماعات التي عقدت.

بعبارة أخرى موجزة وبعيدة تماما عن الادعاء: إن الوثائق الخاصة «بدور الكويت في التنمية الثقافية العربية» عندك أنت، مثلما هي عندي فإذا عدت إلى مكتبتك ووجدت من بين مقتنياتها العزيزة عليك أعدادا من «عالم المعرفة»، أو «عالم الفكر»أو «من المسرح العالمي»، أو «الثقافة العالمية» أو مجلة «العربي» الخ.. . فأنني أرجو أن تعتبرها الوثائق-الفعل الثقافي، الذي يتفوق على كل قول، وإن كان براقا وزاعقا. على أن هذه الوثائق الحاضرة ليست إلا بعض ما تؤدى الكويت من خدمة ثقافية لأمتها العربية.

أذكر أنني كنت ضمن وفد من جامعة الكويت قام بزيارة الجامعات. والمعاهد العليا السودانية عام 1980، وفى الخرطوم ألقيت محاضرة عن الحركة الأدبية في الكويت، وكما هو العادة، يتاح وقت لتلقى أسئلة الجمهور، وكانت المفاجأة أن عددا من هذه «الأسئلة» كان رجاء موجها إلى المشرفين على المطبوعات الكويتية سالفة الذكر، أن يضاعفوا من كمياتها المرسلة إلى السودان، حتى لو أدى هذا إلى مضاعفة السعر، ليتسنى للراغبين الحصول عليها، لأنها تنفد فور وصولها.. ولقد ضمنت هذا المطلب تقريري إلى الجهة آلتي أوفدتني، وبلغته أيضا إلى الجهة المعنية به، وهى المجلس الوطني

للثقافة، فكان رد مسئول كبير فيه: بل نضاعف الكمية، ولا نمس الثمن.. إنها خدمة ثقافية ينبغي أن تصل إلى مستحقها دون مقابل. وقال الدكتور سليمان الشطي أحد أعضاء المجلس الوطني للثقافة، البارزين، ورئيس تحرير مجلة البيان (الأدبية) تعليقا على الرغبة السودانية: في الخمسينيات وما قبلها تثقفنا مجانا على يد مصر، كانت تؤلف وتطبع وتوزع وتبيع «أعلام العرب» بخمسة قروش، و «المكتبة الثقافية» بقرشين و «تراث الإنسانية» بمثل ذلك. كانت مصر تكتب والعالم العربي كله يقرأ، وتغيرت الأحوال وأصبحت ميزانية مصر مثقلة بواجبات أخرى، فلا أمل من أن تتقدم الكويت وتحمل عنها جانبا من هذا الواجب القومي..

أتذكر الآن، أنه في أعقاب تلك الفترة ارتفع عدد المطبوع من «عالم المعرفة»من ثلاثين ألف نسخة، إلى خمسين ألفا، وظل ثمن النسخة أقل من ثمن الورق فيما لو كان دفترا أبيض أقل من ثمن مجلة أسبوعية، تشتريها صباحا، وتلقى بها في سلة المهملات قبل المساء..

ومع هذا فالأمر أعمق من أن يكون مجرد توصيل المعرفة، أو تيسير الثمن بحيث يكون في متناول جميع الراغبين.

3- ستكون لنا وقفة مع خطة الكويت الثقافية، أو رسالتها، في محورها القومي المتوجه به إلى الأمة العربية (بصرف النظر عن رعايتها للثقافة داخل الكويت أو على مستوى العلاقات الدولية، فهذا ليس موضوعنا الآن) ولهذه الخطة-الرسالة محتوى فكري، ولها وسائل (مستويات، وقنوات توصيل) تجعل منها عملا شاملا ذا أهداف قيمة حاليا، ومستقبلا، غير أننا ينبغي أن نعرف أن الجامعة العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) هي الجهة المنوط بها وضع ورعاية خطة ثقافية عربية شاملة. وهذه الخطة قد وضعت بالفعل، بعد انتظار طويل، وقد كان للكويت (كما سنرى في الفصل الرابع) فضل رعايتها، والخروج بها من حيز الأمل إلى مستوى الوثيقة المحددة المعلنة التي تستوجب العمل. لن نشغل هذه الصفحات بإجراء مقابلات أو موازنات بين الهدف العربي الشامل (كما تبنته الخطة) وما حققته الكويت في رسالتها الثقافية إلى أمتها العربية، لنرى مدى التوافق أو الحالفة، إننا بعد قراءة في المضمون، وتعرف على المستويات، لن نكون

بحاجة إلى مثل تلك المقارنات.

على أننا لا نرى داعيا-مرة أخرى-إلى الدخول في تشقيقات نظرية حلو مفهوم أو مفاهيم الثقافة، وهل هي مرادفة للجانب المعرفي، القيمي، أو القيمى والمادي، أو أنها تشمل السلوك والعمل أو طريقة الحياة، وهل هي مرادف للحضارة، أو تخالفها من حيث تتعلق الحضارة بالماديات، وتقتصر الثقافة على المعنويات من المفاهيم والعلاقات. إن التعريفات والأقسام كثيرة جدا، ومتداخلة جدا بدرجة تغرى بالتغاضي عنها جميعا، أو اعتبارها جميعا، من منطلق تحصيلي واحد، وثابت، نجده في صيغة هذا السؤال: «ماذا صنعت الكويت في هذا المجال فعلا ؟ وكيف نتصوره» ؟ أما إلى أي مدى يتطابق هذا مع مفهوم، أو مفاهيم الثقافة ؟ فإنه-قطعا-لن يخرج عنها، ولكن الطريف حقا أنه سيستوعبها جميعا، ليس لأن الأجهزة العاملة في الثقافة بالكويت استعانت بمنظرين وخبراء وضعوا لها أطر العمل ومحاوره (ولعلها لو فعلت لاضطربت لغياب تعريفات مقطوع بها غير مختلف عليها) ولكن لأن العمل الثقافي الموجه إلى الأمة العربية تداخل-في حالات كثيرة-مع الرغبة في الانتشار أتفنى، والمساعدة الاقتصادية والتنوير الديني، بل التنوير بشكل عام. وعلى سبيل المثال. أقامت الكويت-منذ فترة مبكرة-محطة تلفزيون دبي (تبل قيام دوله الإمارات) وظلت تشرف عليها إلى عام 1972، وأقامت مباني جامعة صنعاء (أمدتها بالأساتذة وهذا عمل ثقافي لا خلاف عليه، ولكننا هنا بصدد المباني) وأقامت في جوبا (جنوب السودان) مساكن لموظفي الحكومة، ومساكن شعبية (بينها مدارس ومساجد مما لا خلاف عليه) فإلى أي مدى يمكن اعتبار هذه «المباني» من أعمال الثقافة، وخدمة ثقافية موجهة لتلك الجهات، ومن تم لمجموع الأمة العربية ؟ بل إن الكويت أقامت وتقيم عشرات المدارس في اليمن الشمالي، واليمن الجنوبي، مما جرى التقسيم المنهجي على اعتباره «تعليما» والتعليم غير الثقافة..

لكننا إذا كنا نتحدث الآن-بكثير من الألم-عن أمية المتعلمين، فإننا لن نفخر كثيرا بثقافة الجهلاء. وهذا يعنى أن التعليم هو بالضرورة خطوة أساسية نحو الثقافة، وإذا كانت كافة نظريات، لتثقيف لا تستطيع أن تفصل بين الثقافة والاقتصاد، وتبحث عن أسباب التخلف الثقافي في التخلف الاقتصادي، فلا شك أن بناء مستشفى للأطفال في عدن، أو جوبا (كما

سنرى) هو عمل ثقافي، أو خطوة نحو الثقافة.

لن نختلف على أهمية أن جامعة الكويت-مثلا-أرسلت بعثات لتصوير الخطوات العربية، آلتي لا يسهل تيسيرها للباحث العربي، في بعض مراكز إنجلترا، وأيرلندا، وتركيا، وغيرها.. . ولكننا قد نختلف على أهمية أن الكويت ترعى قسما لدراسات الأدب العربي في إحدى الجامعات البريطانية أو مركزا بدراسات في سويسرا، من حيث أهمية هذا العمل بالنسبة للتنمية الثقافية العربية بالذات (وليس العلاقات الثقافية الدولية، وهذا محور مستقل) ومع هذا فالمردود الإيجابي ليس موضع خلاف، لأننا متفقون-في النهاية-على أن تنمية الوعي الإنساني بالتاريخ والحاضر والمستقبل، وتوازن قوى الفرد-المادية والعقلية والروحية، وانسجامه سلوكيا وعمليا مع مجتمعه بأداء دوره الصحيح المنوط به، يدعمه ويتممه اطمئنانه إلى موقعه من عالمه وعصره، وقدرته على فهم ما تصل إليه مداركه، وإشباع إحساسه بالاعتبار في زمانه، بحيث نجنبه الشعور بأنه منبوذ، أو مستبعد، أو سلبي في تشكيل حياته، من خلال مساهمة «عالمية» في صنع العصر. سأقدم مثلا قد يبدو ساذجا، أو بسيطا جدا، أو إننا تعودناه بحيث لم نعد نتأمله: حين شارك فنان مثل عمر الشريف في فيلم عالمي، وانتقل إلى هوليود.. كم لهذا العمل الخاص بشخص من مردود نفسي، ومردود ثقافي على مجمل المشتغلين بالفن في مصر، وفى البلاد العربية عامة ؟ قس على هذا الجيولوجي العالمي فاروق الباز والجراح العالمي مجدي يعقوب، والعداء المغربي عويطة الذي حقق تفوقا عالميا لعدة أعوام، بل ماذا أحسسنا حين عرفنا أن أميرا سعوديا كان بين قادة إحدى المراكب الفضائية الأمريكية ؟ على أية حال لن نفكر في احتساب العلاقات الثقافية الدولية للكويت كفعاليات ذات مرود قومي، بل لن نتطرق بغير الإشارة العابرة التي يحتمها تداخل المعلومات والبيانات أحيانا إلى المساهمات الاقتصادية (فلها مكانها وأصحابها القادرون على توضيحها) وسنكتفي بما صنعته الكويت، قصدا، في مجالات الثقافة، التي لا يختلف عليها أحد.

4- إجمالا، يمكن أن نقول إن هذه الدراسة سترعى ثلاثة جوانب أساسية. أولها: كيف كانت بدايات الدور الثقافي للكويت، وتحت أي ظروف نشأ هذا

الدور، ومن ثم كيف اكتسب ملامحه المستمرة. وثانيها عن ماهية هذه الملاح، ومدى ثباتها، وما بينها من تكامل في سبيل تحقيق غايات محددة. وثالثها: إلى أي مدى يتحقق التناغم بين رسالة الكويت الثقافية، الموجهة إلى أمتها العربية، والأنشطة الثقافية الإبداعية في الإطار الكويتي الداخلي. وهذه المحاور الثلاثة تكشف عن طبيعة التكوين الثقافي التلقائي الذي يمارسه مفكرو الكويت وأدباؤها في بيئتهم الخاصة، وصلة هذا التكوين- ومن ثم درجة مصداقيته-بالأنشطة الثقافية (من مطبوعات وندوات ومعارض ومعونات فنية متنوعة) آلتي تصدرها الكويت وتراعى فيها أنها-أولا: صنعت من أجل المواطن العربي خارج الكويت، على امتداد الوطن العربي.

وإجمالا أيضا، سنشير إلى بعض مواد الدستور الكويتي، التي تحدد الهوية والانتماء، والقيم الأساسية للمجتمع، وفى مقدمتها الحرية والعدالة والديمقراطية. إن هذا الدستور وقد صدر في 11 نوفمبر 1962 هو الأول في الجزيرة العربية والخليج، وقد أقره المجلس التأسيس المنتخب، وارتضاه شعب الكويت، فهو-من جانب-المعبر عن ضميره وحسه الفطري، وانتمائه الواعي، وهو-من جانب آخر-المحدد للاتجاه، والمشكل للسلوك والحركة والأهداف في المستقبل. إن البدء بالدستور هو في صميم قضية الثقافة، ليس لأنه يشتمل على «مواد» تشير إلى حق المواطن في أنواع من الرعاية، وتمتعه بحقوق هي جوهر البناء الثقافي للإنسان، وحسب، وإنما لأنه- بالإضافة إلى هذا-يكشف عن نوع، ومدى العلاقة، وطاقة التفاعل بين الكويت وأمها العربية، وهذا هو الأساس الذي يعطى الدور الثقافي الكويتي فاعليته، واستقراره، واستمراره.

لقد انتهت مهمة المجلس التأسيسي-وهى وضع دستور لدولة الكويت- بانعقاد جلسة ختامية فى15 يناير، وفي تلك الجلسة قال الشيخ جابر الأحمد الصباح (وقد ألقى كلمة الحكومة حيث كان سموه نائبا لرئيس مجلس الوزراء بالوكالة). «... كلمة أخيرة أود أن أقولها في هذا المجال، وهى أن الكويت أميرا وحكومة وشعبا يؤمن إيمانا راسخا بأن القومية العربية، والوحدة العربية هما الطريق الصحيح الذي يجب أن تسير فيه الأمة العربية لتصل إلى الهدف الذي يصبو إليه كل فرد من أفرادها. وإن الكويت في سبيل ذلك لن يوصد أبوابه في وجه أشقائه العرب في حدود

طاقته...» هنا نتأمل أولا النص على التوجه القومي واعتباره الطريق الصحيح لتحقيق الأهداف التقدمية التي يسعى إليهم كما الشعب العربي، ولا شك أن هذا الإعلان في تلك الفترة كان يعنى الكثير، ويكلف الكثير في ظل الصراع الذي كان سائدا عبر الستينات. ونتأمل ثانيا الربط بين استقدام العمالة العربية وهدف الوحدة العربية. ولكن: ماذا يقول الدستور الكويتي؟

يقول في مادته الأولى. «... وشعب الكويت جزء من الأمة العربية».

ويقول في مادته السادسة: «نظام الحكم في الكويت ديمقراطي، السيادة فيه للأمة مصدر السلطات جميعا...».

ويقول في مادته السابعة: «العدل والحرية والمساواة دعامات المجتمع..»

ويتنفس هذا المبدأ في عدة مواد:

«لا يجوز إبعاد كويتي عن الكويت أو منعه من العودة إليها» [المادة 28].

«حرية الاعتقاد مطلقة...» (من المادة35).

«حرية الرأي والبحث العلمي مكفولة» (من المادة 36).

«حرية الصحافة والطباعة والنشر مكفولة» (من المادة 37).

ومن حرية المواطن الكويتي، إلى حرية المواطن العربي في الكويت:

«للمساكن حرمة، فلا يجوز دخولها بغير إذن أهلها، إلا في الأحوال التي يعينها القانون، وبالكيفية المنصوص عليها فيه» المادة 38.

«تسليم اللاجئين السياسيين محظور» [المادة 46].

والأمن العربي لا يتجزأ.. فأمن الكويت مرتبط بأمن أمتها:

«السلام هدف الدولة، وسلامة الوطن أمانة في عنق كل مواطن، وهى جزء من سلامة الوطن العربي الكبير» المادة 157.

والدستور يوجه المشرع إلى توسيع دائرة الحرية، ويحظر عليه انتقاص مكتسبات الشعب، إذ تقول المادة (175) صراحة وتحديدا:

«الأحكام الخاصة بالنظام الأميري للكويت، وبمبادئ الحرية والمساواة المنصوص عليها في هذا الدستور لا يجوز اقتراح تنقيحها، ما لم يكن التنقيح خاصا بلقب الإمارة، أو بالمزيد من ضمانات الحرية والمساواة».

ستكون لنا وقفة مع بعض طبائع المجتمع الكويتي، لنرى بالاستناد إليها- مدى قدرة التكوين الخاص، واستعداده لاكتشاف دوره الثقافي وتحمل تبعاته. وقد تكون كلمات أمير الكويت (الشيخ عبد الله السالم الصباح) التي قدم

بها لتصديقه على الدستور دقيقة جدا في بلوغ مرادها من رد كل فضائل الدستور العصرية إلى موروث النفس العربية وما جبلت عليه، إذ جاء قوله: «رغبة في استكمال أسباب الحكم الديمقراطي لوطننا العزيز، وإيمانا بدور هذا الوطن في ركب القومية العربية.. وسعيا نحو مستقبل أفضل ينعم فيه الوطن بمزيد من الرفاهية، والمكانة الدولية، ويفئ على المواطنين مزيدا كذلك من الحرية السياسية، والمساواة، والعدالة الاجتماعية، ويرسى دعائم ما جبلت عليه النفس العربية من اعتزاز بكرامة الفرد، وحرص على صالح المجموع، وشورى في الحكم مع الحفاظ على وحدة الوطن واستقراره...».

سنكون بحاجة إلى تذكر هذه العبارات، فلعلها تغنى عن جهد كثير، في اكتشاف منطلقات الرسالة الثقافية الموجهة إلى الأمة العربية.

القسم الأول
بدايات مستمرة

١ ١٩٥٨

ليس في اختيار هذا الرقم عنوانا ميل إلى الإثارة أو رغبة في التعمية، إنه تاريخ، قد يحمل معنى البداية، ولكن: أية بداية؟

عام 1958 يسبق عام إعلان الاستقلال في الكويت بثلاثة أعوام تقريبا (أعلن الاستقلال في 1961/6/19)، وكانت الكويت-حتى ذلك الحين تعج بنشاط متنوع عظيم، في مجالات شتى، في مقدمتها بناء المؤسسات التعليمية والثقافية، لكنها-في الجسم العربي العام-تكاد تكون غير معروفة إلا لجيرانها من إمارات الخليج والسعودية والعراق. ولم يكن للكويت (في العام 1958) أي تمثيل سياسي أو مكاتب قنصلية على مساحة الوطن العربي، وبالنسبة للقاهرة كان هناك «بيت الكويت» الذي اختص بالأشراف على طلاب الكويت في القاهرة، ومعاملات البعثة التعليمية، ثم تدرج لتكون له صفة التمثيل القنصلي، وقد أصبح نواة لسفارة الكويت في القاهرة، بعد إعلان الاستقلال. أما في العواصم العربية القريبة من الكويت، التي كان لها ارتباطات تجارية أو عملية، فكان للكويت ممثل يتحدث باسم هذه المصالح المحددة، أو المحدودة، مجرد شخص (غالبا هو من أهل تلك البلاد) كما كان لتلك

العواصم أشخاص يمثلونها، مجرد أشخاص، في الكويت، قد يكونون من أهل الكويت ذاتها.

أما وقد تشكلت في الكويت أسس الحياة الحديثة، وتكامل هيكل دولة عصرية، فقد تطلعت-قبل أن تعلن ميلادها السياسي العالمي من خلال إعلان الاستقلال، وإرسال سفرائها واستقبال سفراء الدول-تطلعت إلى أن تعلن هذا الميلاد لأمتها العربية أولا، وبإشراف وسائل الإعلام (وليس الإعلان) ثانيا، وهى الثقافة. وكان شهر ديسمبر 1958 هو الموعد، إذ شهد اليوم الأول منه ميلاد عمل ضخم، لا نزال نشهده ونقدر مكانته في رسالة الثقافة والتنوير، كما شهد الأسبوع الأخير من الشهر نفسه حدثا لا يقل-في مغزاه-عن أن يعتبر علامة رامزة إلى دور الكويت الثقافي المنتظر، والذي سبقت به دولا لها تاريخها الثقافي، ومؤسساتها الراسخة، وثرواتها الواسعة، ولكنها لم تتطلع بنفس القوة إلى أداء هذه الخدمة الأساسية بالنسبة للطموح القومي إلى التقدم، وإلى الوحدة العربية.

في الأول من ديسمبر صدر العدد الأول من محلة «العربي».

في العشرين من ديسمبر انعقد المؤتمر الرابع للأدباء العرب في الكويت. عملان طموحان، يحتاجان إلى سعة الأفق اكثر مما يحتاجان إلى سعة المالي، ويدلان على الوعى الاستراتيجي بمتطلبات المستقبل العربي والأسلوب الأمثل لخدمته، اكثر مما يدلان على التلهف على الدعاية الوقتية أو تأليف الأصدقاء. «العربي» خدمة ثقافية قومية مستمرة، و «المؤتمر» حلقة ضرورية في عمل ثقافي قومي، يحتاج إلى دعم كل الأطراف. وكانت الدولة الجديدة، آلتي لم تعلن ميلادها السياسي بعد، هي الطرف الثقافي الرابع بعد لبنان، وسورية ومصر، الدول التي استضافت المؤتمر في دوراته الثلاث الأولى وكان يجتمع على مائدته كل عام نحو خمس عشرة دولة عربية، ممثلة في أدبائها ومفكريها.

غير أننا-ونحن نحاول أن نتخلل عبر تفاصيل بعض الجوانب من رسالة الكويت الثقافية-لا نريد أن نسجل خبرا مؤداه «صدور مجلة العربي» في عالم يعج بالمجلات، ولا أن نعيد إلى الذاكرة تلك الاستضافة المبكرة لمؤتمر أدبي، في عالم لا تنقضي مؤتمراته ولا تغيب أخبارها، ولكننا نريد أن نتوقف قليلا عند المحتوى، والمعنى، لنكون أقرب إلى إدراك أهداف الرسالة،

ومن ثم الاقتراب من أتوعى بها، وتصورها تصورا صحيحا.

العربي: من العدد الأول إلى عدد أغسطس

صدر العدد الأول من مجلة العربي أول ديسمبر عام 1958 أي قبل إعلان الاستقلال وإلغاء المعاهدة مع بريطانيا بثلاثة أعوام تقريبا -كما قدمنا- وقد أريد للعربي أن تكون صوتا ثقافيا، تكتبه أقلا م عربية خالصة، توجهه إلى أمتها العربية كافة، بمعزل عن صراعات السياسة، وخلافات الملل والنحل. أنها مجلة كل العرب[1]، كتابا

وقراء، ويتأكد هذا المنحى المميز بتحليل محتوى العدد الأول، تتصدره كلمة رئيس التحرير «الدكتور أحمد زكي» الافتتاحية[2].

«باسم الله نفتتح هذا الحديث الأول.

وباسم العروبة خالصة، بحتة محضة، نخط أول سطر يقع عليه البصر من هذه المجلة الوليدة.

وأسميناها العربي، وما كان اسم بواف بتحقيق ما يجول في رؤوس رجال الوطن العربي كله ورؤوس نسائه، من معان، وما تستدفئ به قلوبهم من آمال وأماني، كاسم «العربي» في حسمه وإيجازه.

ولقد كان جاز للعربي أن تتخذ لها منزلا، آي قطر من أقطار العروبة، فبغداد جازت، وجازت القاهرة ودمشق، وحازت الخرطوم والرباط وتونس، جاز كل بلد له اللسان العربي لسانا، والبيان العربي الناضح بعروبته بيانا. ثم تشاء الأقدار أن يكون منزل العربي بلدا من أصغر بلاد العربي حجما، وليس بأصغرها خطرا، فكان الكويت للعربي منزلا.

وخير ما شاءت الأقدار.

فالكويت -لو أن بلاد العرب جميعا قعدت إلى مائدة مستديرة، وكشفت بالحساب عما أدته للعروبة من خير، لتهلل وجه الكويت، على صغره، للذي صنع.

بذلك شهدت بور سعيد، وبذلك شهدت الأردن، وبذلك شهدت الجزائر ولا تزال تشهد، وبذلك شهد ما تعاور العرب من أزمات.

والكويت يسخو مما حباه الله من مال، ولكن من وراء المال عاطفة تخرج من القلب كريمة، هي التي تحرك المال إلى أين يتجه. فالكويت في وضع

معروف، يكاد يتناقض وما يسخو به الكويت في كل أزمة عربية، ولكنه من الإيمان بعروبته في موضع هو فوق الأوضاع جميعا».

لقد أطلنا الاقتباس عن افتتاحية العدد الأول من العربي، لنتعرف على المناخ السياسي والفكري السائد في الوطن العربي، ونثبت تجاوب الكويت معه، وإمداده بوقود من الثقافة رشيد، يعلى من قدره، وقدرته. أما الإشارة إلى وضع الكويت المعروف، فقد كانت إلى ذلك العام (1958) محدودة الموارد، كان ما تحصله من عائدات النفط لا يكاد يفي بحاجات مجتمع طال حرمانه من التعليم والإسكان والرعاية الصحية والاجتماعية، مع ما تتطلبه عاصمة حديثة الظهور على خارطة التواصل العربي من تنظيم وإعداد مكلف، وما يحتمه التطور السريع من تعويضات وتضحيات، وما يمليه إعلان الاستقلال وما يتبعه من التزامات التمثيل السياسي... الخ من باهظ النفقات، هي إذا إشارة موجزة، يفهمها اللبيب، ويقدرها ذو المروءة، وخلاصتها أن الكويت-أواخر الخمسينيات-بكل ما كانت تعافى من قلة الموارد وكثرة المطالب، لم تكن تقبض يدها عن العون في الأزمات، ثم كانت «العربي» يدا مبسوطة مفتتح كل شهر، بزاد ثقافي نقى وفير.

ثم نتأمل المحتوى-في هذا العدد الأول-لنكتشف من خلاله محاور الاهتمام، من الناحية الموضوعية، وجهات الكاتبين،-من ناحية الانتماء الإقليمي، لنختبر على ضوء هذين المحورين، إلى أي مدى كانت «العربي» من العرب، وإليهم...

لقد توالت الموضوعات على هذا الترتيب:

1- تحية إلى جيش التحرير الجزائري (استطلاع ومقابلات مع مقاتليه).

2- القومية العربية كما ينبغي أن نفهمها: محمد أحمد خلف الله.

3- الزيت أو الذرة. أحمد زكى.

4- قصة 32 مليون نخلة تنتج أحلى تمور العالم (استطلاع مصور عن العراق).

5- التطور والثورة يتآخيان في العمل لخير الإنسان: كامل عياد، أستاذ في كلية التربية بالجامعة السورية.

6- صلاح الدين: عباس محمود العقاد.

7- التبادل الثقافى بين الشرق والغرب: جميل صليبا.

8- أن للعرب أن يستردوا أمجادهم (حوار) فيليب حتى (طليعة المؤرخين العرب).

9- البحرين: هذه الجزيرة تجمع أربع حضارات قديمة.

10- وقفة في معرة النعمان على قبر أبى العلاء: زكى المحاسن.

11- غيرة. (قصيدة) حسن كامل الصيرفي.

12- الحقيقة المرة (قصيدة) للشاعر العراقي أحمد الصافي النجفى.

13- الإذاعة العربية أقوى سلاح لتوحيد الوطن العربي: فاروق خوشيد.

14- القاهرة في منتصف الليل (استطلاع).

15- نجاح مائة في المائة (قصة) محمود تيمور.

16- شيطان في صورة شجرة (القات) محمد محمود الزبيرى.

17- المسرح العربي في خطر: أنور محمد.

هذه أهم عناصر العدد الأول، أو مكوناته الثقافية. : هناك عناوين ثابتة قد تعمق الإحساس بالمغزى، مثل«أيها العربي أعرف وطنك»، «العلم: الطب». وفى دراسة مركزة[3]، من موقف الخبرة المباشرة يقول كامل زهيرى عن مجلة العربي أنها ما كانت لتولد وتستمر«لو لم يتوفر لها المثلث الذهبى من حرية، وعلاقة حميمة بالقارئ، وإدراك ذكي للأحداث».

وقد يفسر صاحب الدراسة «الحرية» بمفهومه الخاص، وهذا حقه، فيقول عن هدا العنصر الذي جعله أزل أضلاع مثلثه الذهبي: «فقد أدرك مخططو العربي قبل إنشائها أن حرية العربي عنوان حرية الكويت، وقد أخذت حرية العربي من حرية الوطن،: وشاع هذا الحماس للحرية بنوع من السماحة الفكرية، التي تحفظ استقلالية الكاتب ومكانته الأدبية وزهوه بما يكتب». ويقول كاملي زهيرى أيضا أن العرفي، في توجهها ومحتواها قد احتضنت «الحلم العام» للمثقف العربي، وللأمة العربية، وللوطن للكويتي على سواء. غير أننا نشير إلى وجه آخر من وجوه استخدام تلك الحرية المشار إلي لما استخداما إيجابيا في صالح تنمية الكوادر الثقافية العربية، وتنمية الحس القومي المشترك، القائم على تقارب الأفكار، وانحسار مساحة المجهول، واتساع دائرة المعلوم بين أبناء الأقطار العربية، فقد كانت العربي تستكب، وتستقبل المقالات والأعمال الإبداعية من أي قطر، ومن أي كاتب، فمع أحقية المشاهير وأصحاب الخبرة في أن يكون لهم اعتبار خاص، فإن

المحاولات الجديدة وجدت لها على صفحات العربي فرصة عادية للإعلان عن نفسها[4]، ويقوا كامل زهيرى عن الباب الشهري «أيها العربي: اعرف وطنك» إنه صيغة مبتكرة ميزت العربي عن كافة المجلات الشهرية الثقافية، ويتخذ من تحليل محتوى العدد الأول مؤشرا على حجم هذا الباب، وأهميته، في يستخرج دلالته، فيلاحظ أن به خمسة «استطلاعات» أو تحقيقات مصورة: واحد عن الكويت، وثان عن القاهرة بالليل، وثالث عن نخيل العراق، ورابع عن شجرة القات، وخامس عن التحرير الجزائري. وقد ظل لاستطلاع بابا ثابتا في عهد أحمد زكى، وأحمد بهاء الدين،،-محمد الرميحى في حجمه، وأهميته، ورسالته،التي يجملها زهيرى في قوله: «إن الاستطلاع المصور، وتحت شعار» أيها العربي اعرف وطنك «لعب دورا ثقافيا وتثقيفيا، لأنه أشبع حاجة القارئ العربي الشغوف الذي كان في نهاية الخمسينيات وبداية (الستينيات، يسمع حديثا مدويا وملحا عن القومية العربية، والعروبة، وسهلت المجلة للقارئ أن يسافر على الوزن بين ربوع الوطن العربي، ويكتشف خفاياه وأركانه وجوانب من الثقافة والعادات والتاريخ والمكان. فهو ينتقل مع العدسة المصورة، ويرى باللون-وقد يكون لأول مرة-جربة، أو سد مأرب، أو موريتانيا أو زبيد، أو ظفار، أو جيبوتى أو تافرا ورت، أو جزيرة سوقطرة، أو أماكن غيرها يندر الوصول إليها أو يتعذر».

هذا كله حق، ولعله يحتاج إلى شيء من التوضيح، فهذه الاستطلاعات-ليست مجرد تعريف، أو سياحة بالكاميرا، إنها سياحة واعية، موجهة بنائيا لتنقية الواقع العربي، وتقوية الشعور الجماعى القومي، وتنبيه الأفكار إلى السلبيات، وتأكيد الوحدة الشعورية العربية. إن استطلاعا عن جيش التحرير الجزائري لا يمكن أن يدخل في باب السياحة بالصورة، وكذلك القات أو نخيل العراق، أو موريتانيا.. فكل معرفة في هذه المجالات هي تحريض على فعل، أو دعوة للامتناع عن فعل، وتوسيع لمساحة الوطن في الضمير العام، والوعي.

وكما كان مفهوم الحرية يتسع لطرح الأفكار، فكذلك-كان يتسع لإبراز كل الأقطار العربية من زاوية حفية محبة، ويتسع لاستكتاب أهل المعرفة أينما وجدوا من بلاد العرب، فكانت تنمية الكوادر الثقافية من خلال التقاء الأقلام العربية من كل الأقطار على صفحات العربي، ماطرا ومكتملا بتنمية

الثقافة ذاتها، كما يعكسها المحتوى الذي نجد ملامحه الثابتة منذ صدور العدد الأول.

وتكتمل تحليلات كامل زهيرى بشهادة أحمد بهاء الدين، رئيس التحرير الثانى لمجلة العربي، في مقالته الو داعية، أو شهادته على تجربته مع المجلة وما يساندها من أجهزة ثقافية، إذ يقول: «كان مفتاح نجاح هذه المطبوعات الثقافية شيئا أساسيا. إنها خالية تماما من آي رائحة دعاية ما، أو توجيه ما، إنما هي ثقافة للثقافة، ولولا ذلك السطر النحيل الذي يقول إنها صدرت من كذا بالكويت، في مكان غير بارز، لما عرف القارئ الجديد في آي بلد صدرت»[5]، ثم يمضى الزمن، يتدفق لا يتوقف، ليصل «العربي» إلى العدد رقم (381).

ويطرح آخر أعداد«العربي» ظهورا في عواصم الأمصار العربية، وقد استحكمت المحنة وألقت بكل فطامها، يحمل تاريخ أغسطس (آب) 1990 فيكون بظهوره أول وأقدم شاهد صدق على أن هذه المجلة الثقافية الجامعة أولها كآخرها، فهي مجلة كل العرب، يحررونها، ويقرؤونها، لا تنحاز لغير الثقافة الواعية النقية، فلا إقليمية، ولا حتى الدعاية المقبولة للبلد الذي يتحمل تكاليفها، ولا أفضلية لكاتب على آخر إلا بمستوى ما يكتب استنادا لطاقة المجلة: على الغلاف الأول لهذا العدد صورة فتاة يمنية، رمز اليمن العصرية الناهضة، وتحت الصورة تعليق يدعوك إلى موضوع بالداخل، عن «جامعة صنعاء: إشعاع حضاري من بلاد التاريخ العريق» وفى لقاء محرر الاستطلاع بمدير جامعة صنعاء الدكتور عبد العزيز المقالح يسأله عن رؤيته للجامعة وهى تخطو نحو أبواب القرن الحادي والعشرين، فيذكر جهود البناة الأول، ويأتي ذكر ما بذلته الكويت في السياق، في مدى سطرين، ولكنهما كما سطران يحتويان سر إنشاء الجامعة أصلا، ويحولان الأمنية-الحلم-إلى حقيقة، سطران يحتاجان إلى تأمل وجهد، لعرى كم من ملايين الدنانير تكلفت دولة الكويت، وكم من الجهود بذلت لإنشاء هذا الصرح العلمي الثقافي، ولعلها لم تفكر طويلا في الحصول على هذا الثمن «الباهظ»، سطرين قالهما مسئول الجامعة الكبير لمجلة كويتية، سعت إليه، لتقدم تعريفا بمؤسسته إلى القارئ العربي، عبر أوسع الدوريات العربية انتشارا.

قال الدكتور المقالح: «كانت البدايات صعبة عند إنشاء الجامعة، وقد

استغرقنا سنوات طويلة في استكمال البنية الأساسية التي تمثلت في استكمال المنشآت والمعامل والمرافق اللازمة للجامعة، ولا ننسى هنا فضل دولة الكويت التي ساهمت بدعم كبير للجامعة، تمثل في منشآت أقامتها كهدية للشعب اليمني، وتكفلت برواتب أعضاء هيئة التدريس المتعاقد معهم من الخارج»..

وكما كان الغلاف الأول عن اليمن، فقد كان الغلاف الأخير من العراق، لوحة زيتية للفنان العراقي وكان دبدوب، عن «ليلة الحنة» فأية مفارقة، وأية مصادفة؟!

وتتأكد المفارقة، وغرابة المصادفة معا، في افتتاحية العدد، التي كتبها محمد الرميحى تحت عنوان «سفر الصيف وإكرام الضيف» فيسوقه تداعى الحديث إلى كرم العرب، ووفاء العرب، وحقوق الضيوف تحت حماية المضيف، ويقتبس من شعر حاتم قوله أن المال غاد ورائح، «ويبقى من المال الأحاديث والذكر»..

وليس من مهمة هده الصفحات أن تستعرض محتوى العدد د أو تعرف بكتابه، وكل ما أردناه أن نؤكد من خلال تحليل المحتوى رسوخ التوجه القومي للمجلة، وثبات الهدف الحضاري الذي تحتضنه رسالتها الثقافية، فقد ساهم من العراق (غير لوحة الغلاف الأخير) يوسف الصائغ، الفنان والشاعر المعروف، بمقالة من دفتر ذكرياته، وفؤاد التكرلى بقصة قصيرة. ومن المغرب الدكتور مصطفى رمضاني، والدكتور عبد الرحيم الرحمونى، ومن سورية عبد الكريم فتح الله، وسمير عبده، ومن البحرين الدكتور محمد جابر الأنصاري، والقاص محمد عبد الملك، ومن مصر محمود المراغى، ومحمد سيد أحمد، والشاعر أبو سنه، والدكتور عبد الستار إبراهيم، ومن فلسطين الدكتور محمد على الفرا، والدكتور حسن عباس، والدكتور حسين فريد أبو غزالة، ووليد أبو بكر، وحسن سعيد الكرمي، وطاهر سكر القيسى، والدكتور عبد الله سليم أبو رويضة...

هناك أسماء أخرى مشاركة، لا نعرف يقينا البلاد التي جاءت منها مساهماتها، وقد كان من دأب «العربي» أن يعرف بموطن الكاتب إذا كان اسمه جديدا على قارئ المجلة، فينسبه أولا إلى أمته العربية، ثم إلى الموقع الذي نشأ فيه، فهذا من القطر العربي المغربي، وذاك من القطر العربي

السوري... الخ. والمهم أننا في هذا الرصد السريع لأسماء المشاركين في تحرير أول إصدار للمجلة، والمشاركين في تحرير العدد الذي أعقبه التوقف، لا نجد-بأي درجة-انحرافا عن رسالة الجماعية العربية، ومبدأ تفضيلا لكتابة المتميزة أيا كان صاحبها، ومهما كان موقعها وإعطاء الأدباء والمفكرين من جميع أقطار العروبة فرصا متكافئة في المشاركة، لم تختلف سياسة مجلة العربي في هذا الموقف المبدئي حين صدرت عام 1958 تعداد الكويت بكل من عليها من البشر (كويتيين وغير كويتيين) لا يتجاوز المائتين ألف نسمة إلا قليلا، وتمثل مدارس المرحلة الثانوية وما يوازيها أعلى مستوى تعليمي في نظامها الدراسي الداخلي (بصرف النظر عن المبعوثين للدراسة الجامعية خارجها) لم تختلف سياسة مجلة العربي في هذا الموقف المبدئي عنها، وهى تصدر عام 1990 مستندة إلى تكوين سكاني يتجاوز المليونين (حسب توقع المجموعة الإحصائية السنوية الصادرة عام 1988 يكون سكان الكويت عام 1990 من الكويتيين 827 ألفا، ومن غير الكويتيين مليونا و316 ألفا، وبذلك يصل التعداد العام إلى مليونين و 143 ألف نسمة) و لم تختلف العربي كذلك وهى تصدر عام 1958 وليس في الكويت كلها من يحمل درجة الدكتوراه في آي تخصص (باستثناء عدد قليل من حملة بكالوريوس الطب، وهو غير ما نعنى بلقب الدكتور) عنها وهى تصدر عام 1990 ولديها ثلاث مؤسسات أو نظم للتعليم العالي: الجامعة وبها تسع كليات نظرية وعملية وكلية للدراسات العليا ووزارة التعليم العالي ولديها كليتان وعدد من المعاهد العليا للمسرح والموسيقى والتربية الرياضية، ومعهد الكويت للأبحاث العلمية. هدا فضلا عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وغير هذا كثير من الأجهزة المعاونة في مؤسسات أخرى. ويكفى أن نذكر هنا رقما له دلالته، أمدتنا به المجموعة الإحصائية السنوية، الصادرة عام 1988 ففي هذا العام، كان و جامعة الكويت وحدها، من الكويتيين وحدهم (فضلا عن المؤسسات العلمية الأخرى المشار إ ليها آنفا) ١١ أستاذا، و55 أستاذا مساعدا، و 222مدرسا، والمجموع 288 من حملة درجة الدكتوراه في تسعة تخصصات كبيرة (بعدد كليات الجامعة) وأضعاف هدا العدد من التخصصات الدقيقة. ألم يكن في استطاعة المجلة أن تستكتب هذه الأعداد الوفيرة التي درست في أرقى جامعات العالم، وأن تجزل لها المكافأة ؟ ولي

هذا يغير من «شكل» العربي، ومحتواه، ويؤثر-سلبا-على ما حدد له من رسالة ثقافية أن يكون مركز لقاء للفكر العربي، على مساحة الأرض العربية، وأن يكود بوتقة تصهر جميع الأقلام في قلم واحد عربي الوجه واليد واللسان، متوجهة إلى قارئ واحد هو عنوان المجلة ذاتها. «العربي».

لقد أشارت دراسة كامل زهيرى إلى مثلث ذهبي يمثل عناصر النجاة للمجلة، فبعد الحرية تأتى العلاقة الحميمة بالقارئ، والإدراك الذكي للأحداث، وإننا نستطيع أن نضع هذين العنصرين تحت عنوان واحد هو متطلبات التنمية الثقافية في العالم العربي، ومتابعة وإذكاء التقدم باطراد. وإلى هذا المعنى نجد-في مجال التراث العربي مثلا-تكتفي المجلة في زمن أحمد زكى (الذي رأس تحرير 254 عددا)-بالاتجاه إلى تقديم التراث والتعريف به، أما في زمن أحمد بهاء الدين (وقد رأس تحرير 80 عددا) فقد تجاوز التعريف إلى التقويم، أو المناقشة والتأمل والاقتراح، وعلى حد تعبير بهاء الدين «حتى يعود النبض الحي إلى كل ما هو صالح وأساسي». وفى مجال آخر مثل الاستطلاعات المصورة، فإنها لم تعد تقدم مناطق أو دولا معزولة، أو فرادى في حدود التعريف بها، وإنما تقدمها من خلال «علاقات» بما يكشف من سياسات وخطط، فهناك سلسلة استطلاعات عن«المضايق العربية» و «البحار العربية» ويقول بهاء الدين كاشفا عن رؤيته لهذه الإضافة: «وهى عناوين تستدعى بطبيعتها المزج في الاستطلاع بين التقرير الجغرافي والسكاني إلى الآفاق الاستراتيجية والسياسية والتكاملية في العالم العربي».

قد يؤخذ هذا-مهنيا من وجهة نظر الصحفي-أنه نوع من الإدراك الذكي لما يحتاجه القارئ ذ، أو: كيف تعزف النغمة المناسبة-ولكنه من وجهة ثقافية قومية، هو تنمية لحس المثقف العربي، وبناء فوق المرحلة الأولى، بناء مستمر يعلى من الأساس ولا ينكره. كما كان صنيع محمد الرميحى (رئيس التحرير الثالث) بناء إضافيا فوق مرحلتين، لا يتنكر لأي منهما، بل ينطلق إلى أفق جديد، هو إضافة ودعم للسابق، لكنه بتعبير كامل زهيرى، علاقة حميمة بالقارئ وإدراك ذكى للأحداث وكما نتصوره: إضافة طبيعية لخطة التنمية الثقافية، واكتساب قارئ جديد هو أكثر وعيا، وأقوى تنوعا، من قارئ الخمسينيات، الذي بدأت به ومعه المجلة، ومن هنا شهد عصر الرميحى ميلاد شعبتين مستقلتين: الأولى في اتجاه القارئ الأكثر ثقافة، الذي يحتاج

إلى رؤية كاملة، وشاملة في موضوع واحد، فكان ميلاد «كتاب العربي»
والثانية: القارئ الصغير، الطفل، الذي ينعقد على نهوضه وتنويره أمل المستقبل بعد أن أهدرت آمال كغيرة للأمة العربية، علقت بأعناق الكبار، فلم يكونوا على درجة الوفاء بها، وحسن الأداء لما تتطلبه منهم، فكانت «العربي الصغير»، محاولة أولى نادرة، في بابها، فلم يعهد في الأجهزة الثقافية «الرسمية» أن تصدر مجلات للأطفال، وهى تفكر في المثقفين، لكن الكويت صنعت ذلك، لكل الأطفال العرب، وبهذا أصبحت

«العربي» مؤسسة، ولعلها تستكمل رحلتها بتصور جديد، ظهرت بشائره.
ستكون لنا وقفة مع كتاب العربي، والعربي الصغير، حين نتعرف على مستويات الخطاب الثقافي الكويتي، وكيف توجه إلى مجموع الأمة العربية.

ثم نصل إلى مؤتمر الإدلاء العرب الرابع، وكانت رياح القومية في عنفوانها، بل كان انبعاث تلك المؤتمرات إحدى الاستجابات الثقافية والفكرية لتلك الصحوة القومية الرائعة، والشعر الكويتي-وهو الثقافة السائدة في الكويت حتى ذاك الحين-قومي في صميمه، و مجموعه وتفاصيله، وقصائد أحمد العدواني، وأحمد السقاف وأبناء حيلهما، ومن قبلهم ا أشعار صقر الشبيب، وخالد الفرح وأبناء جيلهما قومية كذلك، ولم يكن التوجه القومي الشامل قد استطاع أن يسفر عن نفسه ثقافيا، وبشكل مباشر، حتى ذلك الوقت (1958) إلا في أمرين واضحين، يضافان إلى هذا الإبداع الشعري الخاص لشعراء الكويت.

الأول: تأسيس الصحافة القومية التى تتبنى الموقف القومي صراحة وتدعو إليه وتدافع عنه، وفى مقدمتها مجلة الرائد

(1952) ومجلة الفجر (1156) ومجلة الشعب (1656) وتوجهات هذه الصحف واضحة في اختيار أسمائها، كما تظهر في القائمين على أمرها، ونوعية ما تنشره، وهو بعض في ما فصلناه فيما كتبنا عن هذه المجلات(6)
وقد كانت هذه المجلات بدورها صدى لتجمعات قومية أخذت شكل الجمعيات أو الأندية (مثل نادى المعلمين الذي أصدر محلة الرائد، وهو نواة جمعية أو نقابة المعلمين الآن).

الثاني: تأسيس دائرة الأنباء والصحافة (وهى نواة وزارة الإرشاد آلتي تحمل الآن (سم ا وزارة الإعلام) ومن بين أقسامها قسم التراث، وقد وضع

هذا القسم خطة مبكرة لتحقيق مخطوطات التراث العربي، ونشرها، وقد بدأ فعلا بتحقيق عدد من الدراسات الحضارية واللغوية، ونشرها بدءا من عام1955 كما سنرى.

وإذا فإن مظاهر الثقافة القومية في الكويت أصيلة، مستمرة، وكانت «العربي» بمثالة إعلان موسع عن شئ موجود بالفعل، كما كانت استضافة المؤتمر بمثابة خطوة أخرى على نفس الطريق، واحتفال اتفاقي (بالمصادفة) في عاصمة «العربي» بمناسبة ظهور العدد الأول.

هي مجرد مصادفة-لاشك-أن ينعقد المؤتمر في نفس الشهر، ومصادفة أيضا، واكنها أشبه بالعم-أن يكون هذا المؤتمر الرابع تحت شعار «البطولة في الأدب العربي» نستطيع أن نعود إلى العدد الممتاز-كما سجل على علاقة- الذي أصدره سهيل إدريس من مجلة «الآداب»[7] ويحوى وقائع المؤتمر، وتوصياته، وبعضا من بحوثه وقصائده، وقد حضرته تسع عشرة دولة عربية، ووفد من الجامعة العربية، تكلم باسه الأستاذ سعيد فهيم، وذكر أن الإدارة الثقافية بالجامعة العربية، تعتبر الثقافة والإيقاظ القومي من أسمى رسالتها، ومن الطريف حقا، وهو يلقى كلمة الجامعة في مؤتمر عن البطولة أنه «حث المؤتمرين على أن يهتموا بالعمل على وصل النهضة الأدبية لتراثنا، وتوجيه العناية بالأدب الخاص بالأطفال»[8]. فكأنما كان يضع أصابعه على نقاط رئيسية في رسالة الكويت الثقافية، التي بدأت بالاهتمام بالتراث، وتشعبت- مع اطراد التجربة-ليأخذ الطفل العربي أقصى مدى أتيح له من الاهتمام، حتى نجد دراسات عن الأطفال ضمن السلاسل الثقافية كلها (عالم المعرفة، عالم الفكر، المسرح العالمي، كتاب العربي، الثقافة العالمية) ثم بلغت ذروتها بصدور العربي الصغير (عام 1986) في مجلة شهرية كاملة بعد أن كان مجرد ملحق يوزع مع «العربي» مجانا.

لسنا بسبيل عرض أو تحليل ما ألقى في المؤتمر من بحوث أو إبداعات فنية، لكننا نشير إلى أربعة أمور:

1- في التوصية الخامسة من بين توصيات المؤتمر إشادة سرقي بتلك الحرية المتاحة للحوار الثقافي في الكويت، تلك الحرية التي أشار إليها من قبل كامل زهيرى في معرض تنويهه بالطابع التنويرى في محتوى «العربي» ودوافع إصدارها أصلا، وما تقوله التوصية الخامسة هو أن المؤتمرين

«ينتهزون فرصة انتهاء الدورة الحالية ليشكروا لحكومة الكويت حرصها على تأمين الصورة المثالية لمؤتمر الأدباء العرب، بما ساد هذه الدورة من الحرية الكاملة في إبداء الآراء، وإدارة المناقشات، وبما أتيح فيها من الفرص المتساوية بين أصحاب البحوث والمعلقين والمناقشين على السواء في جو من الحرية الفكرية المطلقة».

أن تكرار الإشارة إلى «الحرية الكاملة» و «الحرية الفكرية المطلقة..» في فقرة واحدة، قصيرة، لا يمكن أن يكون من قبيل «الكلاشيهات» أو العبارات الجاهزة آلتي تجرى على أقلام المثقفين دون قصد أو تحديد للمعنى الحرفي، لابد أن شيئا ما، كان لافتا تماما، في دورة المؤتمر في الكويت، وأنه استحق التنويه من حيث نبه إلى مناخ عام قادر على تحمل أعباء عمل، أو رسالة معينة.

2- إن إدارة المؤتمر الكويتية، المسؤولة عن الدعوات وكافة مراحل العمل، وهى تعرف جيدا مشكلات المثقفين العرب مع حكومات بلادهم، وما بين بعض هؤلاء المثقفين والأجهزة الرسمية من جفوة وتنافر، لم تكتف بمن رشحتهم تلك الأجهزة ليمثلوا مثقفي بلادهم، وإنما قامت بتوجيه دعوات شخصية، لمن تعرف أنهم لن يكونوا من بين تلك الوفود الرسمية، وتعرف أن وجودهم يكسب المؤتمر مزيدا من الجدية وسلامة التوجه، وتعرف أيضا أن غياب هؤلاء الأعلام بأشخاصهم فيه تجاوز لحقائق لا يصح تجاوزها، وقد ذكر رجاء النقاش[9] وذكرنا بأن الكويت-لي ذلك العام-وجهت دعوة شخصية لأحد رواد النقد الحديث وهو محمد مندور الذي لم يكن ضمن الوفد المصري-الذي اختاره يوسف السباعي، برياسة مهدى علام، ويذكر النقاش في مقاله أن مندور-طيب الله ثراه-اكتشف أنه ممنوع من السفر أيضا، وقد استطاع-في النهاية-أن يسافر ويشارك. لابد أن هذا ومثله قد تكرر مع أشخاص كثيرين لم نعرف قصتهم بعد، ولكن هذا مسلك كويتي مستمر و الحقيقة: لا تحجر على رأى، ولا تقف عند ما تريده «الحكومات» لا بالنسبة لنفسها، ولا لغيرها. ونستطيع أن نعود إلى قوائم الذين استعانت بهم في وضع الخطة الشاملة للثقافة العربية (وسيأتي الحديث عنها) لنجد أن نسبة عالية منهم-من مثقفي مصر ومفكريها (بعضهم من العاملين في الكويت وأكثرهم وجهت الدعوة إليهم في القاهرة).

و لم يكن قطع العلاقات السياسية (في ذلك الوقت) ولا الجفوة بين الحكومتين مبررا، أو مشجبا، يعلق عليه التجاهل أو التغافل عن هذا القطاع الضخم المؤثر من المثقفين.

3- أن أحد البحوث التي ألقيت ونوقشت لي المؤتمر قام به عبد الرزاق البصير، وهو واحد من المثقفين الكويتيين، وكان بحثه بعنوان: «البطولة في الشعر الحديث».[10]، وفى هذا البحث إلحاح على أن الثقافة حق للشعب، لأنه لا بطولة دون ثقافة، «إذ البطولة تنبثق عن الإيمان بالهدف» وهذا الإيمان لا يتحقق للفرد أو للجماعة إلا إذا أدركت قيمة الحياة، وهذا لا يكون إلا إذا حصل الشعب على نوع من الثقافة». ويعود إن مبدأ ضرورة «جماعية» الثقافة وأنها حق من الثقافة». ويعود إلى مبدأ ضرورة «جماعية» الثقافة وأنها حق للشعب من زاويا أخرى حين يقرر أن الإضافة الحقيقية التي أضافها الشعر العربي الحديث، وخطا بها خطوة أبعد س ى شعرنا القديم هي تصويره وتمجيده وريادته البطولة الشعب «فلم يعد أمر البطولة مقصورا على القادة والحكام.. . وهذا هو شعرنا الحديث يتحدث عن البطولة الشعبية في الجزائر وبور سعيد، فيحسن الوصف، ويكتشف عن معدن العروبة الأصيل».

أن عبد الرزاق البصير هنا يعكس ملمحا أساسيا في التصور العام لدى الشعب الكويتي، ولدى مثقفيه بصفة خاصة، لمفهوم العروبة، والبطولة، والعمل، والمستقبل... فهذا كله من حق الشعب العربي، ولا يصح الاكتفاء في تصويره أو تصوره بالحديث عن القادة والحكام...

و في بحث البصير، الموجز، إشارتان، أخذت بهما التوصيات، وليس هذا ما يهمنا من أمرهما ألان، ولكن يعنينا ما تدلان عليه من صدق التوجه، ومؤشرات العمل في المستقبل. الإشارة الأولى عن أهمية تحقيق وطبع ونشر التراث العربي القديم، لما لهذا من «الأثر البالغ في تطوير الإحساس بالعزة: الانتقاض على المظالم». أما الإشارة الثانية فهي عن أهمية «اختيار نشيد قومي عربي يصبح شعارنا جميعا في المناسبات الخلفة، على أن يكون مصورا لأهدافنا، معبرا عن أمانينا، مفصحا عن بطولاتنا، وأن هذا النشيد سيكون بمثابة إيذان بسعينا الحثيث نحو الوحدة الشاملة وهى آتية لا ريب فيها إن شاء الله». وقد لا نشارك البصير في تفاؤله العريض بأن

النشيد القومي سيكون محركا فاعلا في التوجه نحو «الوحدة الشاملة»، ولكننا نقول إنه-في الحد الأدنى-لو أن هذا النشيد تحول إلى حقيقة شائعة لخفف من غلواء الإقليمية ومن شعارات العصبية المعلنة في ملاعب الكرة، ومهرجانات المسرح، والسينما، حين ترتفع أناشيد العواصم والحكام، فيحدث ما نعرفه جميعا ونأسى له جميعا.

4- وقد انتهى المؤتمر بوضع توصيات-كما هي العادة-لن يتحول منها إلى عمل إلا القليل جدا. كما هي عادتنا أيضا، بل قد لا يعود إليها أحد إلا حين يقترب المؤتمر التالي، ليضمن شيئا منها كلمة الافتتاح، أو يجدد التوصية بها، لكن المثير للتأمل حقا أن هذه التوصيات آلتي يفترض أنها موجهة إلى الأجهزة الثقافية في الجامعة العربية، والحكومات العربية، ثم إلى كافة المثقفين والأدباء العرب، هذه التوصيات كأنما اعتبرتها الكويت موجهة إليها قصدا، أو أنها «دليل عمل» عربي عام على من يستطيع القيام به أن ينتدب نفسه ويتقدم.

أ: فمن توصياته في مجال التأليف والنشر دعوة المتخصصين من الأدباء في أدب الأطفال إلى العناية بتثقيف الطفولة، عن طريق التاريخ العربي بكل ما يهذب النفس من المثل العربية العليا.

ولقد كانت الكويت، دعامة ومقرا، لمؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك[11]، لدول مجلس التعاون الخليجية، التي جعلت من صميم رسالتها إعداد برامج الأطفال العرب، كل العرب، فكان برنامجها الحافل «افتح يا سمسم»

وغيره، وان محتوى هذا البرنامج، ولغته، ليدل على أصالة التوجه القومي، والاهتمام بتكوين الطفل (العربي علميا وسيكولوجيا في مستوى الوعي بالماضي، والتفتح للمستقبل، والتفاعل مع الحاضر. كما كان إصدار مجلة «العربي الصغير» إسهاما مهما جدا في هذا السبيل كما سنرى في فصل قادم، ولسنا نشير إلى الاهتمام بمسرح الطفل في الكويت، أو مجلات الأطفال التي تصدرها المؤسسات الخاصة، إننا نحصر الرصد وتحليل التوجه معتمدين المؤسسات الحكومية وحدها كما ينبغي أن نضيف كيف أن الاهتمام بالطفل (العربي) لم يغب عن مخططي السلاسل الثقافية، كما سنرى في موضعه.

ومن التوصيات العامة التي قررتها في هذا المجال التوصية الخامسة،

ويقول نصها «مناشدة حكومات الدول العربية في رعاية المتعلمين من أبناء فلسطين الذين لا يجدون عملا، تخفيفا من وحدة البطالة التي يخيم شبحها على الجزء الباقي من أرض فلسطين» وإن إحصائيات السكان في الكويت لتدل بيقين لا يقبل التردد كم كان يعيش في الكويت من أبناء فلسطين، وماذا كانوا يشغلون من وظائف...)الخ.

أما التوصية الحادية عشرة فتدعو إلى أو تتمنى «إنشاء مصرف ثقافي عربي، يقوم بتمويل المشروعات الثقافية د البلاد العربية، والمساهمة في طبع الكتاب العربي ونشره على أوسع نطاق».

هذه الأمنية، الحلم، حققتها الكويت بإنشاء «مؤسسة الكويت للتقدم العلمي» التي تمول البحوث، وتمنح الجوائز على المستوى الإقليمي الكويتي، والقومي العربي في الآداب، والعلوم، وتصدر المطبوعات كما أن سلسلة «عالم المعرفة» التي يطبع العدد الواحد منها خمسين ألف نسخة تنتشر على مساحة الوطن العربي، كان إسهاما في «طبع الكتاب العربي، ونشره على أوسع نطاق» في أهم الموضوعات، وأنقى الأهداف، وأرخص الأسعار.

ب-ومن توصيات المؤتمر (لجنة الترجمة) أن تكون الترجمة أساسا نقل الروائع العالمية من مختلف الأقطار إلى اللغة العربية، والعمل على تصحيح أخطاء الترجمات السابقة.

لقد تولت الكويت، فيما يتصل بالفن المسرحي بخاصة-أداء هذا الدور بكفاءة مشهودة، إذ قامت على تجنيد المترجمين، حتى تم نقل مائتين وخمسين مسرحية عالمية، من لغات مختلفة، منذ أقدم العصور، وحتى اليوم، إلى اللغة العربية، و لم تتقيد بتجاوز ما سبق ترجمته (مثل مسرحيات شكسبير وموليير وبرخت مثلا) وإنما قدمت مكتبة مسرحية شاملة، واصلت إضافاتها الشهرية، حتى اليوم الأول من أغسطس المشهور، هذا فضلا عما نجد من ترجمات في السلاسل الأخرى، مما هو معروف.

د-أما لجنة التراث، فيتبنى المؤتمر توصيتها الوحيدة: «يوصى المؤتمر جامعة الدول العربية بتوسيع اختصاصات معهد المخطوطات الموجود بها، بحيث يشمل خدمة التراث بتحقيقه ونشره، كما يوصى بجمع الفهارس المكتوبة لهذا التراث من جميع المكتبات العامة والخاصة في كل قطر من الأقطار».

وسواء كانت الكويت مصدر هذه التوصية، أو لم تكن، فقد كانت خطتها لتحقيق التراث ونشره قد بدأت تتجسد عمليا، بصدور عدة أعداد من المعجم الضخم «تاج العروس»، وكتب تراثية أخرى-كما سنرى-غير أنها فيما بعد أنشأت مركزا للمخطوطات في الجامعة، استطاع أن يصور (على أفلام) ليس فهارس المكتبات في الأقطار المختلفة، بل المخطوطات نفسها، في جستربيتى، وبعض مراكز تركيا، وجمع وفهرسة مخطوطات اليمن الخ. وفى الكويت الآن ثلاث جهات تتولى العناية بالتراث فهرسة، وتحقيقا، ونشرا: جامعة الكويت، المجلس الوطني للثقافة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

هذه ملامح بداية، كانت في الشهر الأخير من عام 1958، وكانت الكويت في ذلك الحين دولة محدودة السكان-. محكومة الاستطاعة المادية والإدارية، ولكنها كانت تتطلع إلى القيام بدور عربي أصيل في مجال الثقافة، وكانت قد بدأت بالفعل، بأن أصدرت مجلة العربي، واستضافت مؤتمر الأدباء العرب الرابع، وإنها لبداية ذات معان... أكد الاستمرار والحرص على السداد أنها جديرة بكل الاهتمام والتقدير.

الهوامش والمراجع

(1) طرحت مسابقة لاختيار اسم المجلة، على مستوى الوطن العربي، ففاز اسم «العربي» على «الخليج العربي» و «شاطئ الخليج» راجع مقالة بدر خالد البدر: مجلة العربي فكرة إصدارها وكيف ولدت؟ في العدد التذكاري بمناسبة مرور 25 عاما: يناير 1984.

(2) كانت افتتاحه العدد توضح تحت عنوان ثابت،لم يتغير مع اختلاف رؤساء التحرير، : وهو «حديث الشهر».

(3) دراسة قدمها في احتفال «العربي» بمرور ربع قرن على صدورها(الكويت 1983) وهي بعنوان: «الدور الثقافي الذي قامت به مجلة العربي خلال ربع قرن، مع تقويم للمجلة تبويبا وتحريرا وإخراجا».

(4) لصاحب هذه الدراسة تجربة لا ينساها، فقد كان طالبا بالسنة الرابعة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ثم أرسل واحدة إلى مجلة العربي دون سابقة، وكانت تنشر لتيمور ومن في مستواه من الكتاب، ولكنها نشرت قصة «قلبي معك» في عدد أكتوبر 1960، لهذا الطالب، وأرسلت إليه مكافأة تعتبر سخية جدا في ذلك الوقت،: ومعها رسالة مشجعة من رئيس التحرير..

(5) أحمد-بهاء الدين-: حديث الشهر، العربي: يوليو 1982 وهذه سياسة ثابتة ولدت مع المجلة وفى حسبان المخطط لها. أنظر مقالة بدر خالد البدر المشار أليها سابقا.

(6) في كتاب: الصحافة الكويتية:كشاف تحليلي منشورات جامعة الكويت 1973،وكتاب صحافة الكويت: رؤية بين الدوافع والنتائج، منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية 1982 وكتاب: الصحافة والصحافيون في الكويت 1987، منشورات دار السلاسل بالكويت.

(7) وقد خصص هذا العدد من الآداب لأبحاث المؤتمر، وتوصياته (يناير 1959) العدد الأول من السنة السابعة، وقد عقد المؤتمر بالكويت(20- 28 ديسمبر 1958).

(8) مجلة الآداب (البيروتية) يناير 1959 ص 93.

(9) و مقالة له بمجلة أدب ونقد: العدد 63 نوفمبر 1990-ونضيف أن الناقد الكبير الدكتور عبد القادر القط كان ممن دعتهم الكويت دعوة شخصية كذلك.

(10) مجلة الآداب (البيروتية) يناير 1959 ص 26-28.

(11) مؤسسة الإنتاج البرامج المشترك إحدى مؤسسات دول مجلس التعاون الخليجي، ومقرها الكويت، وقد استعانت بفناني وأدباء الوطن العربي أينما تحققت الكفاءة.

2 الكويت: بعض الأسئلة.. بعض الوثائق

بعض الأسئلة:

حين يكون البحث عن «دور الكويت في التنمية الثقافية العربية» فان البداية هي «الكويت»..

لابد أن نملك تصورا واضحا بدرجة ما عن الكويت ذاتها، ومدى قدرتها على صنع «دور» وأدائه، لنتمكن بعد ذلك-كخطوة تالية-من التعرف على طبيعة هذا الدور، وخصائصه، أو توجهاته وملامحه، لنقتنع بعد هذا التعرف بانتسابه إلى صانعيه وصدوره صدورا طبيعيا عنهم، أو نحكم بأنه دور هجين أو منتحل أو ليس بدور أصلا..

ولن تتمكن هذه الصفحات المحدودة (ولعله ليس مطلوبا بإلحاح) من تقديم صورة تفصيلية لواقع الكويت عبر ثلاثين عاما أو تزيد قليلا وهى تخوض تجربة اللحاق بالقرن العشرين في أهم منجزاته الحضارية، فلا يكاد بقارب عقده الأخير حتى تكون الكويت-كما وصفها صديق ظريف-«دولة خمسة نجوم».. (مستخدما وصف فنادق الدرجة الأولى، وما تتسم به من أناقة ونظام (وراحة وأمان..) بدرجة قد تجعل البعض يميل إلى تعليل ذلك الشعور

الجارف الشديد المباهاة لدى الكويتيين بوطنهم أنه نابع مما يحقق لهم هذا الوطن من رفاهية وامتيازات مادية.. وأعتقد أن هذا تعليل ينم على الكسل في البحث، والقناعة بالأقوال القريبة والجاهزة والحقيقة أن الكويتيين طوال مائتي عام لم يكن عندهم شئ من الرفاهية، كان عندهم الجهاد المستميت في سبيل أدنى العيش، والغربة الطويلة على شواطئ أفريقيا وآسيا في سفن بدائية غير آمنة، والأوبئة الماحقة بين فترة وأخرى.. مع هذا تمسكوا بالوطن، وتأصلت النسبة «الكويتي» لاحقة بأسمائهم قبل ظهور النفط بعشرات السنين.

لا بد أن هذه «المكابدة» قد أكسبتهم صلابة الصبر على الشدائد، والرغبة في الكسب، وعلمتهم المرونة وحسن التأتي للأمور، فهم دائما الأقل عددا، فان لم تحسنوا استخدام الوقت، وتوجيه الإمكانيات، وإدارة ما يملكون.. لن يلتفت إليهم أحد، ولن يبقى لهم شئ.

وإذا كان الكويتيون بحاجة إلى تعميق انتمائهم العربي في نفوسهم، وضخ مزيد من الدماء في شرايين تواصلهم مع بقية أنحاء الوطن العربي، فليس هذا بدافع من عودة أصول غالبيتهم إلى قبائل الجزيرة العربية فحسب، وقد لا يرجع إلى كونهم-من حيث الموقع-على حافة القومية، ومن شأن بلاد الحافة، المواجهة لقومية أو قوميات أخرى أن يكون شعور الانتماء فيها ساخنا، سخونة القلق على وجودها، وإنما (بالإضافة إلى العاملين السابقين) لأن عددهم القليل، مع ثرواتهم المتنامية يمكن أن يؤدى بهم إلى نوع من العزلة، ويضعهم في صورة صاحب رأس المال المستغل، وهى صورة كريهة لا تتفق وطباع أهل الكويت البسيطة، آلتي تحتفظ بالكثير من ملامح البداوة حتى بعد سكنى القصور والفيلات، كما أن «العزلة»لا تناسب المزاج الكويتي، لأنه مزاج انبساطي، يحب الغناء، والمرح، وليس مصادفة أن فنون الترفيه من الرقص والغناء والموسيقى في الكويت يتجلى فيها بوضوح هذا الطابع الجماعي.[1]

لا نريد أن نطيل في هذا الجانب (السيكولوجي) فهو ليس هدفنا، وإنما الهدف أن نمعن النظر قليلا في «النسيم الاجتماعي» لنرى كيف استطاع أن يكتشف لنفسه دورا ثقافيا عربيا، وكيف استطاع أن يؤديه بكثير من الكفاءة والنجاح.

وهنا نقطتان سلبيتا الدلالة، وان بدت إحداهما سلبية، والأخرى عكس ذلك، ونعنى بهما . قلة العدد، ووفرة المال. وهذا صميم، فقد تدفق النفط وآتى ثماره وتعداد الكويت دون المائة ألف نسمة[2]، (وكان المقيمون من غير أبناء البلاد يقلون عن عدد الكويتيين بضعة آلاف) وعدد الكويتيين إلى آلاف دون المليون، وان ارتفعت الأرقام إلى ما يجاوز المليونين بإضافة المقيمين العرب وغير العرب. والخلاصة أن عدد السكان-مهما تعاظم-لا يزال قليلا وبخاصة حين يوضع، إزاء الدور الثقافي الذي تؤديه الكويت في الوطن العربي. ولسنا نملك أرقاما محددة أو شبه محددة للدخل العام في الكويت، قبل النفط حين كان التعامل، والثروات تحصى بالروبية الهندية، وبعد النفط، حيث التعامل بأرقام جليلة.. فمن ناحية يمكن أن يقال أن الطاقة السكانية فى الكويت أقل من أن تتحمل مسئولية خدمة ثقافية تستطيع أن تغذى بالمعرفة أمة متلهفة إليها، تتجاوز مائة مليون من البشر.. كما يمكن أن يقال أن ثروات الكويت هي التي صنعت دورها الثقافي، فليس لها من فضل غير أنها دفعت، وهى مهما دفعت، فان ما دفعته قليل إلى جانب ما تملكه..

وفى مجال الثقافة-فيما نرى-لا أهمية للعدد، ولا يمكن توزيع الأدوار تبعا ١١ لإحصائيات تزايد السكان. قد يختلف «إنتاج» الثقافة عن«صناعة» الثقافة، في بعض الأمور، فالإنتاج الثقافي نوع من الإبداع، ولا يرتبط امتياز المبدع بالتكوين العددي الذي يرتكن إليه، فكم من شاعر عظيم نشأ في أرض صغيرة، أو معزولة، وكم من ملايين البشر يزحمون الوجود بحركتهم دون أن يقدموا إبداعا يدل على مكانهم... وفى نطاق الوطن العربي سنجد هذه الملاحظة صحيحة اليحد كبير، ولقد استطاعت الحركة المسرحية في الكويت-على سبيل المثال-أن تؤكد شخصيتها، ونثبت جدارتها، في مهرجانات دمشق السنوية، حين عرضت مسرحية» أ لفريد فرج: «على جناح التبريزى وتابعه فقه» (عام 1976) وحين نالت إحدى فرقها كأس الإبداع كأحسن عمل مسرحي في مهرجان بغداد (عام 1988) عن مسرحية «رحلة حنظلة»، وليست فرق الكويت المسرحية من أصحاب السابقة في هذا الفن، ولا تنتخب هذه الفرق عناصرها العاملة من بين أعداد وفيرة تعطى خيارات واسعة، وإنما هو الإخلاص وبذل الجهد والرغبة في التعلم. وبالمناسبة،

فقد طافت الفرق المسرحية الكويتية طوال ربع قرن بين العواصم العربية ما بين فاس، والرباط، وحتى صنعاء والخرطوم، فهل كان المسرحيون الكويتيون وهم يجوبون آفاق الوطن العربي ويعرضون فنونهم، هل كانوا يتعلمون، أو كانوا يعلمون أو كانوا يعملون ويؤدون وجها من أوجه التنمية الثقافية ؟ لعلهم كانوا يصنعون هذا كله في وقت واحد، دون أن يتعمدوا الدعاية أو الأعلام.

ولا يصح-ونحن نعرض لإيجابية الثروة التي تتحول في نظر البعض الى نقطة سلبية-لا يصح أن نقلل س أثر الأنفاق، والحقيقة، كما يلاحظ المتعامل العادي مع بعض الخدمات الثقافية آلتي تؤديها الكويت، أن ميزانية الدولة تتحمل ملايين الدنانير، كي تصل مجلة العربي الى القارئ في أقصى المغرب العربي بسعر أقل من نظيرتها التي تصدر في دولته أو مدينته، وكذلك الأمر بالنسبة لجميع بلاد الوطن العربي، فتحديد أسعار المطبوعات الكويتية لا يتحدد بالقياس آلي التكلفة، ولا حتى دون احتساب أرباح بالمرة، ولا يتحدد بالقياس الى النظير في نفس بلد التوزيع، ولا يتحدد على أساس سعر العملة محولة الى المقابل الكويتي، وإنما تحدده طاقة المواطن والمستوى العام للدخل، وقدرة هذا المواطن على أن ينفق بعض ما يملك على مادة ثقافية. ويمكن أن نقرأ «ثمن العدد» المسجل على الغلاف الأخير لمجلة «الثقافة العالمية»-على سبيل المثال. إنها تباع في الكويت بربع دينار (وهو أقل من التكلفة قطعا، بل لعله لا يبلغ ثلث التكلفة) مع هذا تجد ثمن العدد في السعودية خمسة ريالات (فهو أكثر من الثمن في الكويت، وهذا طبيعي لأنه يضيف نفقات النقل، ومن ثم يحاول أن يقترب من التكلفة الحقيقية، وإن كان لا يبلغها) ولكنه في مصر يباع بربع جنيه مصري، في. حين أن ربع الدينار كان يساوى جنيها كاملا في تلك الفترة. وفى السودان يباع بربع جنيه سوداني، وهو أقل-في سوق العملات-من الجنيه المصري بكثير، ومثل هذا يقال في شمالي أفريقيا وفى أي مكان، ولسنا نريد الاستطراد في هذه المسألة، وخلاصتها أن الخدمة في مجال المطبوعات كانت مجانية تقريبا، ولا تكاد توازى أجور النقل ومصاريف الموزع المحلى، وإذا بقى من هذا كله شئ، فانه سيكون بالعملات المحلية، غير القابلة للتحويل في اكثر الدول العربية، مما يتحتم معه أن تستهلك هذه الأموال داخليا، وغالبا ما

يكون هذا في أعمال ثقافية أو إعلامية أيضا.

ونعود الى «سلبية»الثروة، التي يرى البعض أنها هي التي صنعت هذا الدور الثقافي، وأنه لا فضل للكويت فيه. ولكن يبقى سؤال:

«هل الكويت هي البلد الأكثر ثراء في الوطن العربي؟

وهل هي الأسبق الى الثراء ؟ وفى الوقت الراهن كما في خمسة وعشرين عاما مضت، هل كانت «الثرى» الوحيد في الأسرة العربية؟

إذا كانت هناك بلاد أكثر ثراء منها، وهذه البلاد-وغيرها-سبقت إلى الثروة النفطية وغير النفطية قبل أن تأخذ الكويت مكانها على خريطة الثقافة العربية فما الذي عطل سابقا، أو يعوق حاليا، أن تقدم هذه البلاد أو تلك خدمات ثقافية تشبه أو تتفوق على ما تقدمه الكويت، «وفى ذلك فليتنافس المتنافسون»؟؟

ليس العدد، وليس المال، وإنما هم الرجال، الذين يملكون المقاصد، الإرادة وقدرة العمل.. قبل رغبة البذل. هذا هو المفتاح الحقيقي الذي حرك وصنع الدور الثقافي للكويت، في الوطن العربي.

أما ونحن نتكلم عن دور الكويت الثقافي في الوطن العربي، أما ونحن لا نملك أن نتوقف عند جوانب الشخصية الكويتية في نوازعها المختلفة، فانا نؤثر أن نختار جانبين فقط، نرى أنهما عاملان شديدا التأثير في توجيه الثقافة، أو إسباغ لون ثقافي معين، فضلا عن «السماح» لهذا الدور أن يتخطى الحدود السياسية للكويت، والحدود الإقليمية للخليج، إلى مساحة الوطن العربي الشاملة. أما هذان الجانبان فهما: الحس القومي، والنزعة الديمقراطية.

أن هذا الحس القومي يأخذ معنى الضرورة في الوجدان الكويتي، بعبارة أخرى: ليس أما المواطن الكويتي-بصفة عامة-ألا أن يكون قوميا ! هناك «قوميون» بطبيعة الرابطة العرقية، و«قوميون»عن طريق الثقافة السياسية، أو الأحزاب خارج الكويت. ولسنا نقصد هؤلاء أو أولئك حين نشير إلى «ضرورة الانتماء القومي» بل لعلنا نشير إلى نقائصهما، أولئك الذين ينحدرون من أصول غير عربية، والذين لا يهتمون بالسياسة وقضاياها. أنهم يشعرون جميعا أن رابطة «الأرض» أقوى وأكثر رسوخا، وأنهم مع العرب أكثر انسجاما، وان بلادهم في إطار الترابط العربي أكثر أمانا. أن

الكويت-ككيان صغير-لا يخطر لأهلها أن يفضلوا العزلة، حتى مع استغنائهم المادي، أنهم في حاجة إلى «ظهر» «وظهير». فتاريخهم في الموقع لا يمتد كثيرا بعد القرنين من الزمان، وحاجة الإنسان النفسية إلى «التاريخ» لا تقل عن حاجته إلى «الجغرافيا» أو الأرض.. وإذا كان مثلث الجيران (العراق-إيران-السعودية) يقوم على التوازن المطلق، والاحتفاظ بالخصوصية لدى كل منها، وهذا في صالح الكويت، فاز «الظهير»-أو القوة التي يمكن أن تستند أليها الكويت في حال حدوث خلل طارئ على ثلاثية التوازن، لن تكون هذه القوة الا قوة الأمة العربية.

أن هذا التصور ليس «اقتراحا» أو «اجتهادا»، وإنما هو فكرة واعية يتحرك المثقف الكويتي في إطارها حتى ولو لم تأخذ صورة المبدأ المعلن أو الشعار، وهو نوع من «الحدس»الذي يومض (إبان الأزمات بصفة خاصة) في الوجدان الشعبي العام.

لا يعنينا-فيما نحن بصدده-أن نتذكر كيف فتحت الكويت أبوابها لأبناء فلسطين، بلا تحفظ، منذ النكبة الأولى (1948) وقدمت لهم من فرص العمل والاستقرار ما لم يتح لهم في بلد عربي آخر، ولم يكن متاحا لغيرهم بهذه الدرجة وبهذا الاتساع، في الكويت، أو نتذكر موقف الكويت من الثورة الجزائرية، وكيف فرضت على موظفيها ضريبة طوال أعوام الصراع مع المستعمر الفرنسي، أو مسارعة الكويت إلى حضور مؤتمرات القمة، ومساهماتها المادية المساندة لدول المواجهة مع إسرائيل (مصر وسوريا والأردن)... الخ أننا بصدد رصد انعكاس هذا الأيمان القومي على خطط الكويت الثقافية وعلى مكونات الفكر الموجهة لتلك الخطط.

ستكون لنا وقفة مع المحاور المكونة، أو توجهات الدور الثقافي للكويت، وسنرى أن البعد العربي الخالص، أو الممتزج بالبعد الإسلامي، يشغل مساحة ضخمة، وينطلق من قاعدة مستنيرة، لم يتحول بها إلى نوع حديث أو عصري من «الجاهلية»، ولم يقع في مقولة أن خير ما لأمتنا قد مضى زمانه، وأنه لا نجاة لنا آلا إذا أعدنا مصب نهر الزمن إلى منابعه (أو منبعه) لقد ظل هذا التوجه العربي الإسلامي على وفاق وتناغم مع المستقبلية، والإنسانية، اللتين اتسمت بهما أنشطة الثقافة في الكويت، والممتدة إلى خارجها.

قد تكون إطلالة على إبداعات أدباء الكويت وبحوث مؤلفيها دليلا مؤكدا على تطابق وانسجام التكوين الثقافي للكويت، والرسالة الثقافية الكويتية الموجهة إلى الأمة العربية. دون خطأ في التعميم ما من شاعر كويتي إلا وفى ديوانه نصيب واضح لقصائد عن فلسطين أو الجزائر، أو بور سعيد، أو اليمن، ودون خطأ في التعميم لم يتغن شعر عربي بالعواصم العربية، بكثير من الحنين والتمجيد كما تغنى الشعر الكويتي، بل وضع شاعر كويتي ديوانا كاملا عن تونس، وشاعر آخر عن الثورة المصرية، وما قيل في بغداد إبان حربها مع إيران لا يمكن تجاهله.[3]

ان بحوث أو رسائل الدراسات العليا للشباب الكويتي، وعناوين الندوات التي تدعوا إليها الكويت، وتعقد على أرضها، كأي آخر على هذا التوجه نحو الاهتمام بالوطن العربي، والنظر إلى قضاياه ومشكلاته على أنها تخص الجميع. وسنرى هذا في مكانه.

وقبل أن ننهي هذه الإضاءة الخاطفة عن تمكن الحس القومي في الكويت، نسجل ملاحظتين جديرتين بالاهتمام. أولاهما أن هذا الشعور القومي الذي وقفنا عنده ليس، أو لم نقصد أن نختصره في كونه تيارا سياسيا. أن الكويت-على المستوى الرسمي-لم تعرف الأحزاب، وان عرفتها على المستوى الواقعي الشعبي، فكان هناك القوميون، والأخوان المسلمون، والشيعة، وقد يتشعب هؤلاء جميعا إلى درجات أو طوائف تتمايز في مواقف، وتتقارب أو تتوحد في مواقف أخرى مثل الانتخابات العامة. أن ما نقصده تماما هو أن الحس القومي يتجاوز هذه التقسيمات «السياسية»-أن صح القول-إلى كونه نوعا من الإيمان العام الذي يشمل الجميع، ويعلو على كافة المبادئ السياسية، وهذا الإيمان العام يمارس قوته الضاغطة على قلة لا ترغب فيه لأسباب عرقية شعوبية، أو ضيق نظر إقليمي... ولنفترض أن إحدى اللجان الهامة، أو إحدى الوزارات برأسها واحد من هؤلاء. انه تحت ضغط هذا الإيمان العام الذي يعرف قوته وتمكنه، لا يستطيع أن يمارس شعوبيته أو نزعته الانطوائية الإقليمية إلا في أضيق نطاق ممكن، لأن الأجهزة المساعدة، والجو العام الذي يتحرك من حوله لن يلبى الإشارة بكل ما يحتمل أن تنطوي عليه، سيجد كثيرا من «حراس القومية المتحمسين» لا يعرفهم أحد، ولا يصنفون كقوميين على المستوى السياسي، يقولون له: «لا»

ويقفون دون تماديه.

أما الملاحظة الثانية، وهى ثمرة من ثمرات الملاحظة الأولى، فهي أن الثقافة القابلة للتصدير من الكويت، كانت دائما ثقافة قومية. وستكون لنا وقفة على جانب من التفصيل مع هذا الأمر. ونكتفي مؤقتا بإشارة إجمالية توضيحية، فالكويتيون من أشد الجماعات العربية إعجابا ببلدهم، وإسرافا في ذكر اسمه وإعلان الانتساب اليه، بدرجة تجعل (الصفة-النسبة) «الكويتي» خاتمة لكثير من أسماء الأشخاص، وحتى النبات وأسماك الخليج، التي لا بد أن تكون متفوقة على غيرها طعما، وثمنا. هذا مجرد مؤشر على قدر من «الشوفينية» التي لا بد أن يشعر بها، ويواجهها الزائر للكويت زيارة غير عابرة (وأين لا تجد هذا بدرجة ما ؟) وقد استتبع هذا اهتمام رائع حقا بالمكان، والحفاظ على رموزه، وطبائعه (بعد طبيعته) كجمع أمثاله العامة

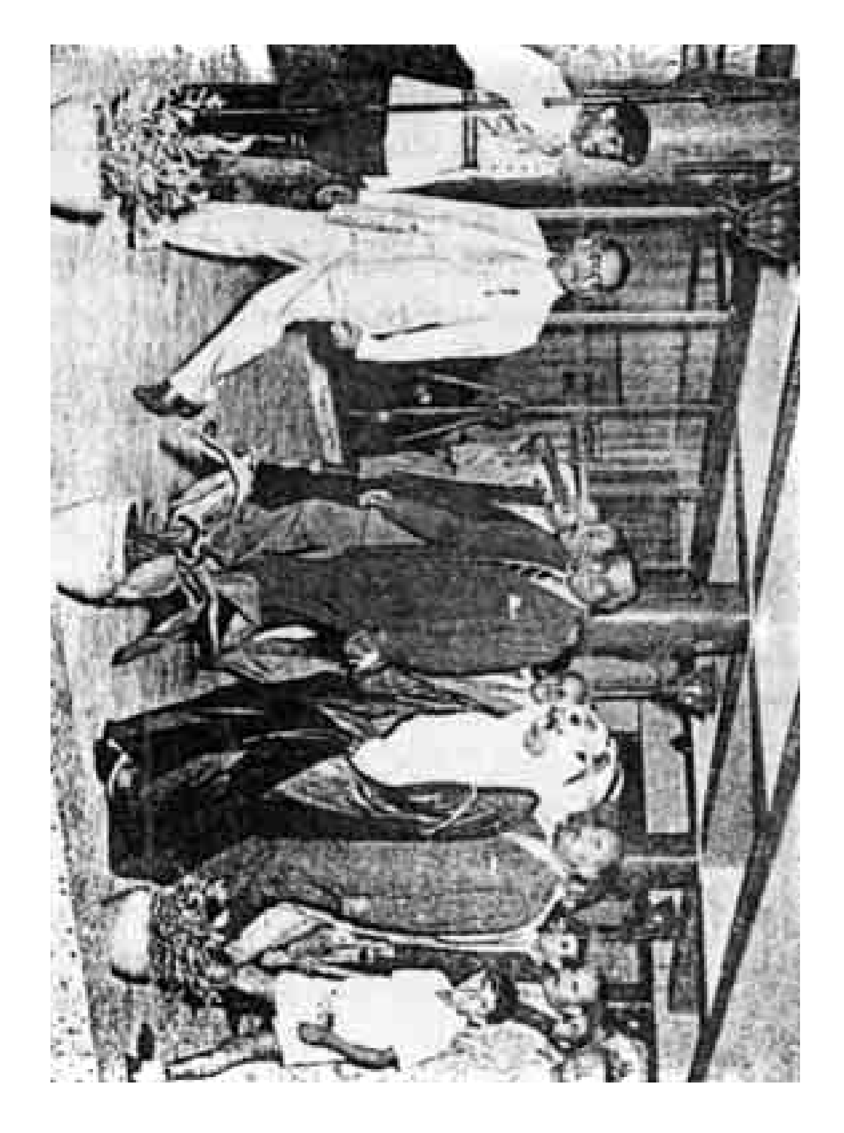
(في دراسة موازنة شاملة مع الأمثال العربية في بقاع أخرى، قام بها الأستاذان صفوف كمال، وأحمد البشر الرومي ونشرته وزارة الأعلام، مركز رعاية الفنون الشعبية، في ثلاثة أجزاء عام 1984) وجمع أغاني الأطفال (في الماضي) المصاحبة لألعابهم، مسجلة بالصورة والنوتة الموسيقية، ثم مسجلة بالحركة والصوت على شريط من أشرطة الفيديو

(قام بهذا العمل أحمد على، وبأشراف المجلس الوطني) ومثل «الموسوعة الكويتية المختصرة» التي جمعها حمد السعيدان، وهى في ثلاثة مجلدات كبيرة. وليس من هدفنا أن نحصى هذا الجانب الذي نجد عليه عشرات الأمثلة، تنبع جميعا من الاهتمام «المحلى» بالمكان، وبأهله، وبالحرص على كل شاردة من شوارد تاريخه الخاص القصير المحدود. ومع هذا فان شيئا من هذا كله لم يحاول أن يفرض نفسه على مستوى الثقافة التصديرية-أن صح التعبير-التي تدفع بها الكويت الى كافة أنحاء الوطن العربي. نستطيع أن نذكر هنا-على سبيل الاستطراف-بمقالات حاولت أن تهاجم سياسية مجلة «العربي» وتحولها الى مجلة خاصة بالكويت، معبرة عنها وحدها، حدث هذا منذ صدور العدد الأول حتى كتب أبو كامل مقالا ساخرا يتضح في عنوانه: «العربي، أو «مجلة الدكتور»[4] وبعد ذلك هاجم سيف مرزوق الشملان في مقالين متتابعين، وبتحديد أكثر، حين كتب «مجلة العربي لا تشجع الأدب الكويتي-صدر خمسون عددا على أغلفتها صور خمسين فتاة»[5]

ثم عاد فكتب «أدباء الكويت والمجلة»[6] (ويقصد العربي). مع هذا وغيره ظلت سياسة المجلة، في توزيع أبوابها، ومستوى مادتها-كما رأينا-ثابتة، سواء كان على رأسها «الدكتور» أحمد زكى، أو الأستاذ أحمد بهاء الدين، أو الدكتور محمد الرميحى. وإذا كانت «الكويت» قد ظهرت عبر صفحات التحرير في شكل دراسات أو قصائد وقصص (و لم تعد مجرد صور واستطلاعات) فليس لأن سياسة المجلة ومعايير النشر فيم كما قد تغيرت، أو تنازلت، وإنما لأن الثقافة والمثقفين في الكويت قد تغيرا، وارتفع مستوى أدائهما، وانه إذا ما قيس من الوجهة الكمية-حجم ما نشر بأقلام كويتية- على صفحات العربي-فانه لن يتجاوز حجم الكويت نفسها بالقياس إلى البلاد العربية الأخرى، وهذا يعنى-في الخصلة-أنها لم تعط لنفسها أية أفضلية، مع «دولة المقر»، ومالكة مفاتيح الأنفاق، وموجهة السياسة. وسيتأكد هذا المعنى النبيل الرفيع حين نتأمل عناوين سلسلة هامة، وعظيمة في غزارتها وتنوعها، مثل «عالم المعرفة» لقد رسمت لنفسها إطارا-فيما يتعلق بالموضوعات العربية، أن تكور المعالجة في إطار قومي موسع، غير محدد بإقليم. لقد تسامحت أو تنازلت عن هذا الشرط فيما يتعلق بالمناطق غير العربية في العالم، فهناك ما نجد كل-الأدب اليوغسلافي، آو البرازيلي مثلا. ولكن بالنسبة للعروبة فه ليم تجد غير مثل واحد فريد، لا بد أن له ظروفه الخاصة، وذلك هو «الشعر في السودان» أما غير هذا فلن نجد غير «الطفل العربي»-«السينما العربية» «الموسيقى العربية» «جحا العربي» «الرواية العربية» «الشعر العربي» وهكذا.. .

ليس مصادفة أن أقدم ناد ثقافي له طابعه السياسي في الكويت أطلق عليه «النادي الثقافي القومي» «وإن المجلة التي أصدرها منذ مطلع عام 1953 أطلق عليها اسم «الأيمان»»..

سنؤثر-فيما يتعلق بالمحور الثاني بعد القومية، وهو الديمقراطية-أن نختار جانبا قد يبدو-في مناطق أخرى من الوطن العربي-هامشيا، أو مرغوبا في تهميشه، لصعوبة انضباطه، وخطورة انطلاقه، وربما سهولة اختراقه والانحراف به أيضا، ونعنى «الحركة الطلابية» أن اتخاذ ازدهار الصحافة- مثلا-قد يعطى مؤشرا، وهو بالنسبة للديمقراطية في الكويت مؤشر إيجابي بكل المقاييس[7] (رغم وجود المادة35 من قانون الصحافة التي تعطى الرقيب



وثيقة (١)

حق تعطيل الصحيفة، وتعطى وزير الأعلام (بعد حكم المحكمة) حق سحب ترخيصها)، كما أن حوارات، وحدود سلطات والتجارب المشاهدة لمجلس الأمة في الكويت يعطى نفس المؤشر الإيجابي (رغم اللجوء إلى حل المجلس مرتين أبان ربع قرن من الحياة البرلمانية) ومع هذا فأننا نؤثر أن نكتفي بوقفة مع الحركة الطلابية في الكويت، رغم المحاذير التي قدمنا، لأنها المساحة الأيسر مجابهة، وأشغالا بأمور أخرى، وأيضا: لأنها البداية والتربية السياسية تبدأ بها وتستمر معها. أن المجتمع الكويتي ساكن المدن الأنيقة هو وريث البداوة، وفى قيم البداوة ما هو أعلى من قيم الحضارة والمدنية، وما هو منبوذ كذلك. ولن نفكر في افتراض صورة مثالية من المساواة والعدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع الكويتي، فهذا دونه حواجز كثيرة ومصاعب جمة، وليس من شك في أن المجتمع الكويتي (المحدود عددا) المتوحد ظاهريا، والمتحد في الأزمات، وفى الأفراح أيضا، ينطوي على انقسامات شتى (لا نريد أن نهون منها فنقول أن المجتمعات الأخرى تعاني منها، أو من مثلها) وهذه ظروف خاصة بالكويت التي مثلت منطقة جذب فانهالت عليها الهجرات من أطراف بادية الجزيرة والشام، والتسلل عبر الحدود المترامية برا وخليجا.

وهكذا ينقسم المجتمع الكويتي)إلى كويتيين أصليين، وكويتيين متجنسين. وينقسم عرقيا إلى عرب وعجم، ومذهبيا إلى سنة وشيعة، وقبليا إلى «أصيل» (وهو من ينتمي إلى قبيلة) و«بيسرى» (الذي لا ينتمي إلى قبيلة).

مع هذا، ودون أن نرمي إلى مداراة السلبيات، نقول أن هذه الفوارق كانت تختفي، أو تتقلص ويخف وزنها أمام انتشار التعليم، وتعمق الديمقراطية، واتساع آفاق الخبرة بالحياة من خلال مخالطة الشعوب الأخرى (بالسفر للتعليم والتجارة أو السياحة) ويمكن القول بأن جيلا جديدا لم تحسم في أعماقه حدود التمايز بين البدوي والحضري، والأصيل والبيسرى، والعربي والعجمي والسني والشيعي، والأصلي والمتجنس.. هذا الجيل في طريقه لأن يسود المجتمع العام.

هذا إذا هو المناخ العام في الكويت، يشعر بالفروق، لكنه في نفس الوقت شديد الإحساس بالتوحد شديد الاختفاء بالتمايز الفردي، ولهذا حظي كثير ممن يصفون في السلم الاجتماعي في درجة أقل، بوظائف قيادية

مؤثرة، واستطاع بعضهم-ممن يملكون القدرة-أن يكونوا قيادات فكرية وثقافية لها وزنها، ويعمل لها حساب لدى كافة المراجع في الدولة. وأخيرا فإنه مهما قيل عن تمايز نوعى، فإن الإحساس بالدونية-من بعضهم تجاه البعض-كان مستبعدا تماما، كما أن الإحساس بالتكافؤ بين أبناء القبائل كان سائدا ومستقرا، حتى ولو لم تكن هذه القبائل-عمليا وواقعيا-على مستوى واحد من الأهمية.

لقد ولدت الحركة الطلابية الكويتية في مصر منتصف الأربعينات، حين تكاثر عدد الطلاب الكويتيين في القاهرة، وانتشروا ما بين المرحلة الثانوية، والجامعية، فتجاوز عددهم الأربعمائة، وتأسس «بيت الكويت» الذي أصبح-بعد إعلان الاستقلال-سفارة الكويت. في تلك الآونة تجمع الطلاب حول الثقافة، فكانت مجلة «البعثة» رمزا لهذا التجمع، وشعارا للتوجه، لقد صدر عددها الأول في ديسمبر 1946، وقبل أن نستخلص المعنى المستفاد من هذه المجلة، التي صدرت لتعبر عن الكويت، وان تكن في القاهرة، نرى أن نضعها في سياق الظاهرة الصحفية في الكويت، وهى ظاهرة تنفرد-دون أية صحافة أخرى بإيجابيات ذات دلالة، فالمعروف أن نشأة الصحافة نابعة ومترتبة على وجود المطبعة. ولكن المجلة الكويتية الأولى «مجلة الكويت» أسسها وأصدرها الشيخ عبد العزيز الرشيد عام 1928 وهذا التاريخ يسبق ظهور أول مطبعة في الكويت بعشرين عاما، وصحيح أن مجلة الكويت عانت الكثير، وكانت شهرية، وتوقفت بعد بضع سنين، ولكن «المحاولة»-برغم هذا-لا تفقد دلالتها، أو جزءا من هذه الدلالة. ومعروف أيضا أن المهاد الطبيعي لأي صحيفة هو وطنها، وبين جمهورها، فإذا نشأت خارج الوطن فلا بد أن تكون «المعارضة» هي شعار هذا الصدور المغترب. ولكن هذا المعنى لم يكن وراء صدور «البعثة» من القاهرة. لقد كانت مجلة كويتية وطنية، وباستعراض الأقلام المحررة لمادتها، والموضوعات المثارة فيها، سنجد توازنا واضحا بين الانتماء الوطني الكويتي، والاهتمام الخليجي، والإطار القومي العربي. وبهذا يمكن اعتبار «البعثة» النسخة التجريبية لمجلة «العربي» التي انتهجت نفس السياسة باقتدار أعلى، وفن طباعي أرقى، وهذا يعنى-فيما يعنى-أن الرسالة الثقافية للكويت، أسبق في التصدير من الرسالة السياسية، وهذا ما يدل عليه ظهور مجلة البعثة

(1946) ثم صدور مجلة العربي (1958).

ولا شك أن التجمع الطلابي المبكر حول صحيفة خاصة يدل على رسوخ هذه الحركة واستقلالها، وهى إلى الآن، ومن خلال الرصد والتحليل تتمتع بقدر من حرية الحركة والتعبير عن الرأي لا نكاد نجد له نظيرا لدى الاتحادات الطلابية في سائر البلاد العربية. ولكي يكون حكمنا دقيقا معللا، فأننا قد نجد بعض الاتحادات تأخذ-شكل المعارضة الحادة للنظام، وتعبر عن هذه المعارضة بصحف حائطية استفزازية العناوين والموضوعات كما شاهدت

(على سبيل المثال) في جامعة الخرطوم أبان مرحلة من مراحل حكم الرئيس نميري وهو ما لم تصل إليه اتحادات الطلاب في الكويت. وهناك عدة فروق حتى لا تختلط أمامنا الرؤى، فالطالب الكويتي حامل ميراث المجتمع البدوي، أو الرعوي البسيط، ينشأ تلقائيا مفطورا على حرية التعبير وجرأة إبداء الرأي الصريح، وهدا يعنى أن مواقفه مستمرة، وليست وليدة فورة وقتية، ولهذا لا تأخذ طابع الموجة الطاغية أو الصاخبة، ويدعم هذا أن المعارضة في الكويت، طلابية أو غير طلابية-ليست مشحونة بدوافع أيديولوجية تتغذى من الخارج بالفكر أو المال، أو بهما معا، أنها ثابتة على أرض وطنية، ونابعة من رؤية قومية، وهذا بدوره يعصمها من المبالغة والتطرف، كما حفظ لها حضورها الدائم، وكأنها معارضة برلمانية لا يكتمل «الشكل» ولا تؤدى «الوظيفة» الا بوجودها.

ونتوقف قليلا عند بعض «وثائق» الدعاية الطلابية، لانتخاب أعضاء اتحاد الطلبة (فرع جامعة الكويت) التي أجريت عام 1987 نختار هذا العام قصدا، لأن الحرب العراقية الإيرانية كانت تجتاز أعلى مد لها، وكانت الكفتان الإسلامية والقومية تتبادلان الترجيح بإيقاع محير. ولقد كانت الكويت (المتأثرة في تكوينها السكاني بكلا الفريقين المتحاربين، والمتاخمة حدوديا لكليهما) تستطيع أن تجد حججا مقنعة لإيقاف عما الاتحادات الطلابية مزقتا، أو اختراع صيغة بديلة لا تسمح باختيار الأعضاء على أساس حزبي (على نحو ما جرى في الجامعات المصرية منذ عام 1954 ولأعوام ليست قليلة، إذ اخترع نظام الأسر، وحلت الأنشطة الفنية والاجتماعية محل التشكيلات الحزبية)، أو على الأقل عدم السماح بالدعاية

للمرشحين أو للاتجاهات، بحيث تقل فرص الاحتكاك واحتمال الصدام. لكن شيئا من هذا لم يحدث، لقد ترك الأمر كلية في حماية التقاليد الجامعية، وفى حدود الميراث الديمقراطي المتأصل. ان

«المطبوعات» التي صدرت بقصد الدعاية والتعريف بالمرشحين من الطلاب والبرامج التي يتبعونها لتكشف عن المساحة الرحبة التي يتحرك فيها هؤلاء الطلاب، وقدر الحرية المتاح لطرح الأفكار، ومناقشتها، وكما تتجسد حرية طرح الرأي، فان هذه المطبوعات ذاتها، من كتب ونشرات وإعلانات لتدل على عفة اللفظ، والتزام أدب الحوار، والحرص على عدم تجاوز الموضوع أو المناسبة، إلى أبعد مما تدل عليه.

أما القوائم المتصارعة على نيل مقاعد الاتحاد فتتضح اتجاهاتها السياسية من أدائها أو شعاراتها، فهناك «القائمة القومية الطلابية» و«الوسط الديمقراطي» و«الائتلافية»، و«القائمة الإسلامية الحرة» أما شعار القائمة الأولى أو خلاصة برامجها فهو «من أجل ترسيخ الوعي القومي، من أجل عروبة واستقلالية القرار الطلابي»، وشعار الوسط الديمقراطي تجمله عبارة: «من أحاط ديمقراطية التعليم، وحرية العمل الطلابي»، أما «الائتلافية» التي تقوم على تآلف الاتجاهات الإسلامية (غير الشيعية بصفة خاصة) فشعارها أنها «قائمة كل مسلم محب لشرع الله، وكل وطني يسعى لمصلحة البلاد، وكل طالب ينشد جامعة أفضل»، وتبقى «القائمة الإسلامية الحرة» التي استقطبت (غالبا) الطلبة الشيعة، وشعارها «في سبيل الوحدة الإسلامية» وقد كان الفوز مرات متعاقبة من نصيب «الائتلافية»، في الثمانينات بصفة خاصة، كما كان الفوز حليفا للقوميين عبر الستينيات وحتى منتصف السبعينيات. أما القائمة الإسلامية الحرة المتشيعة فأنها كانت مشاركة في النجاة أو الإخفاق من حلال مشاركات مع هؤلاء وأولئك قبل أن تبرز إلى وجود، وقد أفرزتها الحرب الإيرانية-العراقية-كرد فعل يواجه الموقف العراقي الرسمي من الشيعة في العراق ذاتها، وخارجها، فهي لم تكن تستعد إلى أسباب «كويتية» داخلية، وقد كانت-في الكويت- أنشط الجماعات دعاية، وأعلاها صوتا، وقد أصدرت مطبوعات متنوعة الوسائط، هدفها أن تعدل الصورة العامة (المحرفة عند العامة وأشباههم) عن المذهب الشيعي، وأد تروج ما تدعوه الصحوة الإسلامية التخمينية في

إيران، وتصديها لمحاولات معاداة الإسلام من الغرب والشرق على السواء، وتناقش بعض القضايا المثارة حول علاقة الدين بالقومية، وهى قضية مشتركة بين القوميين على اختلاف منطلقاتهم، ودعاة الدير، على اختلاف مذاهبهم.

سنتوقف قليلا عند مؤشر على طبيعة الحركة الطلابية في الكويت، وما تتسم به من وعى، وما تتخذ من خطوات التفاعل، وما بين الوعي والعمل من منطلقات فكرية تقدمية. نجد هذا في كتاب متوسط الحجم (من مائة وتسعين صفحة) طبع في مصر ولا يحمل تاريخ صدوره (مطبعة نهضة مصر بالفجالة) ومن المؤكد أنه صدر عام 1957، لأنه يشير إلى معركة بور سعيد (1156) واختطاف فرنسا لزعماء الجرائر الخمسة. والإضراب العربي الشامل تأييدا لمصر والجزائر، ولا يتهم تجربة الوحدة المصرية السورية (فبراير 1958) مع أن الوحدة العربية هي الخطوة الأولى- في تصور مؤلف الكتاب-لتحقيق باقي الأهداف، وعلى رأسها العدالة الاجتماعية (الاشتراكية العربية) والتقدم. عنوان الكتاب: «مع القومية العربية» وشعاره: «نحو حياة عربية أفضل» يعلوه تشكيل فني من أربعة ألوان، هي التي تتكون منها أكثر الأعلام العربية، وتشكل منها العلم الكويتي فيما بعد. لم يسفر مؤلف الكتاب عن نفسه، لكنه نسب نفسه إلى الجهة التي مولت صدور الكتاب، فجاء على غلافه: «إصدار: اتحاد بعثات الكويت» ! وقد كان هذا الاتحاد-في ذلك الحين-قاصرا على طلبة الكويت في القاهرة، حيث بدأت الحركة الطلابية وترعرعت وأسست إسهاماتها بمجلة «البعثة»- كما قدمنا-ثم ظهر فرع جديد لطلاب الكويت في المملكة المتحدة، إذ اتجه إليها قدر من الدارسين بعد وضوح الصراعات السياسية في مصر، ثم أحداث بور سعيد المعروفة. والكتاب لم يذكر اسم عبد الناصر مطلقا، مع أنه كان نجم المرحلة، ولم يذكر اسم حزب البعث أيضا، الذي كانت قواه تبرع في سوريا بصفة خاصة، وهما القطبان الأساسيان في رفع شعار الوحدة العربية، والقومية العربية إبان الخمسينات. والكتاب يقتبس من أفكار عبد الرحمن الرافعى في «تاريخ الحركة القومية»، وسامى الكيالى في «الفكر العربي بين ماضيه

وحاضرة»، ومنيف الرزاز في «معالم الحياة العربية»، وساطع الحصرى


في سبيل
الوحدة الإسلامية
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا
لا إله إلا الله
محمد رسول الله
القائمة الإسلامية الحرة
مايو ١٩٨٤ م ـ جامعة الكويت ـ رجب ١٤٠٤ هـ

وثيقة (2)





القائمة الاسلامية الحرة

جامعة الكويت

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

وثيقة (3)


قائمة كل
مسلم محب لشرع
الله
كل
وطني يسعى
لمصلحة البلاد
كل
طالب ينشد جامعة
افضل

وثيقة (4)



ما أخذ بالقوة ، لا يسترد بغير القوة

المعلم والقائد / جمال عبد الناصر

وثيقة (5)



رسالة الى شباب اليسار «مجموعة الطليعة»

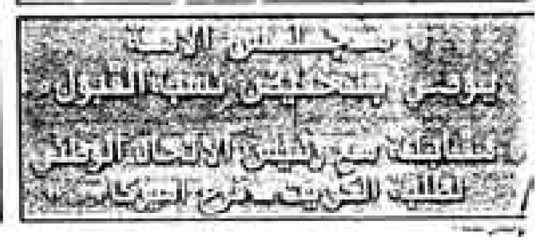
● قضية توظيف الطلبة... الى اين ؟!!



سياسة القبول



كلمة أخيرة...



وثيقة (6)

في «العروبة أولا»، ونيقولا زيادة في «العروبة في ميزان القومية» وعبد الرحمن بدوي في «روح الحضارة العربية» وجورج انطونيوس في «يقظة العرب» و غيرهم.

إننا لا نهدف إلى التعريف بمحتوى الكتاب، المصادر التي اعتمد عليها تدل عليه، والقصد انه يعبر عن رؤية متقدمة، ونظرة شاملة لقضايا الواقع العربي، حتى بالنسبة لما كتب في تلك الفترة الملتهبة بالحماسة للمد القومي العربي فهو ينظر إلى التاريخ العربي على أنه «وحدة اجتماعية» أساسها الاقتصاد والأخلاق، ويكشف عن أوجه التكامل-ومن ثم ضرورة التكافل-بين فوائض واحتياجات الأقطار العربية، ويرى أن الوحدة الاقتصادية خطوة أولى أساسية نحو الاكتفاء الذاتي، وفى اتجاه الوحدة الشاملة. ويرى أن الفساد الاقتصادي في إدارة الموارد، أو إنفاق ريعها هو المقدمة لكل فساد آخر. مع هذا فإنه لا يعقم العامل الاقتصادي، فإذ يفسر «الاستعمار» بأنه من أجل الهيمنة الاقتصادية، وأن التجزيئية السياسية التي ابتلى بها الوطن العربي هي من وسائل هذه الهيمنة، يرفض القول بحتمية الصراع الطبقي، ويرفض اعتبار «إسرائيل» نتيجة المد الرأسمالي، وإنما هي-في رأيه-دعوى قومية دينية، و«الإسلام انتفاضة عبرت عن حقيقة هذه الأمة. ومثلها العليا، وعبقريتها، وإمكانياتها، ورسالتها، ونظرتها للكون والحياة والإنسان».

أما طريق الخلاص للأمة العربية فهو النضال، بشرائطه، بأن يكون نضالا لا عقائديا يستند إلي عقيدة قومية عربية تحدد أهدافه وأسلوبه ومفاهيمه، وأن يؤسس على تحليل علمي موضوعي للواقع العربي، وأن يكون نضالا شعبيا شاملا لا تحتكره فئة، أو تستثنى منه أخرى، فهذا الشمول (باستثناء الذين يرفضونه لأن الواقع المتخلف يخدم مصالحهم) هو الذي يعمق مفهوم الوحدة العربية ويثبته، وهذا النضال الشعبي الشامل بدأ من خطة، ذات وسائل وأهداف، وتنقسم إلى مراحل..

هذه إلماعة سريعة إلى أحد إصدارات الحركة الطلابية الكويتية في الخمسينيات، وهى بقدر ما تدلى على الجدية والتفاعل مع الواقع العربي والتطلع إلى مستقبله، تدل أيضا على مساحة الحرية المتاحة للفكر والعمل في الكويت. ولقد أثمر هذا وذاك بصيرة مستنيرة، واستقلالا في الرأي، وقدرة على تجاوز المقولات الجاهزة. ونختم إشارتنا إليه بهذا الاقتباس

الدال العميق، الذي لا يزال مضمونه يتردد على أقلام المفكرين العرب إلى اليوم، كطريق وحيد للنفاذ إلى المستقبل.

«إن الاشتراكية القومية ليست نتاجا لصراع الطبقات، وإنما هي نتاج تزايد نمو الوعي القومي الإنساني السليم. إن تبلور مفهوم الوعي القومي الإنساني السليم سيؤدى إلى فهم القومية كوحدة اجتماعية اقتصادية سياسية متفاعلة، بالإضافة إلى كونها وحدة تاريخية لغوية ثقافية ووحدة في العادات والتقاليد. وهذه الوحدة من الصعب أن يوجد فيها التماسك الوثيق، ومن الصعب أن تتجسد تجسيدا شاملا يفجر القوى والطاقات، طالما بقى فيها أثرياء ومحرومون، وطالما بقى فيها ظالمون ومظلومون، وطالما بقى فيها مثقفون وأميون، وطالما بقى فيها متحررون وآخرون يأسون بالعادات البالية والأساطير والخرافات»!!

سيكون من الطريف جدا، لا نشك في هذا، أن تختبر هذه العبارات ذاتها على ضوء محتوى رسالة الكويت الثقافية التي سنتعرف عليها، لنرى درجة التوافق أو المخالفة أو التناقض بين هده الدراسة القومية التي وقف خلفها «اتحاد لغات الكويت» منذ خسة وثلاثين عاما، بما تضمنت من قيم وأفكار وأهداف، وبين ما حققه هؤلاء الطلاب المجهولون المعروفون حين تسلموا مواقعهم الوظيفية في وطنهم، واكتسبت آراؤهم قوة القرار والتنفيذ!!

وخلاصة القول هما أن التكوين الطلابي في الكويت كان يمثل قاعدة راسخة، للوعي الطلابي، والجدية في العمل الاجتماعي والسياسي معا، وكان نموذجا متوازنا للتربية السياسية البعيدة عن الانتهازية والتجنيد (السري) للسيطرة على القطيع. أن هذا يعنى-في الهاوية-أن الكويت المحدودة جدا من الناحية السكانية العددية، كانت تنطوي على خمائر للقوة والوعي، تستطيع، وقد استطاعت بالفعل، أن تحمل أعباء رسالتها الثقافية إلى أمتها العربية.

بعض الوثائق والأرقام:

هل يكفى الإيمان القومي والحس الديمقراطي (مع وجود المال بالطبع) يمكن أصحابه من تشكيل رسالة ثقافية «مقبولة» بل «مرغوبة» و «مطلوبة».على مساحة وطن عربي، مترامي المساحة، مترامي المشكلات ؟

إن «الإرادة» هي العنصر الفاعل في كل مراحل العمل، وإرادة الكويت في صنع دورها النقاد العربي واضحة قبل توافر كافة عناصر النهوض بالمهمة وكانت وقفتنا مع البشائر عام 1958 بمثابة إعلام بوجود تلك الإرادة وإصرارها على تحقيق نجاة غير مسبوق (وغير مفروض لأن النجاح لا يفرض) فارتفع توزيع «العربي» من ثلاثين ألف نسخة عند صدورها عام 1958[8] إلى أكثر من أحد عشر ضعفا (تحديدا ثلاثمائة وخمسين ألف نسخة) في أغسطس 1990 وقد بدأت «العربي الصغير»بخمسين ألف نسخة (فبراير 1986) وتوقفت في أغسطس 1990 عند مائة ألف نسخة. وبالنسبة للعربي-بصفة خاصة، فإن ما يتجاوز ثلث المليون نسخة في مطلع كل شهر لم يكن حجم الطلب على المجلة، وإنما كمان حجم طاقة مطبعة وزارة الإعلام، المثقلة بالدوريات المتتابعة، ولعل الطلب يزيد عن هده الأرقام بنسبة غير قليلة.

ويظهر حرص الكويت على رعاية الجوانب الثقافية والارتباط بها في استضافتها لبعض المؤسسات التي غادرت مقارها بالقاهرة عام 1979 عند النقل المؤقت للجامعة العربية، فكان ما آثرت الكويت أن تستضيفه. معهد الخطوات العربية، والمركز العربي للتقنيات التربوية. يضاف إلى هذين المعهدين المنبثقين عن المعظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، التابعة للجامعة العربية، ما استضافته الكويت من الهيئات الدولية، أو ما أقامته بذاتها لأداء خدمة عربية عامة، مثل: الوحدة الإقليمية لتنسيق برنامج التجديد التربوي في الدول العربية (ايبداس) وهى وحدة تابعة لهيئة اليونسكو الدولية «ومنظمة المدن العربية» و «المعهد العربي للتخطيط» وتشارك فيه الدول العربية، بهدف دعم التعاون العربي من خلال دراسات التخطيط وتكوين المتخصصين العرب طبقا لأعلى المستويات.[9]

سيكون تركيزنا ونحن نحاول تحديد ماهية أو معالم رسالة الكويت الثقافية،-على المستوى القومي-على نشاط السلاسل الثقافية، التي تصدرها وزارة الإعلام، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بصفة خاصة، مع أن مفاهيم الثقافة تتسع بل توجب أن نعرض الفنون التشكيلية، وما يقام لها من معارض، والتأليف الموسيقى، والإبداع الأدبي الخاص في مجالات الشعر والمسرح والقصة، ولكننا نكتفي حاليا برصد جهود المؤسسات الركية،

التي توجه أكثر نشاطها إلى أقطار الوطن العربي، أكثر مما توجهه إلى الداخل، على أننا لابد أن نشير إلى ثلاث مؤسسات هي بطبيعة تكوينها، واتجاه نشاطها تعنى بالكويت أصلا، وما يتجاوزها تعنى به تبعا، وذلك لسببين: أولا-أنها مؤسسات ولدت قوية، وأدت وظيفتها البحثية والثقافية بكفاءة واضحة، مما يعنى أن الهيكل العلمي التنظيمي في الكويت يتمتع بالحياة والصلابة، التي تجعله قادرا على اكتشاف آفاق رسالته الثقافية القومية، ورعايتها حتى تصل إلى مستقرها في الوجدان العربي العام، كخدمة واجبة نحو الأمة العربية. وثانيا-أن جانبا لا يستهان به من نشاط تلك المؤسسات كان موجها إلى الأمة العربية، وكان محركا للنشاط الثقافي والعلمي فيها، وكان عاملا مؤثرا في تقارب اتجاهات، ودرجات الوعي العام، بالتراث الحضاري العربي، وبواقع العصر الذي نعيش، وبصيغة المستقبل العربي المأمولة، وهذا صميم جوهر الرسالة الثقافية في الكويت.

أما هذه المؤسسات الثلاث فهي:

1- جامعة الكويت

2- معهد الكويت للأبحاث العلمية

3- مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

وبالنسبة لجامعة الكويت لن نشير إلى أعداد الطلاب، وكيف اتسعت لتخرج آلاف من شباب العرب من أبناء العاملين في الكويت منذ تأسيسها عام1966 ما بين عام1969 و1987 تخرج في جمعة الكويت 20503 طالبا وطالبة منهم 13673 من الكويتيين، وهذا يعنى أن نحو سبعة آلاف طالب عربي (غير كويتي) تلقى تعليمه الجامعي في الكويت.[10] ولا حجم التجهيزات وتعدد المكتبات، وخدمات الحاسب الآلي، والميكروفيلم، ومراكز الوثائق (مثل مركز دراسات الجزيرة والخليج) وسنكتفي بإحصائية واحدة عن أعداد هيئة التدريس بالجامعة، لكل كلية على حدة، من الكويتيين، وغير الكويتيين، وسيكون لأعداد الكويتيين في كل كلية دلالة تزايد أهل الاختصاص ومدى نشاط القدرة الخاصة وسيكون لإعادة غيرهم دلالة اتساع بوتقة توحيد أو تقارب المناخ الثقافي العربي، فليس من شك في أن أكثر كل من 90٪ من أعضاء هيئة التدريس، من غير الكويتيين هم من العرب والنسبة القليلة الباقية (10٪) يتقاسمها الغربيون والباكستانيون والهنود. إن الإحصائية

التي نكتفي بها مستمدة من آخر مجموعة أصدرتها وزارة التخطيط في نفس العام (1988)[11] الذي نتوقف عند أرقامه بشيء من التأمل.

غير أننا لابد أن نتذكر أن جامعة الكويت قد بدأت دون أن يكون بها عضو واحد بهيئة التدريس من أبناء الكويت، كانت تستمد حاجتها من الأقطار العربية، كانت جامعة عربية علمية ثقافية، وتزايدت أرقام القادمين من تلك الأقطار رغم تزايد أبناء الكويت، لأن التوسع، والرغبة في أن تظل جامعة الكويت «عربية» قد حافظ على هذه الصيغة ذات المردود الثقاة القومي، على حركة التأليف والبحث، وعلى نمو الإحساس المشترك بين العاملين في المجال الواحد:

	أستاذ	أستاذ مساعد	مدرس	الجملة
1- كلية العلوم:				
كويتي	3	13	48	64
غير كويتي	41	42	44	127
2- كلية الآداب والتربية:				
كويتي	4	19	81	104
غير كويتي	47	35	52	134
3- كلية الحقوق والشريعة:				
كويتي		6	13	19
غير كويتي	12	18	29	59
4- كلية التجارة والاقتصاد:				
كويتي	2	5	28	35
غير كويتي	19	19	29	67
5- كلية الهندسة:				
كويتي	-	7	36	43
غير كويتي	16	21	5	42
6- كلية الطب، والطب المساعد:				
كويتي	2	6	16	24
غير كويتي	34	44	68	164

ونخلص من هذا-دون أن نسرف في أثقال كاهل هذه الدراسة

بالإحصاءات والأرقام، إن جامعة الكويت، في عام 1988 كان بها من الكويتيين 288 عضو هيئة تدريس يحمل درجة الدكتوراه، ما بين أستاذ (11) وأستاذ مساعد (55) ومدرس (222). وكان بها من غير الكويتيين: 575 عضو هيئة تدبير يحمل درجة الدكتوراه، ما بين أستاذ (169) وأستاذ مساعد (179) ومدرس (227) وهذا العدد الوفير، مقسما على إحدى عشرة كلية وأكثر من ثمانية عشر ألف طالب وطالبة[12] له أكثر من مغزى، فيما نحن لصدده لقد حققت جامعة الكويت مستوى رفيعا في التوجه والأداء منذ تأسيسها، فلم تكن «معملا» لتخريج المتعلمين، بل كانت أكثر تجاوبا مع متطلبات العصر، جامعة للبحث العلمي، وخدمة المجتمع والتدريس[13]. ولا نستدل على هذا بمن خرجت من طلاب، أو بما منحت من درجات علمية عالية (الماجستير والدكتوراه) أو من خلال شبكة العلاقات البحثية التي أقامتها مع مراكز البحوث المختلفة في العالم، مع ما لهذا كله من دلالات، ولكننا سنكتفي-مؤقتا-بوثيقة واحدة، تبين كيف كانت جامعات تسبق جامعة الكويت وجودا، ومع هذا ترسل إليها بحوث أساتذتها المتقدمين للترقية، لتقويمها، والحكم عليها. أما معقد الكويت للأبحاث العلمية، فقد أنشئ عام 1967، وتطورت أوضاعه حتى اكتسب سخصية اعتبارية، وأصبح مؤسسة عامة عام1981 يديرها لرئاسة وزير الدولة. واهتمامات المعهد كويتية خالصة ولهذا يحتسب نشاطه في إطار دعم القدرة العلمية الخاصة للكويت، أخر ما تدل عليه إحصاءاته أنه في عام1989 كان الموفدين من باحثيه للحصول على درجة الدكتوراه (37) موفدا، وعدد الموفدين للحصول على الماجستير (29) موفدا.[14]

ونصل إلى مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، وقد أسست عام 1976, ونص المرسوم الأميري بإنشائها على أهداف، من لينها:

- تقديم المنح والجوائز والمكافآت لدعم التطور الفكري والحضاري في الكويت والأقطار العربية الأخرى.

- -تشجيع ودعم وتنمية مشاريع البحوث والبرامج العلمية المشتركة بين الهيئات العلمية الكويتية من جهة، والعربية والدولية من جهة أخرى.[15]

- ومن الأساليب التي تنتهجها المؤسسة و تشجيع العلماء والباحثين في الكويت والبلاد العربية والإسلامية-غير تمويل ودعم البحوث المشتركة-

تقديم جوائز سنوية (جائزة الكويت، وجائزة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، وجائزة معرض الكتاب العربي، وجائزة أفضل باحث) وكل جائزة من هذه الجوائز تنقسم إلى شطرين، ينالها في كل فرص شخص كويتي، وآخر عربي، إذا ما توافر كل من يرتقى عمله إلى مستوى الجائزة من كليهما.

لقد تنوعت أنشطة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، وتشعبت لتصبح شعاركما أساسيا في صنع الثقافة العربية، وتشكيلها، و لم نكن نعرف عنها في سنواتها الأولى غير أنها تمنح الجوائز الأدبية والعلمية لكبار الأدباء والعلماء العرب، كما تمنح جائزة لأحسن كتاب كويتي، وأحسني كتاب عرفي (غير كويتي) في معرض الكتاب بالكويت، كل عام، وهى جميعها جوائز سخية، ولكن الأمر تعدى هذا النشاط الرمزي الموسمي، إلى المشاركة التأصيلية الدائمة، من خلال استضافة المحاضرين، وتسجيل محاضراتهم صوتيا، وبالفيديو، لتصميم كتابا مسموعا مرئيا، ومن خلال سلاسل مطبوعات متخصصة، لدعم المكتبة العربية، ومساندة حركة التعريب، وقد أصدرت بالفعل السلاسل التالية:

١- الموسوعة العلمية

2- كاتب وكتاب

3- الكتب المترجمة

4- المؤلف الناشئ

5- الرسائل الجامعية

6- الثقافة العلمية

7 التراث العلمي العربي

8- موسوعة الكويت العلمية للأطفال.

إن تحت كل محور س هذه المحاور عددا من المؤلفات القيمة، التي عرفت طريقها إلى معارض الكتب في الأقطار العربية، وتدخل في صميم النسيج الثقافي من باب الجودة الفنية، والأهمية العلمية[16].

ومن الواضح-من مجرد قراءة العناوين والتعرف على المحاور-أن نشاط المؤسسة مناصفة بين خدمة البيئة الكويتية، وخدمة الثقافة العربية والفكر العربي بوجه عام بل لعل هذا القسم الأخير يحظى بالقدر الأكبر من الاهتمام والرعاية.



الترقيات العلمية / ٥١٤٦٦ (سري) شوال / ١٩٨١/٩/[illegible]

إلى / الأستاذ الدكتور عميد كلية الآداب
جامعة الكويت
دولة الكويت

م/ تقويم أبحاث

تحية طيبة ...

قد دأبت جامعة بغداد على إرسال أبحاث أعضاء الهيئة التدريسية فيها عند النظر في ترقيتهم لمرتبة الأستاذية إلى أعلام مبرزين في الاختصاص لدراستها وتقويمها من حيث الأصالة والابتكار وفيما إذا كانت تحتوي على إضافة جديدة للمعرفة.

ونظراً للمكانة العلمية التي تحتلونها بجامعتكم الموقرة لذا فإننا نرفق لكم بحثاً من النتاج العلمي للدكتور [illegible] الأستاذ المساعد في كلية الآداب بجامعتنا.

راجين التفضل بتقويمها وفق الاستمارات المرفقة علماً بأن تعذر ذلك عليكم نرجو إحالتها إلى أحد التدريسيين ممن تتوسمون فيه الخبرة والكفاءة والمستوى العلمي في اختصاص طالب الترقية ممن هم بمرتبة أستاذ.

نرجو أن ينال هذا الموضوع اهتمامكم ونأمل استلام إجابتكم خلال شهر شاكرين تعاونكم معنا في هذا المضمار العلمي.

تفضلوا بقبول فائق الشكر والتقدير.

المرفقات
٧ أبحاث مع الاستمارات
السيرة العلمية

الدكتور [illegible] عبد العزيز [illegible]
المساعد العلمي لرئيس الجامعة

نسخة منه إلى /
سكرتارية لجنة الترقيات العلمية / لصرف المكافأة التقديرية وقدرها / ٣٠٠ ثلاثمائة دينار عند استلام التقدير.
[illegible] الصادرة

[illegible] ٩/١١

وثيقة (7)

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الكويت
كلية الآداب
مكتب العميد

سري

التاريخ ٢٩/ ٩ / ١٩٨٦

الى : السيدة الدكتورة رئيسة قسم اللغة العربية وآدابها المحترمة

الموضوع : ملف الإنتاج العلمي للدكتور جميل نصيف
جاسم الأستاذ المساعد بكلية الآداب من جامعة بغداد .

يرجى :

- ☐ الافادة بالرأى في موعد أقصاه ....
- ☑ لاتخاذ ما يلزم والافادة .
- ☐ الرد مباشرة .
- ☐ الاحاطة علما .

كلية الآداب مكتب العميد
صادر
الداخلي ٨٩١
٢٩/ ٩ /١٩٨٦

الى الأستاذ الدكتور/ محمد حسن عبدالله
يرجى التفضل باتخاذ اللازم نحو موضوع ترقية الدكتور/ جميل نصيف والإفادة في أقرب فرصة ممكنة

٤/ ١٠/ ٨٦

المرفقات :
الأوراق المتعلقة بالموضوع
وعددها (٨) + النتاج العلمي .

٢/ ١٠/ ٨٦

وثيقة (8)

مؤشرات الأرقام:

إننا لا نملك الآن أرقاما تفصيلية لميزانيات هذه المؤسسات العاملة في خدمة الثقافة (على المستوى القومي) وأوجه إنفاق تلك الميزانيات، ولعلنا- أيضا-لا نرى ضرورة ملحة للإغراق في حديث الأرقام أو الاستنتاج منها وحدها، فمن جانب نرى أنه لا جدوى لقوائم الأرقام إن لم يصدقها عمل ملموس يجده المواطن العربي قائما بين يديه هو شخصيا أو شاخصا في مرأى معلوماته اليقينية، حيث لا يختلف على وجوده، كما لا يختلف على أهميته، ولن تكون أرقام المال-منفردة-دليلا على العمل، أو على وجهة العمل، والأهداف المرتجاة منه، و كم من ميزانيات عظيمة الأرقام، في هي عند التنفيذ تستهلك ما بين رواتب الكبراء والخبراء، وحيل السماسرة والمنتفعين، فلا يصل منها في النهاية-إلى مصبها . الحقيقي-غير قطرات لا تروى ظمأ.

إن آخر ميزانية معلنة للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (عام87/ 1988) تبلغ بالدنانير الكويتية ثلاثة ملايين، وثلاثمائة وخمسة وستين ألف دينار. ونقرب هذا الرقم إلى الدولار الأمريكي (الدينار الكويتي ثلاثة دولارات أمريكية: نصف الدولار تقريبا) فيرتفع الرقم إلى ما يقارب الاثنين عشر مليونا من الدولارات، في السنة-كما قدمنا (ولعل الرقم كان أقل في السنوات الأسبق) ومهما يكن، فإن هذه الملايين كانت وراء صدور «عالم المعرفة» و «الثقافة العالمية» وإقامة معارض الكتب، والمعارض الفنية في العواصم العربية، وإقامة الأسابيع الثقافية، وسيل المطبوعات التراثية والمترجمات الثقافية[18] ولسنا نحاول أن نجمع أشتات ما تنفق الكويت من أموال في سبيل الخدمة الثقافية على المستوى القومي، فهو متعدد الجوانب، ومتداخل أيضا مع خدمات أخرف.. يكفي أن نتذكر أن هذه الخدمة الثقافية فما أنصبة ثابتة في مجالات وزارة التربية ووزارة الأوقاف، ووزارة الإعلام، ووزارة التعليم العالي، بما يتبعها من معاهد وجامعة الكويت أيضا.

غير أننا نشعر بأهمية أن تكون لنا وقفة متأنية-بعض الشيء-مع جهود الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي، وهذه الهيئة توضع ضمن العلاقات الخارجية، وليس بدعا أن تكون أنشطتها-في تصميمها-ثقافية، فهذا الوجه الحضاري هو الذي آثرته الكويت في علاقاتها العربية. ومن الواضح في تسمية الهيئة أنها خصصت لمساعدة إمارات الخليج التي لم يكن النفط قد

ظهر بها، وتحتاج إلى دعم مادي لتحافظ على سكانها، وتواكب حركة التطور والتعمير في الخليج، ثم الجنوب العربي، أو اليمن بشطريه، وما يقاربه من مناطق نعرف مدى «الإهمال التاريخي» الذي تعرضت له، والتخلف المضني الذي فرض عليها طوال حقب وعصور. رمن المؤكد أن نشاط الكويت في مجال تنمية الخليج ثقافيا وحضاريا سبق تكوين الهيئة، التي أنشئت أصلا لتنظيم هذا الدور وأفراده برعاية ومسئولية محددة.

لقد حفظت لنا المجموعة الإحصائية السنوية أرقام ميزانية الهيئة على مدار الخمس سنوات الأخيرة (ما بين 1983- 1988) فكانت كالآتي:[19]

1- عام 83/1984 بلغت ميزانية الهيئة خسة عشر مليونا، وثمانمائة وخمسة وعشرين ألفا من الدنانير (000 ,825 ,15) دينارا كويتيا.

2- عام 1985/84 بلغت الميزانية خمسة عشر مليون، وسبعمائة وعشرين ألفا من الدنانير (000 ,720 ,15) دينارا كويتيا.

3- عام 1986/85 بلغت الميزانية ثلاثة عشر مليونا، وأربعمائة ألف دينار) (000 ,131400) دينارا كويتيا.

4- عام 1987/86 بلغت إلى تسعة ملايين دينار، وتسعمائة و ثلاثة وستين ألفا من الدنانير (000 ,963 ,9) دينارا كويتيا

5- عام 87/1988 بلغت الميزانية أثنى عشر مليونا وخمسمائة وخمسة وعشرين ألفا من الدنانير (000 ,525 ,12) دينارا كويتيا.

ونحن نقرأ هذه الأرقام سنضع في اعتبارنا أمرين لنتمكن من مقاربة ما تدل عليه:

1- أن الدينار الكويتي يساوي ثلاثة دولارات ونصف الدولار الأميركي، وهذا يعني أن الرقم (في هذه السنوات الخمس التي تمدنا بها الإحصائية) يتحرك في مستواه الأدنى حول الخمسة والثلاثين مليونا من الدولارات، ويرتفع في مده الأعلى (في حدود الإحصائية) إلى ما يتجاوز الخمسين مليونا سنويا.

2- أن هذه السنوات الخمس كانت تشهد نوعا من الانكماش الجبري في بعض الأنشطة الكويتية الداخلية (الموجهة إلى الموطن) والخارجية التي تبذل كمساعدات بسبب موقف الكويت (في تلك السنوات خاصة) من الحرب العراقية الإيرانية، وما حملتها من أموال وجهود متنوعة، والتزامات

أدبية.

غير أننا نعرف، وسنقدم وثائق هذا في حين آخر، أن ميزانية الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي تجاوزت في بعض سنواتها ثمانية عشر مليونا من الدنانير. ومع هذا-فيما نرى-أن القضية الأهم هي: فيم أنفقت هذه الملايين عبر السنين؟ وهل اتسع الخليج لهذا الكم الهائل؟ وإلى أين ذهبت هذه الأموال بعد أن أصبحت إمارات الخليج جميعها-أو في مجموعها-إمارات نفطية تستطيع أن تنفق على نفسها بسخاء وتحفظ مشروعاتها دون مساعدة؟

تقول الحقائق والأرقام[20] أن الهيئة ركزت جهودها منذ إنشائها لمساعدة الجمهورية العربية اليمنية، وجمهورية اليمن الديمقراطية. ولكننا نجد لها جهودا واضحة و إمارات الخليج، التي أسفر اتحادها عن قيام «دولة الإمارات العربية المتحدة»، ومن ثم فقد أنهت الكويت أعمالها، وأغلقت ملف مساعداتها الفنية للدولة الجديدة الغنية بمواردها النفطية، وهذه العبارة تحدد المدة، كما تحدد مفردات «العمل»: في اليوم إلحادي والعشرين من شهر سبتمبر عام 1972 تسلمت دولة الإمارات العربية من الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي 33 مدرسة، ومعهدين للمعلمين والمعلمات، ومعهدا للدراسة التجارية، وأربعة مستشفيات، وخمسة مستوصفات، عدا محطة التلفزيون، التي استمرت إلى نهاية ديسمبر من عام 1972 .هذه جهود الكويت في النهوض بست من إمارات الخليج، قل اتحادها مع غيرها في دولة الإمارات، وقد بدأت هذه المشروعات منذ عام 1953 (مما يعنى أنه لم يكن مر على تصدير النفط من الكويت ذاتها اكثر من سبع سنوات وكان نصيب الكويت من عائداته ضئيلا جدا، ويعنى أيضا أن طريق المساعدات بدأ قبل إعلان الاستقلال بثمانية أعوام) وتدل العبارة أيضا-التي تنص على أن الدولة «تسلمت» أن الكويت/تكن تنشئ فقط هذه المؤسسات، وإنما كانت تنشئها وتديرها، وتنفق على صيانتها.

وفى البحرين قامت الهيئة ببناء 42 مدرسة، وأربعة مبان لكليات جامعة البحرين، و 12 مركزا صحيا، وتكملة مركز السليمانية الطبي، ومجمع سكنى للممرضات، ومحطة للإرسال التليفزيوني. ونقول ملحوظة تحدد مستوى العلاقة «هذه المشاريع يتم تأثيثها، وتجهيزها، قبل تسليمها لحكومة

البحرين».

وقد ارتبطت مساعدات الكويت لليمن باستقرار العهد الجمهوري، وانتهاء نظام الإمامة الذي لم يكن ليسمح بأية محاولة للتنوير أو الآلات، كما ارتبطت مساعدات اليمن الجنوبي برحيل بريطانيا وانتهاء الاستعمار. فبالنسبة الجمهورية العربية اليمنية كانت البداية عام 1963 . ثماني مدارس، ومستشفى عاما، وخمسة مستوصفات، ودارا للمعلمين، ومكتبة عامة (بالإضافة إلى مسجدين على نفقة أمير الكويت ا لشيخ عبد الله السالم).

وامتدت المساعدات الثقافية، وتنوعت قنواتها، حتى انتهت إلى الصورة الإجمالية التالية، في عام 1988:

16- مدرسة-ابتدائية

29- مدرسة-إعدادية

13 مدرسة ثانوية

10 معاهد عليا وكليات

ثم...

توجت الكويت مساعداتها بإنشاء جامعة صنعاء داوت الكليات الست: الشريعة و القانون، و التربية، والعلوم،

وآلاداب، والتجارة، والاقتصاد والعلوم السياسية، والطب والعلوم الصحية.

لم يتوقف الأمر عند بند «الإنشاء» على ضخامته، وما يعنى من تيسيرات فالكويت-وإلى اليوم-تقوم بالجانب الأكبر من الرعاية العلمية والمادية لهذه الجامعة... فمند عام 1972 والكويت تتكفل بهيئة التدريس، التي بلغ مجموعها271 عضوا من بينهم 150 أستاذا، وأستاذا مساعدا،: مدرسا من حملة الدكتوراه، فتدفع لهم رواتبهم وبدل طبيعة العمل، ونفقات السفر، وتوفر لهم السكن، بالإضافة إلى ما يتطلبه التوسع في منشآت الجامعة وما يستجد من مطالبها، ففي هذه المدة شيدت الكويت-في نطاق الجامعة-خمسة عشر مبنى مستقلا.(21)

ويبدأ عمل الكويت في اليمن الديمقراطية عام 1970 وينمو حتى يحقق: 48 مدرسة ما بين ابتدائية، وإعدادية، وثانوية، ومكتبة عامة، ومركز تنمية إدارية، وعددا من المعاهد العليا والمتوسطة، وما يلزمها من المدرسين المؤهلين إلى درجة الدكتوراه ومع أن أعمال الهيئة، محددة بقرار إنشائها، تحصر

نشاطها في الخليج وجنوب الجزيرة، فإنها-حين وجدت الفرصة-امتدت إلى جنوب السودان لما نعرف من أوضاعه الاقتصادية، وترامى مساحاته، وما يترتب على هذه وتلك من مشكلات التعريب أو التغريب التي نعرف. وليس من شك في أن هذه المعاني كانت وراء اختيار جنوب السودان بالذات، وانتقاء «مفردات» المساعدة على نحو خاص، فتقول عبارات التقرير الموجز «في جنوب السودان ورغم الصعوبات الضخمة القائمة هناك، قامت الهيئة العامة ببناء مجمع سكنى للموظفين السودانيين، يضم أربعين مسكنا صغيرا في جوبا، إلى جانب 214 مسكنا شعبيا، ومستشفى للأطفال، يتسع لخمسين سريرا وللهيئة مكتب مقيم في جوبا يتولى التخطيط والإشراف، على إنشاء عدد من المدارس والمساجد حاليا».

الهوامش والمصادر

(1) وقد كانت سفينة الغوص تحتفظ بالنهام، وهو المغنى، الذي يطلق صيحاته الشجية موافقة لنوع العمل المطلوب، مثل رفع الأشرعة، أو التأهب للغوص، الخ، ورقصة «العرضة»-وهى أشهر الرقصات البدوية حيث يلعب الشباب والشيوخ في صف متماسك بالسيوف، ويرددون الغناء الجماعي. ويؤدى التصفيق الجماعي دورا إيقاعيا أساسيا في أي لحن خليجي، ولهم فيه فنون لا يستطيعها غيرهم.

(2) هذا رقم تقديري، إذ تدفق النفط وصدرت أوائله عام 1946، أما أول تعداد فقد أجرى عام 1957 وتسجل المجموعة الإحصائية السنوية 1988، (ص 27) أن عدد السكان الكويتيين في ذلك العام (1957) بلغ 113,622 نسمة وعدد غير الكويتيين في نفس السنة 851,92 نسمة، أما في عام 1990 فالعدد تقديرا 586,826 كويتيا و 1,316,014 غير كويتي، فتكون جملة السكان 600,142,2 نسمة.

(3) ديوان الشاعر فاضل خلف «على ضفاف مجردة» عن أيامه في تونس، وكان يعمل بسفارة الكويت هناك، وديوان محمود شوقي الأيوبي «ألحان الثورة» يتغنى بعبد الناصر والمد القومي في الخمسينيات.

(4) مجلة الشعب الكويتية 8/1/1959 وغالبا تدل الكنية (أبو كامل) على أن كاتب المقال غير كويتي.

(5) صحيفة الوطن: 1963/1/7

(6) صحيفة الوطن: 1963/12/16

(7) تصدر في الكويت سبع جرائد يومية: الرأي العام، السياسة، القبس، الوطن، الأنباء، وهذه الخمس باللغة العربية، أما آداب تايمز، وكويت تايمز فتصدران باللغة الإنجليزية والأوردية والملايالا الهندية. وهناك أكثر من سبعين مجلة بين أسبوعية وشهرية متنوعة ما بين الأدب والطب، والتربية، والرياضة... الخ وتضم جمعية الصحفيين الكويتية 400 عضوا (كويتيا وغير كويتي) أما وزارة الإعلام فقد أصدرت اكثر من700 بطاقة صحفية للعاملين في الصحافة، أي النقابيين وغير المتفرغين.

(8) ورد هذا الرقم في مقال بالعدد التذكاري لمرور ربع قرن على صدور العربي ص 22-العدد 302 يناير 1984، وبقية الإحصاءات من إدارة مجلة العربي وأرشيفها بالقاهرة.

(9) راجع في هذا: الكويت: حقائق وأرقام 1988- وزارة الإعلام ص 102, 103

(10) الكويت: حقائق وأرقام (1988) ص 228

(11) نرجع في هذه الأرقام إلى «المجموعة الإحصائية السنوية» التي أصدرتها وزارة التخطيط (الإدارة المركزية للإحصاء) عام 1988-العدد الخامس والعشرون: الجدول رقم 346 ص 408

(12) أشارت إحصائية هيئة التدريس إلى كلية الآداب والتربية، وهما كليتان لا واحدة، وكذلك الأمر بالنسبة للحقوق والشريعة، والطب والطب المساعد، فهذه تسع كليات، يضاف إليها كلية البنات، وكلية الدراسات العليا. راجع: الكويت: حقائق وأرقام 1988- وزارة الإعلام ص 220- 221،

ويضاف إلى كليات الجامعة كليات ومعاهد عليا تتبع الهيئة العامة للتعليم التطبيقي، ووزارة التعليم العالي مثل: كلية التربية الأساسية، كلية الدراسات التكنولوجية، المعهد العالي للتربية الموسيقية، المعهد العالي للفنون المسرحية، المعهد العالي للتربية الرياضية.

(13) وقد تجسد الهدف العام في جهاز محدد هو «مركز خدمة المجتمع والتعليم المستمر» التابع للجامعة، ويهدف إلى تطوير القدرات العلمية والثقافية والفنية للمنتسبين إليه، دون أي شرط خاصة بسنوات الدراسة أو السن أو المؤهل، بعد اجتياز اختبار للمستوى، وتحديد لوجهة الدارس.

(14) دليل مراكز البحث العلمي في دول الخليج العربي ص 47 مكتب التربية العربي لدول الخليج: الرياض 1989

(15) المصدر السابق: ص 51

(16) في المجال التربوي-على سبيل المثال-نجد: الجامعات المفتوحة، التقنيات التربوية في تدريس العلوم، التعليم الذاتي وتطبيقاته التربوية، مناهج البحث التربوي (ترجمة). وعن الطفل (وهو محور اهتمت به كافة المطبوعات الكويتية، وأولته ما يستحق من اهتمام نجد غير الموسوعة العلمية: رعاية الحضين، دليل الآباء والمعلمين في مواجهة المشكلات اليومية للأطفال والمراهقين، من أنا؟ (البرنامج التربوي النفسي لخبرة من أنا؟ الموجهة لأطفال الرياض بين النظرية والتجربة إلخ..

(17) المجموعة الإحصائية السنوية 1988: ص 284

(18) لن نحاول الوقوف عند ميزانية وزارة الإعلام، فمهمة هذه الوزارة تتجاوز الرسالة الثقافية على المستوى العربي القومي، إلى المحيط العالمي، ولكننا سنذكر لها إلى جانب الإذاعة التي تبث برامجها العربية دون توقف ليلا أو نهارا، وتبث باللغات الأوربية، والفارسية، ولغات أوروبا، فضلا عن إذاعة الموسيقى، وإذاعة القرآن الكريم، سنذكر لها حرصها على سلسلة من المسرح العالمي التي بلغت (250)مائتين وخمسين مسرحية، ودوريتها الفصلية الضخمة-المتميزة «عالم الفكر».

(19) المجموعة الإحصائية السنوية 1988: ص 285 جدول-رقم 254

(20) من كتاب: الكويت: حقائق وأرقام ص 103 وما بعدها.

(21) ولم نشر إلى مستشفى الكويت العام بصنعاء، الذي يضم 250 سريرا، و16 قسما، وبه 49 طبيبا و125 ممرضة... الخ، فهذا ومثله مما أشرنا إلى بعضه لا يدخل بشكل مباشر-فيما يفهم عادة من الثقافة والعمل الثقافي.

القسم الثاني
المحتوى الوسائل والأهداف

3 رسالة الكويت الثقافية

«تحليل المحتوى»

لم نبدأ في هذه الدراسة بتحديد مصطلحي الثقافة، والتنمية، اللذين تقوم عليهما، (مع الأهمية المنهجية) لكثرة، وتداخل التحديدات في الأول وشيوع الآخر وبلوغه حد الابتذال في التداول، ورأينا أن تحديدا أو الاقتراب منهما، من خلال مفردات المحتوى والأهداف المتوخاة من اختيارها، وتنظيم توقيتها، وإيقاعها، والخدمة المبذولة في تحليتها للمتعاملين معها، ربما يكون هذا المسلك (العملي) اكثر تناسبا ورسالة الكويت الثقافية، التي توضع كخطة نظرية متكاملة منذ البدء مبرمجة على مراحل تظهر تباعا، وعلى غير ممكن عمليا، بالنسبة للكويت أو لأية دولة عربية على حدة (مهما كانت استطاعاها) لأن هذا العمل ينبغي-لكي يتم-أن يتجاوز مرحلة تحليل الواقع العربي الشامل، والتعرف على خصائصه الإيجابية (ثقافيا) لتنميتها، والسلبية لتغييرها، إلى قياس التغير والعطور بصورة مستمرة، وتعديل الخطة وتنمية الأهداف بناء على ما تحقق بالفعل، واختبرت نتائجه. مع هذا يمكن القول دون أدنى مجازفة-أن رسالة الكويت الثقافية الموجهة إلى الأمة العربية تأخذ نسق الخطة

المتكاملة، المبرمجة بدافع من ثبات الأهداف وتجنيب أساليب الأداء أي تخلخل أو اضطراب، بسبب من تحكم المزاجية الشخصية، أو اختلاف المواقف الرسمية (الحكومية) ما بين مرحلة وأخرى، أو تبعا لمجريات الأحداث السياسية والاقتصادية التي تتعرض لها الكويت، أو تتعرض لها العلاقات الكويتية-العربية بشكل عام.[1].

إذا استطعنا-بطريقة ما-تجنب الجدل حول ماهية الثقافة، فإننا لن نستطيع أن نفعل الشيء ذاته في تحديد أهدافها، فهذه الأهداف هي التي تؤدى إلى تحديد المحتوى، وفرز الصواب من الخطأ، والمقبول والمرفوض من الأساليب. أما الهدف، أو الأهداف، فيقربها إلينا التطلع إلى الحد الأقصى أو المثل الأعلى، وهو العلو إلى أقصى حد بالتكوين العقلي والروحي الأخلاقي للإنسان، وبطريقته في التفكير، وتأمل العالم وتذوقه، آي أن تصبح الثقافة تكوينا باطنا، داخليا، تلقائيا في الإنسان، لا يعود معه محتاجا إلى عون خارجي.[2]

ويضيف مالك برت نبي: «أن أساس كل ثقافة هو بالضرورة تركيب، وتأليف لعالم الأشخاص، وهو تأليف يحدث طبقا لمنهج تربوي يأخذ صورة فلسفة أخلاقية[3] مع نصه على أن جوهر الثقافة يتحدد مما حركه من قوى في الفرد، وفى المجتمع.[4]

في تعرضنا لمحتوى رسالة الكويت الثقافية، يمكن أن يطرح الموضوع من مستويات مختلفة وكل منها لاشك له أهمية خاصة في جلاء طبيعة هدا المحتوى، وتفاصيله. مثلا: في محور الاهتمام بالتراث، لا يكفى التعميم، بل لا بد من كشف التوجه والرؤية، بل طريقة العرض الحديثة لهذا الموروث القديم. وفى الأخذ (أو الترجمة) من الثقافات الأخرى. ما هذه الثقافات، وما طبيعة ما أخذنا منها، ومن أي عصورها أخذنا؟ وفى آليات العمل الثقافي ينبغي البحث في طريقة التوصيل وكفاءة هذه الطريقة. وفى استخدام العناصر البشرية الصانعة والموجهة فللثقافة، في حدود الإطار العربي، إلى أي مدى استمدت ينابيع العصور والمناطق والأعراق والمدارس الفكرية...الخ هذا كله نشعر بأهميته، ونقد ضرورته في غير هذا السياق، أو هذا المدى، ونرى أن التحليل الموضوعي يمكن أن يقرب إلينا صورة هذه الرسالة التي نستكملها في فصل قادم بالتعرض لمستويات الخطاب، أو

أشكاله ووسائطه.

وقد تكون إضاءة مهمة أن نقدا لهذا التحليل الموضوعي بتعريف موجز بالخطة الشاملة للثقافة العربية، ومنذ كانت أملا مبعثرا متعثرا، إلى أن تبلورت، وتحققت بالجهد والتنظيم والمتابعة التي بذلتها الأجهزة الثقافية في الكويت.

وهذه المتقدمة تبدو لنا مهمة لسببين، ذكرنا أولهما، وهى أنها أنجزت في الكويت وبرعايتها، وثانيا، أو أن هذا هو السبب الأول في الحقيقة وسنجد تقاربا يكاد يبلغ حد التطابق، بين ما تدعو إليه الخطة الشاملة لخلو ثقافة عربية واحدة، تناسب العصر، وتقود إلى المستقبل، وبين ما انتهجته سياسة الكويت الثقافية، ومشروعاتها، قبل الخطة الشاملة وبعدها، فكأنما اعتبرت الكويت نفسها «وكيلا» من الأمة العربية في التطبيق والتنفيذ.

مقدمة عن الخطة الثامنة للثقافة العربية

لا تجد عبارة جامعة دالة، حاولت أن تقرب وصفى هذا المشروع الحيوي الضخم وتشير إلى أهميته البعيدة المدى، أصدق من قول محي الدين صابر في تصدير التقرير النهائي وإن هذا الجهد التاريخي الذي ظل حلما قوميا غاليا، فاستوى عملا امتلكت به الأمة العربية.-وهى تواصل مسيرة التقدم الحضاري-وثيقة فكرية بينة، في هذا المستوى للثقافة العربية.

المتحدث هنا هو المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومع هذا فإن حديثه لن يكون بديلا عن ضرورة التعرف على ماهية هذا الحلم القومي الذي استوى عملا صالحا، والخطوات الواثقة الدؤوب التي بذلت في سبيل ذلك، والعقبات والاخفاقات التي سبقت تحقيق الحلم، ومن ثم: القوى المؤثرة التي بلغت بالخطة الاكتمال، وأتاحت لها أن تتخطى جميع السلبيات؟ تحت عنوان الأهداف والمبادئ يعترف فؤاد زكريا في بحثه عن المبادئ الأساسية للتخطيط الثقافي من زاوية عربية، بصعوبة طرح الموضوع محددا بالإطار العربي، ملتزما بالواقع والطموح للآهة العربية، «فلو كان الأمر مقتصرا على تحديد المبادىء والأهداف العامة لأصبحت المهمة هينة إلى حد بعيد: إذ أن الهيئات والمنظمات الدولية قد استقرت، في مؤتمراتها وحلقاتها وندواتها، على مجموعة رئيسية من الأهداف العامة للتخطيط

الثقافي أصبحت معترفا بها على الصعيد العالمي، و لم يعد من الممكن تجاهلها في أي تخطيط إقليمي للسياسة الثقافية. ولكن المبادئ ذاتها ليست هي المشكلة الحقيقية، وإنما تبدأ المشكلة في الظهور حين يسعى المرء إلى معالجة هذه المبادئ في السياق العربي على وجه التخصيص، وحين يحاول أن يترجمها إلى واقع يصلح للانطباق على ظروف الأمة العربية في المرحلة الراهنة من تاريخها[5]

وتتوالى تساؤلات الكاتب عن ملائمة التوقيت لما تعيش الأمة من قلق وما تعالى من اضطراب، وكأن التخطيط للثقافة آخر ما انبغى أن يشغل المفكرون به عقولهم. فهل تملك الأمة العربية هذا الثرى في حضيض العجز والسلبية الذي توقفت عنده في المرحلة الراهنة ؟ هل يستطيع أن يرسم الخطط لمستقبل الثقافة ذلك العقل الذي يجد نفسه في الوقت الراهن مدفوعا في كل لحظة إلى اليأس عن المستقبل، والتشكك في إمكان استمرار وجودنا ذاته ؟ وهل يستطيع العقل العربي أن يضع خططا يفترض فيها أن تنطبق على الثقافة العربية بمعناها العام، في الوقت الذي تكاد فيه الانقسامات والخلافات والمتمزقات أن تؤدى إلى فقدان كلمة عربي ذاتها، بمعناها الشامل، كل مدلول لها؟[6]

إن طموح هذه التساؤلات ليس القصد منه الكشف عن عوائق أو صعوبات في طريق البحث، وإنما بالأحرى ليفضي بالدوافع التي تجعل من كتابة هذا البحث ضرورة ملحة، كما تجعل من وضع خطة شاملة للثقافة العربية تحديا بيسر جوهر وجودها، وصميم مستقبلها.

مبررات الخطة الثقافية الشاملة

لقد تولى المجلد الأول-من لين ستة مجلدات شلت كل مراحل العمل-تحديد الأسس والدوافع والنتائج ووسائل العمل. وهذا الجهد العظيم لا يغنى عنه عرض أو تلخيص ونكتفي-في هذا السياق-بالإشارة إلى المبررات التي حتمت وجود هذه الخطة الثقافية الشاملة، رغم عوامل الإحباط، وقد انطوت المبررات على كثير من مبادئ العمل التي روعيت في اختيار المحاور وموضوعات الندوات، ومن ثم التوصيات، أو صيغة المشروع. في خمس عشرة فقرة متعاقبة جاءت هذه المبررات:

1- ففي هذه الفترة من أواخر القرن العشرين تنتاب العالم موجة من التحولات التي تمس حياة المجتمعات في الصميم، مما يشكل ثورة ثقافية وتحديا في نفس الوقت، وبالنسبة إلينا فإن هذه التحولات أدت إلى تخلف تبنى الحضارية عن معطيات العصر، وقصورها عن التلاؤم معها، وعجز وسائلها في الدفاع عن ذاتها تجاه أخطار القوى الخارجية من نختلف الأنواع.

2- هذه المتغيرات تتوالى في المستقبل بأسرع مما نشاهد في الماضي وآلاتي، اعتمادا على الانفجار المعرفي، والثورة التقنية. وهذا يؤدى بدوره إلى اتساع الفجوة بين الثقافة العربية. والثقافات العالمية.

3- وقد ترتب على الأمرين السابقين (الانفجار المعرفي، والثورة التقنية) ما يشكل خطرا أساسيا على الثقافة العربية، ومن ثم على الوجود العرفي كله، وهو: ثورة الاتصال التي فرضت في أجواء الثقافة العالمية السرعة البالغة، وسعة المعلومات ولشابكها، وإلغاء الأبعاد وترابطها. وهذه الثورة وضعت المستقبل في يد الثقافات الأقوى المالكة، لوسائل الاتصال... إن الثقافة العربية مرغمة على مواجهة كل ذلك والتعامل معه، أن شاءت البقاء[7]

4- أن صدمة المستقبل المتجسدة في ثورة الاتصال ليست تحديا خطيرا للثقافة العربية فحسب، إنها تصل إلى تهديد كيان الأمة لأنها نوع من الهيمنة الثقافية الكاملة، والتبعية الفكرية للأقوى. وإذا حدث هذا فإن ثمراته الشديدة المرارة لابد أن تملأ جميع الأفواه، ماثلة في عقد النقص، والاغتراب، والإحساس بالدونية أمام هذه الثورات وأصحابها، وما يؤدى إليه هذا هو المزيد من التبعية، ومن هنا يتولد مصطلح جديد يستحق أن نعنى به هو «الأمن الثقافي»

5- وبعد أن تعدد الفقرة السابقة بعض طرائق فرض التبعية علينا من الخارج تتوقف هنا عند العوامل الموروثة والسائدة في الواقع العرفي آلتي تسهل فرض الهيمنة الثقافية والتبعية للآخرين وفى مقدمتها: الأمية الثقافية وما تؤدى إليه من تنقيص إنسانية الإنسان، فقر بعض الأقطار في المال أو الخبرات، أو الخطط والوسائل، الجفوة بين البرامج التعليمية ومتطلبات العصر، نقصر الحريات «فالديمقراطية الثقافية أساس الديمقراطية السياسية والاقتصادية»، قصور السياسات الثقافية، ضعف الصناعات

الثقافية، سيادة الإعلام الترفيهي السطحي. ثم نصل إلى مصب جميع هذه السلبيات.

«فقد نجم عن ذلك كله أن مبادئ أساسيه كالوحدة العربية، والارتباط بالأرض، والحرية والنضال للأفضل، قد أصبحت موضع تشكك أو إهمال من جهة غير قليلة من المثقفين. والمبادئ لا تقوم ولا تعيش دون وجود من يحملونها، ويدافعون عنها»[8]

6- وتكون المادة السابقة مدخلا لتتبع ألوان الغياب أو الاختلال في الخطط الثقافية العربية المنفردة، فهناك السياسات الإقليمية المتطرفة، والعجز عن استشراف المستقبل، والفصل بين الثقافة والتنمية الشاملة، والعزلة الثقافية عن الأقاليم العربية الأخرى فضلا من العالم الخارجي.

ولكل هذا وضعت الخطة الشاملة للثقافة العربية، هادفة إلى تنمية ثقافية رشيدة ناجحة، ثقافة حديثة، حية متحركة، في مستوى المعطيات العالمية المتطورة. أما هدف هذه الخطة تحديدا فإنه يسترشد بأن يكون إجابة على سؤالين:

أ- أي إنسان عربي نريد في المستقبل، ومن في: أي مجتمع نريد ؟

ب- ما الوسائل والسبل الكفيلة تحقيق ذلك المجتمع ؟

وهذا يعنى-كما تشير الفقرة[9] أن الخطة الثقافية المطلوبة ليست مجرد تجميع للسياسات الثقافية، وليست مجرد أفكار عامة. أنها عمليه تركيبية مبدعة، وهى إطار مرجعي، ودستور قومي للثقافات العربية ضمن تنوعانها الإقليمية.

وإلى هنا ينتهي الجانب التحليلي الوصفي لواقع العجز الثقافي العربي، في ظل عالم يتغير بسرعة خاطفة ويتقدم في ثقافته عبر تمنيات متعددة، مع رصد التوقعات المترتبة على هذا العجز في مواجهة التقدم لتبدأ المرحلة الثانية من ذكر المبررات أو الدوافع، وهى مرحلة معيارية، تضيع «المواصفات» التي ينبغي أن تراعى في وضع التصور الشامل للثقافة العربية المستقبلة.

أما هذا المعيار فيبدأ بأن تكون الخطة وحدوية تحقيقا لأمر واقع أولا، وتعبيرا عن الدافع الأساسي لوضع الخطة أصلا، وأن تكون ذات منظور مستقبلي، ولا يعنى الاهتمام لا لمستقبل أي تهوين من أهمية التراث، فأصالة أي ثقافة يتجلى في أن تكون نابعة من ذاتيتها الخاصة. وليس من تناقض

بين الارتكاز على التراث، ورعاية الواقع الحاضر، والتطلع إلى طموحات المستقبل، وأن تكون تلك الخطة شاملة لجميع قطاعات الحياة الثقافية بشكل متوازن، مرتبطة بقطاعات الحياة الاجتماعية والثقافية، مرتبطة بالعالم بريئة من الانكماش ومن التبعية معا (متسمة بروح الندية).

هذه هي الصورة المرتقبة، أو الخطة المأهولة، التي-لكي تتحقق-ينبغي على القائمين على وضعها أن يراعوا عددا من الضوابط، ويفحصوا عددا من الحقائق الراهنة في الوضع الثقافي السائد، وهذا مما يتبين من محاور الاهتمام وعناوين البحوث التي طرحت ونوقشت في جلسات مغلقة، مستمرة في 27 ندوة، متتابعة ما بين 6 1/0 1982/1 و1984/5/19 و كانت مدة كل ندوة يومين.

محاولات واخفاقات:

الوحدة العربية هدف قديم، ودواعي الإصرار عليه والسعي نحوه، أقوى-رغم جميع إحباطات الواقع الراهن-من دواعي التخلي أو البحث كل بديل. وقد كان قيام الجامعة العربية (عام 1945) إحدى محاولات الاقتراب، غير أن الجامعة التي قامت على تعدد الكيانات (الدول) العربية من الوجهة السياسية والاقتصادية، عرفت ما للثقافة من خطر، وما لوحدتها من أثر إلى ومستقبلي، ومن ثم أنشأت إدارة الثقافة في العام الذي أنشئت فيه الجامعة نفسها، وتم توقيع الاتفاق الثقافي العربي بين الدول الموقعة على الميثاق في نفس العام (1945)

وقد عقدت عشر مؤتمرات ثقافية ما بين 1947-1970 كما أقيمت معاهد تهدف إلى تقوية عناصر التوحد في الثقافة العربية، فكان تأسيس معهد الخطوات العربية بالقاهرة عام 1951، ومعهد الدراسات العربية العليا، بالقاهرة عام 1954.

وتوالت الخطوات من عقد مؤتمرات على مستوى الوزراء، إلى توقيع ميثاق الوحدة الثقافية، وإقامة مؤتمرات للأجهزة العاملة في مجال الثقافة، ومن أبرزها مؤتمرات أجهزة محو الأمية في البلاد العربية (وكان أولها في القاهرة عام 1967) ثم أقام مكتب تنسيق التعريب في الرباط عام 1968. ويمكن القول بأن مرحلة الاتفاقيات والمؤتمرات (الاجتهادية) انتهت بإقامة

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بوصفها وكالة متخصصة في يوليو 1970 وترتب على أقامتها أن أصبحت جميع المعاهد والمراكز النابعة من الجامعة تابعة لها، كما أصبح تنفيذ الاتفاقيات الثقافية موكولا إليها.. . وهدا يعنى أن وضع «خطة شاملة للثقافة العربية» أصبح-بطبيعة الحال-من مهامها الأساسية، لأن مثل هذه الخطة هي التي تحدد آفاق العمل، وتحول دون التناقض، وتكتشف الانحراف والتحريف، وتحمى الجهود المبذولة من أن تتبعثر أو تتشردا. فهل استطاعت المنظمة أن تؤدى دورها في هذا السبيل ؟

لقد كونت لجان، وعقدت مؤتمرات، وصدرت توصيات، عبر خمسة. عشر عاما، (بعد إقامة المنظمة) ومع هذا ظلت تجمع بين قصور المحاولة،

وقصور الإعلام بها، وخلاصة أمرها أنها تحولت إلى أوراق في ملفات الإدارات والوزارات، ولم تصل إلى المثقفين العاملين في حقول الثقافة، لسبب بديهي، هو أن هؤلاء المثقفين أنفسهم لم يشاركوا في وضعها، إنها «اختيارات النخبة» و «اجتهادات أصحاب القرار السياسي» من وزراء الثقافة ومن يلوذ بهم ولأن «الثقافة» هي ضمير الأمة وشخصيتها وعقلها الباطن في حركتها نحو تحقيق أهدافها، فإن مشاريعها وخططها ينبغي أن تصدر عن رؤية جمعية، وتكون بمثابة كشف وتنظيم لما كان، وما هو كائن في حياة المجتمع.

لقد عقد وزراء الثقافة مؤتمرهم الأول في عمان (1976) واستمروا في دورات عادية وغير عادية، يبذلون ما يبذلون في سبيل وضع خطة شاملة، فلم يتمكنوا من ذلك، ولا تمكنت المنظمة، وتأخرت المجموعة العربية من تقديم مشروعها الموحد إلى اليونسكو، في حين أنجزت دول أوربا (في هلسنكى 1972) وآسيا (في جاكرتا 1973) و أفريقيا (في أكرا 1976) وأمريكا اللاتينية (في بوجوتا 1978) تمكنت كل هذه المجموعات من إنجاز خططها وبقيت المجموعة العربية وحدها معلقة، لم تنجز مشروعها، فتأجل-لذلك-موعد مؤتمر اليونسكو الخاص بالسياسات الثقافية في الأقطار العربية، مما حفز الهمم للخروج من المأزق، فطرت الموضوع مجددا أمام مؤتمر الوزراء العرب المسئولين عن الثقافة، في دورته الثالثة (بغداد 1981) كما

عقدت دورة استثنائية بدمشق في نفس العام انتهت إلى ضرورة أعداد تلك الوثيقة الموحدة، لتعرض باسم المجموعة العربية في المؤتمر العالمي الثاني للسياسات الثقافية، لليونسكو، الذي يعقد في المكسيك في يوليو 1982

حين رست السفينة في مرفأ الكويت

لم تثمر اللجان والمؤتمرات غير توصيات حض وشجب، هي مخيم آمال، وتأملات، تتشكل في شعارات تبدأ بكلمة «يجب» أو «ضرورة» دون أن تعبر عما يتجاوز صدق النية وسلامة القصد .. . إلى أن رست سفينة الخطة الثقافية في مرفأ الكويت، فتحول الأمل إلى عمل، والشعار إلى بحث علمي، والأهداف إلى خلاصات تجارب ومناهج وخبرات.

بدأ الأمر بتوصية أصدرها مؤتمر وزراء الثقافة الثانى المنعقد في طرابلس (ليبيا 1979) بدعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى اتخاذ الإجراء آت لتنفيذ وضع خطة شاملة لتنمية الثقافة العربية، وبتأليف لجنة لهذه الغاية. وحين اجتمع المجلس التنفيذي للمنظمة بالطائف (1979) أصدر قرارا بتسميه الأستاذ عبد العزيز حسين رئيسا للجنة بصفته الشخصية.

وقد كان الأستاذ عبد العزيز حسين، في ذلك الحين، وزيرا للدولة لشئون مجلس الوزارء، وكانت تتبعه أهم الأجهزة الثقافية في الكويت، ممثلة في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. وهو مثقف عميق الصلة والتقدير للثقافة، منذ كان مديرا لبيت الكويت في القاهرة، ومشرفا على مبعوثيها في مصر أواسط الأربعينيات، ورئيسا لتحرير مجلة «البعثة» التي أصدرها طلاب الكويت في القاهرة (ديسمبر 1946 إلى 1954) وفى عهده أنشئ المجلس الوطني للثقافة. أن اختيار عبد العزيز حسين رئيسا للجنة ينم على تقدي، خاص للشخص، كما يدل على الثقة بقدرة الجهاز المساند له على الوفاء بكل ما يطلب من مثله، في موقعه، متوخيا غايته.

وقد كان...

فقد اضطلعت الكويت بالأمر، واجتمعت اللجنة في ضيافتها، لوضع الأسس-، وتحديد المحاور، كما عقدت. الندوات المغلقة لمناقشة البحوث باستطالة منها أيضا، وقد تعهدت منذ البدء بتوفير المكان، والأجهزة، العاملين

والمنظمين على نفقتها، فكانت المحصلة حصر أركان عملية التنمية الثقافية في خمسة محاور.

أ- محور حفظ الهوية الثقافية والحضارية.

ب- محور إبداع الثقافة.

جـ- محور تعميم الثقافة.

د- محور إدارة الثقافة

هـ- محور العلاقات الثقافية

كما تشعبت هذه. المحاور، وما أشعت س اهتمامات أخرى، في سبع وعشرين ندوة استمرت كل ندوة يومين، وقامت على مناقشة بحثين أو أكثر، وقد جرى النظام المتبع على أن يقدم الباحث المكلف بدراسة موضوع ما بحثه مكتوبا فيتولى المكتب المنظم في الكويت تحديد أسماء الشخصيات الثقافية آلتي يتيح لها تخصصها، ومستواها، المشاركة في مناقشة الباحث فيما كتب، فيرسل إليها نص البحث لتسجيل ملاحظاتها، ويلتقي الجميع في موعد مضروب، بإحدى قاعات المجلس الوطني للثقافة. وقد كان اكثر الباحثين من خارج الكويت، من كافة أطراف الوطن العربي، كما كانت نسبة كبيرة من المناقشين من خارج الكويت أيضا، وقد تمت الندوات السبع والعشرون بكثير من النظام والنجاح مما يدل على الجهد التنظيمي الكبير الذي كان وراء هذا التوفيق، الذي انتهى إلى استخلاص الخطة الشاملة للثقافة العربية، بعد أن تعثرت وتلكأت طويلا بين العواصم والإدارات المؤتمرات.

إننا نستطيع تقريب صورة هذا الإنجاز الكبير بالأرقام، حين نذكر أنه في إطار سبع وعشرين ندوة (في يومين = 54 يوما من الجلسات المستمرة) ألقى 58 بحثا لمثل هذا العدد من الباحثين من مختلف أنحاء الوطن العربي ومن خارجه أيضا، من أبنائه المغتربين ممن لهم اهتمام مباشر بأوضاعه وقضاياه الحضارية، كما حضر الندوات وشارك في المناقشة 467 مثقفا من أساتذة الجامعات، والمشتغلين بالثقافة والأدب والفنون والإعلام والتعليم والإدارة في تلك المجالات، وغيرهم.

إن هذا العدد الوفير من الباحثين، وهذا العدد الهائل من المناقشين ليس من قبيل المتكاثرة أو التظاهر، إنه الذي يعلى هذه الخطة مشروعية

انتمائها إلى الأمة العربية، وإلزامها لجميع المثقفين العرب أن تكون خطة المستقبل العربي. ولا يستمد هذا المعنى من القيمة العددية وحدها، بل من المكانة الثقافية التي حظي بها الباحثون، ونسجل بعض هذه الأسماء دون ترتيب، كأمثلة، وليس على سبيل الحصر: الدكتور أحمد أبو زيد، الدكتور شكري فيصل، الدكتور فؤاد زكريا، الدكتورة سعاد ماهر، الدكتور عبد الله عبد الدايم، الدكتور عبد العظيم أنيس، الأستاذ محمود أمين العالم، الدكتور محمد أركون، الدكتور حسن حنفى، الدكتور عبد العزيز كامل، الدكتور نجم الدين السهروردى، الدكتور بشير العريض، الأستاذ لطفى الخولى، الأستاذ بلند الحيدرى، الدكتور محمد يوسف نجم، الدكتور على الراعى، الأستاذ عبد الكريم برشيد، الدكتور عبده بدوي.

إننا نستطيع أن نلمح من خلال هذه الأمثلة من الباحثين، ومن خلال عدد آخر من المناقشين وجودا واضحا للمثقفين والمفكرين المصريين. ولقد كانت مصر مستبعدة تماما من أنشطة الجامعة في العربية في ذلك الحين، ومع أن مصر (الرسمية) ظلت مستبعدة انصياعا للقرارات المعروفة، ومع أن جهات أخرى كانت تستبعد المصريين أيضا (وليس الرسميين فقط) الا في حالات معينة كتبت اتجاهات سياسية مثلا، فإن هذه الندوات التي عقدت في الكويت، وبرعاية المسئول الأول عن الثقافة بها «عبد العزيز حسين» وبدعم حقيقي من أمين عام المجلس. الوطني للثقافة الشاعر أحمد العدواني، نجد حضورا مصريا مستمرا، وليس هذا من فعل مدير المنظمة، لأننا لا نجد له أشباها كثيرة في غير اجتماعات الكويت، فمن ألحق أن خطة الثقافة الشاملة من أمة العرب واليهم، أما والحالة هذه فإنه لا سبيل إلى إنكار موقع مثقفي مصر ومفكرتها تحت أية ذريعة. أن هذا التوازن الدقيق، الصادر عن وعى ثقافي، وحس قومي عميق، هو إحدى ثمرات أن كانت الكويت عاصمة الندوات جميعا، وان كان رئيس المشروع كويتيا، وان كان المجلس الوطني للثقافة ضالعا بما يقدم من عون مادي وأدبي.

على أن دور الكويت في تنوير الخطة الشاملة يتخطى كل الإيجابيات المشار إليها آنفا، إلى مشاركة عدد كبير من مثقفي الكويت، وأدبائها، وعلمائها، في مناقشة البحوث ومتابعة الندوات، لقد بلغ عددهم مائة وثلاثين شخصا، في مقدمتهم الشاعر أحمد العدواني، والشاعر أحمد السقاف

(رئيس رابطة أدباء الكويت والعضو المنتدب لهيئة الخليج والجنوب العربي) والشيخ فهد الأحمد الصباح (راعى الرياضة في الكويت) ومحمد السنعوسى (مدير تلفزيون الكويت) وأحمد الجار الله (الصحافي المعروف) وخالد الصديق (رائد صناعة السينما في الكويت) وسامي المنيس (النائب والصحفي المعروف) وبدر القطامى (الفنان التشكيلى المتميز) وغيرهم.

وضمن هذا العدد الكبير ثمانية وخمسون شخصا من حملة الدكتوراه في تخصصات مختلفة، بعضهم ينتسب إلى هيئة التدريس بالجامعة، ويعمل بعض آخر في موانع مختلفة، من بينهم الدكتور حسن الابراهيم (أول مدير كويتي للجامعة، ووزير التربية الأسبق، والدكتور عبد الله الغنيم (عميد كلية الآداب الأسبق ووزير التربية الأسبق) والدكتور محمد الرميحى (رئيس تحرير العربي) والدكتور مبارك العبيد (أول عميد كويتي لكلية العلوم) والدكتور خليفة الوقيان (الأمين العام المساعد للمجلس الوطني) والدكتور سليمان الشطي (القاضي، ورئيس تحرير مجلة البيان، والأستاذ بكلية الآداب) والدكتور عبد المحسن العبد الرزاق (مدير الجامعة السابق) والدكتور سالم الطحيح (أستاذ الاقتصاد وأحد مستشاري أمير البلاد) والدكتور سليمان العسكري (الأمين العام المساعد للمجلس الوطني) والدكتور عدنان العقيل (مدير عام مؤسسة الكويت للتعليم العلمي) والدكتور عبد الرزاق العدواني (وزير الصحة الأسبق) وغيرهم.

إن هذه المساهمة العلمية الواضحة، كانت وراء الحميمة التي نوقشت بها البحوث، والحماسة في متابعة الندوات، رغم كثرتها وتنوعها، وكانت بهذا ملمحا من ملاح الخطة الشاملة، ومحركا قريا دفع بالمشروع الحلم إلى أن يصبح إحدى العلامات البارزة لتطورنا الثقافي الشامل.

تحليل المحتوى

لا نعتقد أننا بحاجة إلى إعادة القول عن أهمية الثقافة في عالم اليوم، اكثر من آي عصر مضى، وقد يصح أن نعتبر «التكنولوجيا» شعارا للعصر، وفارقا بين التقدم والتأخر، ومن هذا لن نكون متجاوزين للحقيقة إذا قلنا إن «الثقافة» تشكل معادلا للتكنولوجيا في ترتب مواقع الأوطان على خريطة التقدم، وأن المثقفين يمثلون مركز الثقل الرئيسي في كثير من

البلدان المتقدمة والأقل تقدما، بدرجة تسمح لنا بأن نزعم بأن موقع الثقافة في التفكير العام، ومكانة المثقفين في المجتمع، ونوعية الثقافة السائدة تمثل الحد الفاصل بين التقدم والتأخر، وتعطى بلدا ما درجته وموقعه بين البلدان الأخرى، بل تحدد احتمالات تطوره (أو تراجعه) في المستقبل.

وليس من شك في أننا سنكون أكثر تقديرا، وأكثر دقة في التصور لرسالة الكويت الثقافية، حين نبدأ من التسليم بصور التمزق والتناقض في وطننا العربي، ولا نعنى بالتسليم الرضا، وإنما المعرفة بالواقع دون محاولة تحميل لجوانب قبيحة، كما أن المعرفة بهذا الجانب من الواقع لا تعنى-بدورها-حصر الصورة فيه، أو إنكار إيجابيات عظيمة هي التي تعطينا الحق في الحديث عن ثقافة عربية واحدة، وعن رسالة كويتية ثقافية موجهة إلى الأمة العربية من المحيط إلى الخليج.

إن بعض جوانب السلبية تتجلى فيما تمارسه الأجهزة الرقابية على المطبوعات ما بين بلد عربي، وبلد عربي آخر أليست حدود المسموح والمحظور ثابتة، أو متقاربة بين تلك البلاد. فما يمكن أن يعد (عند رقابة ما) كفرا وإلحادا (بالمعنى الديني أو الدلالة العامة) يمر في رقابة أخرى دون اكتراث، وقد يجد تشجيعا ضد غيرها. ويكتمل اضطراب الصورة أو (سرياليتها) بما يلاحظ من تغير المواقف الرقابية في البلد الواحد تبعا لتغير السلطة، في مستوياتها، وليس هذا بالأمر النادر في كثير من البلدان العربية(6) على أننا سنلاحظ-رغم نشاط الفكر القومي، وعمق الحس القومي-أنه-وتحت هذا السطح القومي المضيء المتظاهر بالقوة-يكمن شعور قبلي إقليمي، يدعى لنفسه فضائل ومكرمات، في سبيل إعلائها بمجرد الآخرين أو أكثرهم من أي مكرمة، وقد يبلغ من حدة هذا الشعور وضيق أفقه أن يقاوم ما يعده «تنازلا» عن ثقافته الخاصة، أو طابعه المميز، في سبيل تقارب عربي شامل، كما قد يرفض كل إعلاء لغير إقليمه، وكل جهد لا تصنعه قبيلته، وتضع شعارها عليه.

إن هذا-في بعض جوانبه-يفسر لنا بعض الظاهرات الثقافية التي اختص بها الوطن العربي حين نفكر فيه بشكل موحد، بمعنى أنه وطن واحد، كأن ترتفع صيحات الدعوة إلى الحداثة في بلد معين، وتأخذ البنيوية مداها كمنهج نقدي في رعايتها، في حين يحاربها موقع آخر، ويلصق بها تهما

مختلفة، ومختلقة أيضا.. ونحن لم نفكر بالطبع أنة«يجب» على الوطن العربي لكي يبدو ذا ثقافة واحدة أن يتبع نهجا واحدا، أو يكتب ويقرأ ويفهم ويحلم بطريقة واحدة... ولكننا نريد أن يكون «التنوع» القائم، والمطلوب على غير ما أقامته الجغرافية السياسية من حدود بين المواقع، نريد أن يكون في البلد الواحد، بل في الجامعة الواحدة من يرى أن المستقبل أمامنا، وفى العالم الواسع من حولنا، ومن يرى أن مستقبلنا في إحياء المتميز الجاد مما خلفناه وراءنا وفى حفرنا في أعماق ذاتنا الخاصة. إن هذا-على أي حال-متحقق ولا يمكن إنكاره (ولسنا نجد في إنكاره فائدة) ولكنه ليس الخط الأساس للثقافة العربية، الا في مناطق محدودة أو هو-على الأقل-مزاحم بالصورة الأخرى القعلية، التي قد تستتكر علانية، أو تنكر، ولكنها محرك للكثير مما نقرأ ونشاهد في وطنا العربي.

إن ما تؤدى إليه هذه «القبلية الثقافية» بعد-ذلك-«الاستلاب الرقابي هو إفقاد الثقافة-أية ثقافة-تريد أن تكون ناضجة، متنامية، مؤثرة إيجابيا في توحيد أصحابها، أهم شروط قدرتها على أداء دورها ببنائي، وهو التناغم، والشمول. والتناغم يعنى وحدة الرؤية، وتقارب المبادئ الأساسية، فكيف يتحقق هذا ونحن نرى-على سبيل المثال-تفاوتا شاسعا في تقدير «البداوة» مثلا، أو التاريخ الحاضر لبعض الأقاليم كعصور الفراعنة بصفة خاصة، من بين العصور القديمة ؟. إن هذا التفاوت-الذي يصل حد التناقض-يؤدى إلى تزييف الواقع وتضليل المستقبل في نفس الوقت.

ولكن: ما علاقة رسالة الكويت الثقافية بكل هذا؟

لقد استطاعت الكويت أن تتجنب التخلف عليه (بوسائل شتى) دون أن تتنكر له، حين تكون الرزية العلمية في جانبه، وأن تتجه إلى ما هو جوهري، وضروري، أو موضع إجماع، وبهذا استطاعت أن تصل برسالتها إلى كافة أطراف الوطن العربي، متخطية حواجز الرقابة، وعصبيات القبيلة معا، وغير متنكرة لأية قيمة مما تحرص عليه الأمة في ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها. أننا بالطبع نفكر في «المطبوعات الكويتية»، فلا نريد أن لرسل القول دون دليل موثق، كما أننا نقف عند حدود المتبرعات التي تمولها الدولة، وتدعمها سعريا لتكون في متناول أصحاب الدخول الضعيفة في أي قطر عربي، لأن هذه «المطبوعات» هي آلتي تدل على خطط وفكر

الأجهزة العاملة وراءها، ومن ثم تدل على التوجه العام لدى مخططي السياسات العليا، دون أن تنتشر إلى دور النشر الخاصة، أو الجمعيات الفئوية، إذ يهتم النوع الأول بتحقيق الربح، ويهتم الثاني بالخدمات المحلية، إلا فيما يتطلع إليه هذا أو ذاك من الامتداد بدوره إلى حارسا ما هو مرسوم له عادة.

فإلى أي مدى يمكن أن نحدد ملامح الرسالة الثقافية الكويتية ومكوناتها، أو توجهاتها؟

من حقنا أن نشكك في الشعارات التي عانينا منها كثيرا، ولا نزال، ولا شك أن إجمال رسالة الكويت الثقافية في كلمة سيكون بمثابة شعار، وهو ما نحاول تجنبه، ومع هذا دعنا نجازف-مجازفة محسوبة-بإرسال تعميم واحد فنقول: أن جوهرها «الدعوة إلى تنوير العقل» وهذا يعنى أو يتطلب أن يكون الأسلوب علميا إذ لا يمكن توجيه الخطاب إلى العقل آلا بقوانينه هو، وأن يكون هدفها الوعي الشامل بكل ما كان، وما هو كائن، وما سيكون أو ما ينبغي أن يكون. وأن تكون الدعوة إنسانية، مرتكزة على قاعدة من الإيمان بحرية العقل، وحرية صاحبه معا، وأن تكون دعوة التنوير موجهة إلى الجميع، لا تستثنى أحدا، بمزيد الرعاية أو مزيد الإهمال، وإنما تخاطب كلا بما في طاقة استيعابه، وما يضعه أمام واجبه.

يمكن أن نستعرض عناوين-مجرد عناوين-سلاسل المطبوعات لنجد الشعار الشامل ماثلا في مجمل كل سلسلة، وفى علاقة هذه السلاسل، كما تجد كل ما يترتب على دعوة التنوير شاخصا في تلك المطبوعات، ولهذا لن تجد صعوبة في أن نشير إلى بعض المحاور الرئيسية التي تنتظمها:

أ- الاهتمام بالتراث من منطلق نقدي: وهذا يمثل التاريخ، وعلوم الماضي، والحضارات القديمة بما تنطوي عليه من فكر وفن.

ب- الاهتمام بثوابت الوجود العربي (التاريخي المستقبلي): وهذا يشمل الدين، واللغة، والقيم الأصيلة.

جـ- الاهتمام بالواقع العربي ونقده: وهذا يشمل الاجتماع، والفنون والآداب (السائدة) ونظم التعليم، والتربية، والاقتصاد، والسياسة.

د- الاهتمام بالمستقبل: وهذا المحور ليس بمعزل عن سابقه، فكل ما يعرض للراهن، هو بالضرورة اقتراح للمستقبل، ويضاف إليه: الاهتمام

بعلوم الغد، والاهتمام بالطفولة، فضلا عن تنوير فكرتنا عن العالم من حولنا. عالم الطبيعة، وعالم البشر على امتداد الأرض بكل ما تنطوي عليه الطبيعة من أسرار، وما يكتشف البشر من أفكار.

سنحاول أن نختبر هذا التصور على ضوء المسارات الفعلية لسلسلة مؤلفات «عالم المعرفة»، ثم نحاول-مرة أخرى-اختبار هذا التصور على ضوء جهود مواكبة، أو سابقة على هذه السلسلة، ومختلفة عنها أسلوبا باختلاف الخاطب لنرى مقدار ثبات الرسالة الثقافية للكويت، ووحدة أهدافها حتى وان اختلف «مستوى الخطاب» أو «أسلوبه».

لقد صدر الكتاب الأول في يناير (كانون الثاني)1978 واستمر صدورها منتظما، شهريا بلا توقف أو انحراف، حتى كان عدد أغسطس (آب) 1990 يحمل رقم (152). وهنا مفارقة تثير التأمل حقا، فقد كان الكتاب الأول بعنوان «الحضارة» وكان الكتاب الذي شهد الكارثة وتعطلت عقبه السلسلة بعنوان «التلوث مشكلة العصر»، وبين العنوانين علاقة تضاد واضحة، ويبدو أننا لم نستوعب الكلمة الأولى لطريقة ناضجة وصحيحة، فوقعنا في الأخرى، ووضعنا مستقبلنا كله بين قوسين من الشك..

في تصدير الكتاب الأول كتب أمين عام المجلس الوطني للثقافة الشاعر أحمد العدواني كلمة موجزة، لكنها كافية للكشف عن تصور أصحاب المشروع لإطار عمله، وأهدافه وسنرى أن هذا التصور ليس بعيدا عن ما حاولنا استخلاصه من «قراءة» المطبوعات الصادرة من الكويت قراءة مضمونة، وأن كنا نقر بأن المتحقق (في سلسلة عالم المعرفة) جاوز التصور الأولى بكثير، وهذا عكس المألوف في مشروعاتنا العربية (الثقافية وغير الثقافية) حيث نبدأ بنيات شامخة، أمال أعراض، ثم يبدأ التنفيذ، فيتقزم كل شئ، وكلما أوغلنا في المحاولة وجدنا زيادة في النقص، حتى نصل السراب... ويتوقف كل شئ، مخلفا وراءه الإحباط والألم.

يقول العدواني: «عندما فكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في إصدار سلسلة شهرية من الكتب الثقافية، كان ذلك بوحي من شعوره بحاجة القارئ العربي الماسة إلى الكتاب الذي يجعله مواكبا لأحدث التطورات في مجالات المعرفة، دون أن تفقده المواكبة انتماءه لحضارته وأمته، فهو بحاجة تجمع بين روح العصر وروح الأمة معا. وتشتد حاجة هذا القارئ

إلحاحا في وقت أخذت فيه تكنولوجية ضخمه في تروج ثقافات غربية نشأت في مجتمعات معينة، وأخذت هذه الثقافة أو الثقافات الغربية تزحف عليه لتعصف بكيانه، ولتفقده هويته، ولتزعزع ثقته بماضي أمته، وبحارها، وبمستقبلها »[10]

1- انه يتحدث عن حاجة القارئ العربي، وليس الكويتي، أو الخليجي. ولهذا القارئ العربي كانت السلسلة تطبع في كل شهر خمسين ألف نسخة، تفرش أكشاك بائعي الصحف ما بين طنجة ومراكش، وحتى صنعاء، والخرطوم، وإلى أهم عواصم العالم أيضا، بسعر هو أقل من أجور النقل عبر هده المسافات الشاسعة.

2- ويحدد هدفه بروح العصر، بشرط ألا يكون هذا على حساب روح الأمة وانتماء العرب إلى أنفسهم. وهكذا تتقاطر المؤلفات التي تنير فكرتنا عن العصر، وعن المستقبل معا، ولكنها مشدودة إلى مؤلفات أخرى تتقاطر كاشفة عن الجذور العربية، مؤصلة لقيم الدين، والأخلاق دافعة إلى تنمية مبدأ الوطن العربي الواحد، والثقافة العربية الواحدة.

3- ويستقر هذا الهدف المحدد بروح العصر وروح الأمة، على قاعدة من الوعي بما تستهدف له الأمة من هجمة غربية تستخدم وسائل متنوعة لها طاقات هائلة (تكنولوجية ضخمة) تعمل على تروج ثقافات هدفها أن يصبح العربي غريبا عن نفسه، متنكرا لقومه، مستنكرا لتراثه وتاريخه..

باستطاعتنا-دون جهد يذكر-أن نعرض هذه المبادئ الثلاثة على محاور الاهتمام الأربعة، التي سبقت الإضارة إليها لنرى مدى التطابق. ونعرف هنا بعناوين-مجرد عناوين-ثلاثة من الموضوعات التي اهتمت بها السلسلة لتأكيد ما أشرنا إليه من أهداف بطريقة عملية، مفترضين أن بعضنا لا يقتنى سلسلة «عالم المعرفة»كاملة، أو لم يحاول اكتشاف العلاقات والوشائج الممتدة ما بين كتاب وآخر يبتعد عنه زمنا. أما هذه الثلاثة فهي:

أ-تنوير العقل العربي وتنظيمه فكريا

ب- الإسلام

ج- علوم المستقبل

أ- في سبيل تنوير العقل وقيادته إلى التفكير المنطقي وتدريبه على تنظيم المعلومات، صدرت عشرة كتب تحت هذه العناوين (والرقم المسجل

بجانب العنوان هو رقمها في السلسلة):

١ الحضارة (١)

2- التفكير العلمي (3)

3- الإنسان الحائر بين العلم والخرافة (15)

4- التفكير المستقيم والتفكير الأعوج (20)

5- اتجاهات نظرية في علم الاجتماع (44)

6- فكرة القانون (47)

7- البدائية (53)

8- حكمة الغرب (62 ,72)

9- تشكيل العقل الحديث (82)

10- معالم على تحديث الفكر العربي (115)

سنلاحظ أن هذه العشرة كتب تنتشر على السنوات التي تمثل عمر ما مضى من السلسلة، وكأنها إيقاع ثابت، معبرة عن هدف دائم، بمعنى أنها ليست مجرد «هجمة» في اتجاه، أر ظرف طارئ سببه توافر عدد من المؤلفين أو المؤلفات، أو إلحاح مرحلي من طائفة من القراء. انه أنه بهذه الطريقة وكما سنرى في الموضوعين الآخرين-يصدر عن وعى بالهدف الراسخ وحرص عليه.

2- الإسلام وما يتصل به من موضوعات متنوعة، وسنجد النسمة نصية في أتنتى عشر كتابا، ولا يمنع هذا أن نجد مثلها أو اكثر منها تتضمن وجهة نظر إسلامية، أو بعض قضايا الدين، في إطار موضوعات أخرى:

١-تراث الإسلام

2- المساجد (37)

3- الإسلام في الصين (43)

4- الإسلام والاقتصاد (63)

5- الإسلام والشعر (١١)

6- مفاهيم قرآنية (79)

7- في تراثنا العربي الإسلامي (87)

8- الإسلام وحقوق الإنسان (89)

9- المدينة الإسلامية(128)

10- مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام (131)
11- المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا (139)
12- تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (151).

3- علوم المستقبل محرر أساسي في السلسلة، هي المعادل الذي يعصم الولع بالتاريخ من أن يتحول إلى عجز عن معايشة العصر وهروب من المستقبل، وعلوم المستقبل هي التي تشمل «كلمة السر» أو مفتاح الحرية في القرن القادم، حيث يفقد الاستقلال السياسي أهميته ويصبح بلا مدلول حين يحاصره الفقر والتخلف، فيجد نفسه تابعا دليلا (لا يرغب الأقوياء في تبعيته). وقد تجلى هذا المحور في ستة عشر عنوانا، ترتيبها في السلسلة كالآتي:

1- تكنولوجيا السلوك الإنساني (32)
2- دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية (42)
3- التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان(48)
4- التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية (50)
5- العالم بعد مائتي عام (55)
6- العرب أمام تحديات التكنولوجيا (59)
7- صناعة الجوع (64)
8- ظاهرة العلم الحديث (69)
9- البيولوجيا ومصير الإنسان (83)
10- عقول المستقبل (12)
11- تغيير العالم (95)
12- الوراثة والإنسان
13- العالم الثالث وتحديات البقاء (104)
14- التاريخ النقدي للتخلف (118)
15- التنبؤ الوراثي (130)
16- علم الأحياء والأيديولوجيا والطبيعة البشرية (142)

وأحسب أن هذه القائمة ليست بحاجة إلى تعقيب، فهي تكشف عن نفسها من حيث تحقيق التوازن بين الإنسان كذات فردية، والإنسان في إطار مجتمعه، والإنسان في المحيط الدولي، والاهتمام به قبل أن يولد،

وإلى مائتي عام قادمة.

عالم الفكر، قبل عالم المعرفة

من واجبنا أن نتوقف-ولو قليلا-مع مجلة «عالم الفكر» تلك المجلة الفصلية (ربع السنوية) التي يعرف قدرها أساتذة الجامعات، وأهل التخصص في كافة فروع المعرفة. والعدد الواحد من هذه المجلة كتاب ضخم، بل عدة كتب في كتاب، فصفحتها الكبيرة تستوعب عدة صفحات، والدراسات التي تنشر بها تدور حول موضوع رئيسي، يختلف من عدد لآخر، مع وجود أبواب ثابتة. صدر العدد الأول منها في أبريل 1970 واستمرت تصدر كل ثلاثة أشهر، وتوقفت بعد يوليو 1990 فجاء موعد عدد أكتوبر والكويت في حال أخرى لا تسمح لها بالتفكير في ثقافة الوطن العربي، أو في نشر المعرفة.

لقد كان صدور «عالم الفكر» سابقا على صدور «عالم المعرفة» والسلستان كان على رأسهما في البداية الشاعر أحمد العدواني، وقد صدرت عالم الفكر عن «وزارة الإعلام» حتى إذا أسس المجلس الوطني للثقافة (عام 1974) واختير الشاعر العدواني أمينا عاما له، ظل رئيسا لتحرير عالم الفكر، وأصدر «عالم المعرفة» من المجلس الوطني.. و لم يكن هذا نقلا للنشاط، أو رغبة في المتكاثرة، فالمخاطب في الدورية الأولى، غير الخاطب في الكتاب. «فعالم الفكر» مجلة أكاديمية رفيعة المستوى، ونحن-العاملين في الجامعات العربية-نعرف حجم المعاناة التي نتعرض لها في سبيل نشر الجاد من بحوثنا في مجلات ذات مستوى رفيع، وشكل متخصص تحفظ للعلم هيبته وجدية وسائل عرضه. في حين أن كتاب «عالم المعرفة»-مع حرصه على جدية الطرح للقضايا، والحفاظ على الأصول المنهجية في التأليف كان-في الأساس-موجها إلى القارئ المثقف غير المتخصص، وكما يقول تصدير الكتاب الأول «فإن القارئ المتخصص سيجد في الكتاب طرافة في معالجة الموضوع، كما سيجد فيه القارئ أتعادى ما يثير عنده حب الاستطلاع، ويفتح له آفاقا جديدة». بعبارة أخرى: إن كتاب «عالم المعرفة» جاء ليخلق رأيا عاما مثقفا علميا مستنيرا، أما «عالم الفكر» فكانت رسالتها نشر الفكر الجديد الجاد الرفيع المستوى، بين من حرفتهم البحث العلمي في كافة اتجاهاته.

إننا ندرك الآن، أنه بعد توقف مجلتي «الفكر المعاصر» و «تراث الإنسانية» اللتين كانت تصدرهما وزارة الثقافة بمصر، لم يكن في العالم العربي كله مجلة تتسع لدراسات الباحثين من مستوى أساتذة الجامعات،: باستطاعتها أن تستوعب هذا الكم، وهذا التنوع الذي استطاعت «عالم الفكر» أن تحتويه وأن تقدمه بغير ثمن للباحثين عن المعرفة الرفيعة (كان ثمن العدد في القاهرة 250 مليما، اي ربع جنيه مصري، وهو أقل من ثمن فنجان قهوة في حي شعبي) وهنا انبغى أن نوضح أن الفرق الأساس (وربما الوحيد) بين العالمين: «الفكر والمعرفة» هو فرق في مستوى الخطاب، وليس في محتوى الرسالة، ومن ثم فإننا نستطيع أن نعرض ثمانية وسبعين عددا صدرت من مجلة عالم الفكر منذ عددها الأول، وحتى توقفت، من خلال العناوين الرئيسية التي تمثل المحاور الأساسية لتلك الأعداد، والمقالات والدراسات الأقل أهمية الملحقة بكل عدد، نعرضها على تلك القضايا الثابتة المحددة، التي اعتبرناها بمثابة معالم أو جوهر رسالة الكويت الثقافية، لنرى هل ثمة تناقض أو عشوائية، أو اضطراب ؟ فإن لم نجد، فإن هذا يعنى أن رؤية ثاقبة، وفكرا منظما، وحرصا على أهداف واضحة، كان يشكل جوهر هذه الرسالة، ويبعث بها، في دأب ويسر وحب، إلى كل مواطن عربي، راغب في أن يعرف، وأن يرتقى بالمعرفة، وأن مبدأ تناغم الثقافة، وشمولها كان أساسا مرعيا، ولم يكن بفعل المصادفة.

إننا لسنا بحاجة إلى استعراض مئات الموضوعات التي كتبت بحرفية عالية، ودقة علمية وحذق، لننتهي إلى أن

«الكثرة تعود إلى الوحدة» وأن «التنوير» هو الهدف النهائي، وهو تنوير يشع في كل الاتجاهات (زمانا ومكانا) ويكفى أن نشير-مجرد إشارة-إلى بعض العناوين، (العناوين لا غير) نقتنص في مقدمتها الأعداد الأربعة الخاصة بالسنة الأولى، وكانت محاورها.

1- العدد الأول: عصر الأزمات.

2- العدد الثانى: عالمنا المتغير.

3- العدد الثالث: الإنسان والكون.

4- العدد الرابع: حقوق الإنسان.

إننا إذا تأملنا هذه العناوين الأربعة (ومن باب أولى حين نقرأ ما

اندرج تحتها من موضوعات) سنجد أن مشكلة الإنسان (الإنساني العربي أكثر من-غيره) ماثلة فيها، ما بين تجربته الماضية، وواقعة الماثل، ومستقبله المرجو. ومن الطبيعي أن نجد حضورا ووضوحا وإلحاحا على قضايا المستقبل ما دمنا-مع هذه المجلة-في رعاية الفكر الأكاديمي الجاد، الذي يتسم برحابة النظرة، والقدرة على النفاذ من حدود الواقع المرحلي إلى آفاق احتمالات المستقبل. لهذا سنجد «أعدادا» تحمل عناوين صريحة تقرب ما نشير إليه، مثل: «الدراسات المستقبلية» (يناير 1988) و «عالم الغد» (أبريل 1973) و «الاتصال» (يوليو 1980) «علوم الصحارى» و غيرها.

وكما سلف القول بشأن «عالم المعرفة» فإننا هنا مع الأكاديميين، واحتمالات إغفال الجوانب الغيبية أو إعطائها أهمية أقل واردة، ولو عن غير قصد، بسبب الإيغال في مناهج التجريب، والإحصاء، وغلبة الإحساس بالمادي والمستقبلي، ومع هذا فإن المحور الإسلامي راسخ متجدد، مصاحب لكل رؤية ممكنة، فهناك أربعة أعداد خصصت للدراسات الإسلامية.

1- في الفكر الإسلامي (العدد الثاني من السنة السادسة)
2- التجربة الإسلامية (العدد الثاني من السنة العاشرة)
3- المدينة الإسلامية (العدد الأول من السنة الحادية عشرة)
4- القرآن والسيرة النبوية (العدد الرابع من السنة الثانية عشرة)

أما المشاركة في الأعداد المتنوعة الموضوع فأنها واضحة تماما. ونعطى أمثلة أيضا:

1- في محور: آفاق المعرفة (يناير 1987) نجد دراسة عن: صورة الإسلام والمسلمين في الفكر الغربي.

2- في محور: الأدب المقارن (أكتوبر 1980) نجد دراسة عن: الإسلام والكوميديا الإلهية.

3- في محور: الإنسان والكون (أكتوبر 1970) نجد دراسة عن الإنسان والكون في الإسلام.

4- في محور: حقوق الإنسان (يناير 1970) نجد دراسة جمن: الإسلام وحقوق الإنسان.

5- في محور: كتابات في الحضارة (اكتوبر1984) نجد اكثر من دراسة عن الإسلام:

- التاريخ العربي والإسلامي من خلال المصادر السريانية العراقية
- الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى
- قصور أشبيلية في العصر الإسلامي

6- وهو ما نجده أيضا في محرر متنوع-مثل سابقه-عندما يصدر عدد بعنوان «دراسات في التراث (أبريل 1977) فتتصدره دراسة عن: العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، كما يكتب الدكتور. بول غليونجى دراسة عن «الأسس النظرية للطب الإسلامي».

7- أما حين يصدر. عدد خاص عن «حضارة الأندلس» (أبريل 1981) فإنه سيكون محورا إسلاميا بشكل مباشر، وهذه موضوعاته:

- أثر الأندلس على أوربا
- المعجم العربي في الأندلس
- الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي

الأصوات القتالية والانهزامية في الشعر الأندلسي

مثل هذا الاهتمام نجده عن الطفل، ومشاكل الشباب والرياضيات الحديثة، وعن فنون الأدب، والاتجاهات النقدية والفلسفية الحديثة، وعن الراحلين من كبار فكرى الغرب مثل سارتر، ومالرو، وعن قضايا الفكر والسياسة المؤثرة علينا بشكل مباشر، مثل «الصهيونية».

هذه سياحة سريعة في «عالم الفكر» التي يمكن أن تكون-وحدها-بمثابة دائرة معارف عميقة، مستفيضة، متجددة، في عشرات الموضوعات المهمة، في كل وقت.

فإذا تأملنا أسماء محرري هذه الدراسات سنجد «التخصص الدقيق» صفة أساسية، والتمرس في التأليف، واستقرار المنهج أيضا، وهامش المفاضلة بين من نذكر منهم ومن نترك ضئيل أو معدوم، وأمامنا عشرات الأسماء التي نعرف قدرها في مجالاتها. المعرفية، مثل: سعيد عاشور، وعبد الرحمن بدوي، وحسين مؤنس، وبول غليونجى، وعبد الحميد يونس، ومحمد ناصر، ومحمد واصل الظاهر، وشكرى عياد، وحسن حنفى وأحمد مختار العبادى، وتوفيق الطويل، ونور الدين حاطوم، وزكريا ابراهيم، وعبد الوهاب حومد، واسماعيل صبرى مقلد، وحازم الببلاوى، وعبد المحسن صاع، وثروت عكاشة، وحسام الألوسى وغيرهم...

ولم يكن المقبلون على التأليف في إطار «عالم المعرفة» يقلون أهمية، بل لعلهم يفوقون في بعض الجوانب، لما تحتاج عالم المعرفة من قدرة خاصة على «إفهام عامة المثقفين أفكار خاصتهم»، ونكتفي بانتخاب عشرين اسما فقط، من بين مائة وخمسين، نتجنب ذكر من يكون قد ذكرناه بين المشاركين في «عالم الفكر»:

فؤاد زكريا، إحسان عباس، شاكر مصطفى، على الراعي، محمد عمارة، مكارم الغمرى، فهمي هويدى، محمد عصفور، عبد الوهاب المسيرى، عواطف عبد الرحمن، محمد أحمد خلف الله، مصطفى المصمودى، أنور عبد الملك، معن زيادة، عبد الغفار مكاوي أحمد مستجير، فؤاد مرسى، عبد السلام الترمانينى، سعيد الغفار، محمد عماد الدين إسماعيل.

هذه عشرون اسما يعرفها القارئ العربي ويثق بنزاهة فكرها، وسلامة أدائها، وطبيعي أن هناك غيرها الكثير، ولكننا لا نريد أن نثقل كاهل هذه الصفحات بالأسماء. وطبيعي أيضا أن أسماء جديدة، لم يكن القارئ المثقف يعرفها بطريقة جيدة، قد أخذت مكانها في هذه السلسلة التي لم تكن وقفا على الأسماء الشهيرة، أو الأصوات الجهيرة، لقد استطاعت أن نقدم أكفاء جديدة، وتعطيها فرصة نادرة للانتشار، والاستمرار، من خلال الثقة في هذه السلسلة، وبهذا أسهمت في تزكية عدد كبير من الباحثين الجدد، في مختلف أقطار الوطن العربي.

ما قبل وما بعد

لم تكن «عالم الفكر»، ثم «عالم المعرفة» بداية العمل الثقافي الذي تصدره أجهزة الدولة إلى أمتها العربية، فمن قبلهما كانت جهود، ومن بعدهما أيضا، وسنجد أو الاهتمام بالتراث العربي-الذي تجلى كرافد مستمر لدعوة التحديث والتجديد العداد المجتمع العربي لصدمة المستقبل أو صدماته-هذا الاهتمام بالتراث كان البداية، التي سبقت إعلان الاستقلال وتكوين وزارة الإرشاد والأنباء (وزارة العلاج فيما بعد) تماما كما كانت مجلة العربي (ديسمبر 1958) يدا كويتية ثقافية مضيئة، ممدودة لمصافحة عقول المثقفين وعامة القراء العرب، قبل أن تمتد أيدي سفراء الكويت بأوراق الاعتماد لرؤساء الدول، وهكذا اعتمدت الكويت ثقافتها، قبل أن

تحرص على الاعتماد السياسي، وصدرت سلسلة «التراث العربي» عن دائرة المطبوعات والنشر» (التي اعتبرت نواة وزارة الإرشاد والأنباء قبل إعلان الاستقلال).

ومن المؤسف أننا لا نملك نسخا أو قوائم شاملة لجهود هذه السلسلة ودورها في أحياء التراث، ولكن القليل المتوفر لدينا يعطى انطباعا بالجدية ! جدية الاختيار، وجدية العمل العلمي. وقد يكفى أن نذكر أن الكتاب الخاص من هذه السلسلة التراثية هو كتاب «العبر في خبر من غبر» لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي، وقد صدر في خمسة أجزاء، وقام على تحقيقه أستاذان فاضلان مشهود لهما بالتثبت والذمة وبذل أتجهد الصادق. فؤاد سيد(أمين الخطوات بدار الكتب المصرية)، وصلاح الدين المنجد (العالم المحقق السوري المعروف)، وقد صدر الجزء الأول من «العبر» عام 1960 واكتمل عام 1966، يجدر هنا أن نشير إلى أنه استكمل بكتاب سادس ألحق به، هو كتاب «من ذيول العبر» وفيه تاريخ أربعين سنة، بعد القرون السبعة الهجرية التي يغطيها كتاب «العبر» نفسه، وقد نسب إلى الذهبي والحسيني معا، وقام بتحقيقه محمد رشاد عبد المطلب، وصدره بمقدمة مهمة، وبذلك اكتملت صورة

«العبر»كما تمت فائدته وما يمكن أن يثار حوله بالنسبة للقارئ المتخصص.

أما الكتاب الثانى فهو كتاب: «مآثر الأناقة في معالم الخلافة»، الذي ألفه القلقشندى (أحمد بن عبد الله) وتد نشر في ثلاثة أجزاء، قام بتحقيقها عبد الستار أحمد فراج، ونشرت الأجزاء الثلاثة عام 1964، في مقدمة الجزء الأول يقول المحقق أنه «من الكتب النادرة آلتي لم تطبع من قبل» ويقول صاح الدين المنجد في تقديمه: «هذا كتاب جديد نفيس تقدمه سلسلة التراث العربي إلى العلماء والمثقفين. ونقاسم الكتاب آتية عن الموضوع الذي يدور عليه، ذلك لأن الخلافة في الإسلام كانت أعظم مؤسسة سياسية دينية، حددت نظام الحكم، ووضعت أسسه وطرقه، و لم يؤلف كتاب واحد يشتمل على ما يتعلق بالخلافة، وإنما هي شذرات نجدها متفرقة في التواريخ، وكتب الحديث والفقه والإدارة، فجاء القلقشندى فجمع أخبارها، منذ نشأتها إلي أيامه، مفصلة، مبوبة، حتى غدا هذا الكتاب أول مرجع يرجع إليه الباحث في هذا الموضوع».

هذان كتابان جليلا القدر، توفر على تحقيقهما جلة المحققين العرب، ولن نذهب بعيدا في الاستنتاج إذا قلنا أن البدء بالتراث يعتبر النغمة الصحيحة لطبيعة المرحلة، والمهم أن الاختيار يتجه-(في حدود المثالين السابقين، مع كتب أخرى مثل خلق الإنسان، ومجالس العلماء، والمصون في الأدب) إلى الأصول آلتي تنم على وعى واضح، وحرص على مواكبة الزمن، ونقد الحياة واللغة.

وفى نفس هذه الفترة، بدأت وزارة الإرشاد والأنباء واحدا من مشروعاتها الثقافية الهامة، آلتي لا تزال الجهود تبذل فيه إلى اليوم، وبعد أن صدر منه ثلاثون جزءا لا يزال أمامه وقت حتى يكتمل، برغم ما بذل فيه من جهود عبر ربع قرن، وذلك هو معجم «تاج العروس» واسمه الكامل: «تاج العروس من جواهر القاموس» لمصنفه السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدى، الذي أنفق فيه أربعة عشر عاما، وبدأه كشرح للقاموس، فاكتمل بالشرح معجم جليل نادر ظل حبيس دور الخطوات (إلا من طبعتين مضطربتين أشارت إليهما مقدمة المحقق للجزء الأول منه) حتى تصدت الكويت لبعثه حيا كأحسن ما تكون الحياة صحة، ونظاما، ووفاء، وضبطا. صدر الجزء الأول منه عام 1965، توالت الأجزاء حتى اكتملت إلى خس وعشرين، ولا تزال في «تاج العروس» بقية تأتى إن شاء الله لتتم به منظومة هذا الفن من جهود القدماء الأفذاذ، فن المعاجم الذي هو سر نقاء اللغة، بل سر بقاء اللغة. حقق الجزء الأول من «تاج العروس» عبد الستار أحمد فراج، المعروف بخبرته ودقته في تحقيق الخطوات، وقد ظهر هذا الجزء الأول في (523 صفحة) من القطع الكبير، تنقسم كل صفحة إلى نهر ين، كما هو الرسم المعتاد في المعاجم. وتتابع المحققون كما تتابعت الأجزاء، فشارك فيه من أصحاب السابقة المشهود لهم. عبد السلام هارون، ومصطفى حجازي، وعبد الكريم العزباوى، وحسين نصار، وإبراهيم الترزي، وعبد العزيز مطر، وعبد الفتاح الحلو، وغيرهم. هذه بعض ملاح «البداية التراثية» للرسالة الثقافية الكويتية، تتسم بالجدية والرصانة، وتحيى من صفحات المعرفة ما هو أصيل، وجاد، ونافع، مما لا خلاف عليه، ولا شبهة في إحيائه، ولا منفعة عاجلة فيه من دعاية للدولة أو ترويج لمذهب، أو تبرير لسلوك، أو تضليل عن حقيقة، أو طمس لوعى.. . إنها على العكس من هذا كله، فهذه

الصفحة التراثية من رسالة الكويت الثقافية ستبقى مضيئة حقا، ونموذجا يحتذي، ودليل صدت النية وطهارة القصد، وشمول الرؤية، فلقد كان هذا المستوى من التراث هو «النغمة الصحيحة» في تلك المرحلة المبكرة من عمل أجهزة لم تستكمل هذه الخطوة التراثية. ولقد اختلف الأمر بعد ذلك، حين ملكت هذه الأجهزة ما لم تكن تملك مما أشرنا إليه.

لقد اتسع الاهتمام بالتراث، وتعددت الأجهزة العاملة في حقله[11]، وجامعة الكويت تملك مركزا ضخما، جعل من أهدافه أن يقوم باسترداد تراثنا المبعثر في متاحف العالم ودور مخطوطاته، وإذا لم تتمكن جامعة الكويت من استرداد تلك الذخائر لاقتنائها، وحمايتها من الضياع مرة أخرى، فإنها ما كانت تقصر في بذل المال والمعونة في سبيل تصوير تلك الخطوات، والاحتفاظ بها على أفلام «ميكروفيلم» أو «ميكروفيش» وكانت جامعة الكويت قد قطعت شوطا لا يتسم كان به في هذا السبيل، حتى يمكن أن يقال أنها بسبيلها إلى أن تكون مركزا عالميا، من مراكز الخطوات العربية، لقد صورت كل ما انطوت عليه مخطوطات مكتبة «شسترجينى» في ايرلندا، حتى مخطوطات استنبول، والأتراك شديدو الضن بها، ولا يسهل التعامل معهم بشأنها، استطاعت جامعة الكويت أن تلين قناتهم، وأن تقنعهم بفك الحصار-نسبيا-عنها. وقد كان لجامعة الكويت جهد إضافي هام-في نطات حماية المخطوطات العربية-فأذكر على سبيل المثال جانبا كان لي فيه مساهمة مباشرة، يتعلق بمخطوطات اليمن، واليمن عالم مغلق، ينطوي على كنوز تراثية تائهة الملامح، لم تحصر، و لم تفهرس، و لم تجمع عنها المعلومات، فضلا عن أن توضع في الصورة والمكان اللذين ييسران للمحققين الإقبال عليها ونفض غبار الزمن عنها. وقد طلبت اليمن معونة جامعة الكويت لما لها من اهتمام خاص في هذا الأمر، ولأن جامعة الكويت هي التي أنشأت جامعة اليمن، وتولت اختيار هيئة التدريس بها (من المتعاقدين من خارج اليمن) وحملت القسط اخبر من نفقاتها. وبالفعل سافر إلى اليمن فريق من مركز المخطوطات بجامعة الكويت، قضى ثلاثة أشهر يتجول في أرجاء تلك البلاد على وعورتها ومشقاتها-ليشاهد، وينظم، ويكتب القوائم، وعاد بهذا كله إلى الكويت، ليصنع الفهارس، ويرسلها إلى أصحابها في صنعاء وتعز وغيرهما من مراكز التراث هناك.

وهكذا لم تقف جهود وزارة الأعلام (الإرشاد والأنباء سابقا) وحدها في مجال العناية بالتراث العربي، و لم يكن المركز-في جامعة الكويت-الرافد الوحيد لها، ولكن كان هناك أيضا «قسم التراث العربي» بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. غير أنه لم يكن شعبة أخرى من ؟شعب العمل في حقل التراث، وإنما كان شعبة مختلفة، وهكذا توزعت الأدوار، فحدث التناغم وليس التداخل، والتآزر وليس التضارب، والشمول وليس المراوحة والدوران حول النفس. لقد تحرك قسم التراث العربي بالمجلس الوطني قي اتجاهين:

أ- الاهتمام بأمهات الكتب العلمية التراثية، التي يذكرها العربي اسما، و لم تتح له فرصة الاطلاع عليها، مع أهميتها بالنسبة لتاريخ العلوم، ولكبريائنا القومي، وجلاء دورنا التاريخي أيضا (ولماذا لا؟) وبخاصة أن أهل الغرب-على كثرة ما ينكرون من فضل العرب على الحضارة العالمية المعاصرة-لا يستطيعون أن ينكروا فضل تلك استكشافات المؤثرة. وهكذا ظللنا نسمع عن كتاب «المناظر» للحسن بن الهيثم ونقرأ عنه، دون أن نراه عيانا، إلى أن قام بتحقيقه عالم ثبت هو الدكتور. عبد الحميد صبره، الأستاذ بجامعة هارفارد، وجامعة الإسكندرية سابقا، حققه عن مخطوطة عربية، وراجعه على الترجمة اللاتينية، وبذل من العناية بالمصطلح والشرح حتى استقرت المقالات الثلاث الأولى «في الأبصار على الاستقامة» في اكمل صورة ممكنة، في ثمانمائة صفحة من القطع الكبيرة والطباعة الفاخرة عام 1983.

وليس من أهدافنا أن نقدم استقراء أو إحصاء لما صنع قسم التراث العربي بالمجلس الوطني الثقافة، فليس هذا مكانه، وإنما نشير إلى جانب من ملاح رسالة الكويت، الثقافية، والجهود المخلصة المبذولة في هذا السبيل، ولقد حظى تاريخ العلوم عند العرب بقدر من الاهتمام يستحقه، جدير بالتقدير، و لم يكن كتاب ابن الهيثم المشار إليه إلا واحدا من عدد لا يستهان به، وليست شهرة ابن الهيثم، أو الالتفات العالمي إليه هما وحدهما السبب في الإقبال على كتابه، واختياره، فخدمة العلم-في ذاته-تستحق ما يبذل في سبيلها، والتاريخ لا يكتبه المشاهير وحدهم، وان استكمال الصورة ليحفز على الكشف ورعاية الحقيقة في كل اتجاه، وهذا كتاب لمؤلف مجهول،

غاية جهد المحققين له أن يستنتجا انه من القرن الثامن الهجري، أما الكتاب نفسه فعنوانه: «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» (صدر عام 1984) وأهمية هذا الكتاب تتضح بمجرد تصفحه، فقد صحح صفحة محرفة، عن علاقة العرب بفن الزراعة، وأعمار الأرض، ووصف النباتات، وصنفها، على امتداد مساحة الوطن العربي، وذكر ما تسمى به في كل بقعة من أرض العرب، أو خارجها إذا كان مما يزرع خارجها-وأورد بعض ما قيل في هذه النباتات من أشعار. إن كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» ضروري لمن يهتم بتاريخ العلوم ولدارس اللغة، والمعجم، وعلم الدلالة، والشعر، وتطور اللهجات، إنه صورة من صور الطريقة العربية التراثية في التأليف العلمي، آلتي تمزج بين مختلف المعارف (أو التخصصات) في بناء فكرى، أو في سياق واحد.

ب- أما الاتجاه الآخر لقسم التراث العربي، فيقوم على التوسع في مفهوم التراث ذاته، حين يتجه إلى انتقاء الدراسات الأصيلة، التي كتب لما غير العرب، بلغات غير العربية، وتعرض لجانب من تاريخهم أو نشاطهم الحضاري في بعض حقب التاريخ. بين أيدينا كتابان في هذا المضمار: أحدهما عن «تركستان، من الفتح العربي إلى الغزو المغولي» ألفه بالروسية فاسيلى فلاديميروفتش بارتولد (وقد صدر عام 1981 في ألف وأربعين صفحة من القطع الكبير) والآخر عن «العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي» وقد ألفته بالروسية أيضا نينا فكتورفنا بيغو لييفسكيا (وقد صدر عام، 1985 في 420 صفحة من القطع الكبير مدعمة بالصور والرسوم والخرائط وشجرات النسب وجداول الحكم) وقد نقل الكتابين عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم. ويمكن أن نلاحظ عدة دوافع تحبذ اختيار هذين الموضوعين (الكتابين) بالذات، بعضها مستمر، وبعضها طارئ: فنحن نعرف أن الجناح الشرقي لدولة الخلافة الإسلامية، الممتد ما بين إيران، وجنى الصين وروسيا، لا يحتل مساحة واضحة محددة المعالم في العقل العربي المسلم، بالمستوى الذي يحظى به الجناح الغربي الممتد من برقه (ليبيا) حتى الأطلسي، بل أن بلاد الأندلس (التي فقدناها منذ ستة قرون) تبدو اكثر وضوحا من تلك المناطق النائية آلتي لا تزال في حوزة الإسلام، وإن لم تكن في حوزة العرب، أو يربطها بهم تنسيق ما. وإذا

كان الكتاب الأول يقع سلم عن مساحة من الأرض غامضة-تركستان-بالنسبة لنا، فإن الكتاب الثانى يتكلم عن مساحة من الزمن غامضة، بل أشد غموضا، ومصادرها شحيحة. «معلوماتها متداخلة تسللت إليها الأساطير وكأنها تاريخ شعبي أو أسطوري، وليست صورة لحياة أمة عظيمة، كانت تعيش مخاض التأهب لاستقبال رسول كريم، سينطلق بها إلى آفاق رحيبة وسامية، من الاعتقاد، والتوحد، والتقدم في كل مضمار. وهل نغفل أهمية إحياء صفحة هاتين البقعتين، تلك الأهمية المستجدة لنا الآن، وهما تحت ضوء الاهتمام العالمي، بسبب الحروب والتحولات تشهدها، والصحوة المتمثلة في كل منهما ؟ أر ليس الاهتمام بهما الآن، الواضح في طرح الكتابين، إشارة لا تخطئ، إلى الفكر العربي، والسياسة العربية، أن تتجه إليهما وأن تتجه من موقع المعرفة التاريخية، التي تحاول الحوادث المستجدة أن تطمسها أو تزيفها؟ في ختام هذا العرض التحليلى المركز لمضمون رسالة الكويت الثقافية لم نتطرق لتفاصيل المحاور، وما تموج به من أفكار وتوجهات، اكتفاء بالإطار التنويري العام. ويتضح لنا الآن أننا لم نتجاوز «المطبوعات» ومن المؤكد أن«الرسالة» تتجاوزها، ولعل إيثارها يرجع إلى «حضورها» وسهولة العودة إليها. وهذا ما لا يتيسر لما أقامت الكويت من معارض فنية، وأسابيع ثقافية في كافة العواصم العربية أو أكثرها. وفى هذه المواسم الثقافية معنى إضافي نبه إليه هاشم ياغى الأستاذ بالجامعة الأردنية تعليقا على الأسبوع الثقافي الكويتي في الأردن: ففضلا عن أن إنتاج أسلوب الأسابيع الثقافية يحيى تقليدا عربيا تاريخيا امتد منذ عصر الجاهلية، إذ كانت أسواق الفكر والأدب من أهم ينابيع الثقافة، وأيضا: إذا كان العرب اليوم قليلي التواصل الحقيقي بين أقطارهم، رغم مؤتمراتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الكثيرة، فإن مواسمهم الثقافية ببعد مضمونها في الغالب عن عناصر التفرقة، تساهم في تقريب هذه الأقطار بعضها من بعض(12).

هل يمكن أن نتوسع قليلا في كشف آفاق «التنوير»، فنقول إن الرسالة الثقافية للكويت إنسانية تفتح نوافذها على جهات العالم وتحترم الحرية بقدر ما تحترم الالتزام بالمبدأ والمعتقد، عربية إسلامية في حرصها على الهوية والقيمة، مستقبلية تضخ أسباب الحياة في شرايين الراهن بقوة الوعي به، والتطلع إلى تطويره إلى الأقوى والأجمل؟

الهوامش والمراجع

(1) يصف فؤاد زكريا تجربة الكويت الثقافية لأنها ذات-هات فريدة، نثبت قدرة الثقافة على تجاوز الحواجز الأيديولوجية، والسير في طريقها المستقل، فأصبحت الكويت مركز إشعاع تفاد يمتد في أرجاء الوطن العربي كله (خطاب إلى العقل العربي ص 57) ويقول في مكان آخر: إن الكويت دولة رأسمالية اقتصاديا، (لكن في الميدان الثقافي كان الوضع مختلفا، فكانت هناك رعاية خاصة من قبل الدولة للثقافة، وهذه الرعاية اعترفت بها الدول العربية جميعا» (حوار بمجلة القاهرة عدد ديسمبر 90-يناير1991).

(2) فؤاد زكريا: خطاب إلى العقل العربي: ص 14, 15.

(3) مالك بن نبي: مشكلة الثقافة ص 86.

(4) السابق نفسه ص 56.

(5) فؤاد زكريا. المبادئ الأساسية للتخطيط الشامل من زاوية عربية: الخطة الشاملة للثقافة العربية (منشورات المنظمة العربة للتربية: الثقافة: العلوم-المجلد 3 ص 17).

(6) السابق نفسه.

(7) الخطة الشاملة للثقافةالعربية: المجلد الأول ص 63.

(8) السابق نفسه: ص 65.

(9) وهذا عكس ما نسجله للسياسة الثقافية وأسلوب الرقابة في الكويت، من الاستقرار، وثبات الأهداف، وهو عامل مؤثر في تماسك الرسالة، ونابع من موضوعيتها أيضا.

(10) أحمد العدوانى: مقدمة العدد الأول من عالم المعرفة «الحضارة»يناير 1978.

(11) في الكويت أربعة أجهزة ثقافية تعمل في مجال خدمة التراث العربي، لكل منها مجال اهتمامه بما يناسب رسالته: 1- وزارة الأعلام،: فد كانت البادئة و لا تزال توالى نشر تاج العروس 2- وجامعة الكويت وفيها مكتبة مخطوطات ونشرت تحقيقات مهمة، وقادت حملة لتصوير المخطوطات العربية المغتربة وفهارسها، كما قدمنا 3- وقسم التراث بالمجلس الوطني للثقافة 4- وقسم التراث بمؤسسة الكويت للتقدم على وقد نشر عددا من المخطوطات التى تضىء تاريخ العلوم عند العرب مثل: منظومات ابن الياسمين في أعمال الجبر والحساب، وفرحة الهموم والغموم في العلاقات والمسافات والنجوم، وهو لبحار مجهول.

(12) مجلة العربي: العدد 314- يناير1985 ص 142.

4 مستويات الخطاب الثقافي

ونقصد بالمستوى كل ما يترتب على توجيه الرسالة الثقافية إلى المتلقي (القارئ أو المشاهد أو المستمع) من ضرورة مراعاة شرائط في شكل الرسالة ومدى التركيز في أفكارها وأسلوبها بحيث يتواءم هذا كله ومستوى المتلقي المفترض ونشاطه الخاص. وبهذا تستطيع الرسالة أن توصل مضمونها إلى جمهورها الطبيعي. لقد كانت لنا وقفة مع المحتوى، أو المضمون (المحاور) آلتي دارت من حولها، والتزمت بها رسالة الكويت الثقافية، وهذه المحاور الحاكمة السائدة كانت موضع اعتبار من كافة العاملين في خدمة الدور الثقافي الكويتي الموجه إلى الأمة العربية، وسواء حدث هذا اتفاقا (اي مجرد مصادفة) أو انسياقا مع إيمان داخلي عام أو عن اتفاق (اي وفق تخطيط وتدبير) أو هو بين هذا وذاك (وهو ما نرجحه) فكان انبعاثا عن بصيرة نافذة، وضمير صحيح التوجه صادق الرغبة في أداء خدمة نافعة لشخصية الأمة ماضيا ومستقبلا، فإن هذا قد حدث مرة أخرى في تنويع أشكال الرسالة ومستويات خطابها. وهكذا أدت وحدة المحاور أو منطلقات تلك المحاور (من ناحية المضمون) إلى تماسك الرسالة، ووضوح أهدافها

البنائية، كما أدى تنوع أشكالها ومستوياتها إلى أن تتمكن من مخاطبة جميع مستويات جماهير الأمة العربية، مهما كان حظها من الفكر أو التعليم أو الثقافة، وبهذا أخذت طابع الخدمة العامة ووصلت إلى كل آفاق المجتمع العربي. وينبغي علينا الآن أن نتعرف على هذه المستويات من خلال خطة النشر الحكومية (وحدها) وإن كان من الظلم البين أن نغفل دور الأنشطة النقابية، ومؤسسات النشر الخاصة، وهل يمكن أن نتجاهل دور «مجلة البيان» التي تصدرها رابطة أدباء الكويت؟ لقد كانت «الوجه المتخصص» للدور الذي تؤديه مجلة العربي، فالبيان مجلة أدبية، يصدرها أدباء الكويت، هي معانة من الدولة، مثل كافة التنظيمات النقابية، ولكننا حين نقلب محتوى «البيان» سنجدها ليست مقالات كتابها وإبداعاتهم من اتساع الأرض العربية، وتقبل-في حدود مستواها العلمي والفني-الكتابة عن أية ظاهرة، أو آي أديب عربي، في نتاجه جدية وابتكار، دون انحياز مسبق مع، أو ضد، فيما عدا صون الفكرة العربية، واحترام الشعار القومي، وكل ما يدعمه قولا وفعلا[1] ومثل هذا يمكن أن يقال عن نشاط رابطة الاجتماعيين، وعن المسارح، وغيرها، بل ان الشيخة حصة الصباح التي أنشأت نجهدها الخاص واستقدمت من أرجاء أوربا تحفا عربية وإسلامية اغتربت في عصور وظروف مختلفة، تمول الآن وتشرف على عمليات كشف أثرى في مواقع مختلفة من الوطن العربي (انظر الملحق) غير أننا نتوقف عند حدود النشاط الحكومي (الرسمي) لأنه المعبر بالتحديد عن التوجهات العليا المؤثرة، المستمرة، التي تدل على قناعات مؤكدة، ليست ذات مصلحة عابرة، أو رغبة دعائية من نوع ما، أو مرتبطة بسياسة شخص أو أهدافه.

لقد كان الالتفات إلى التراث بمثابة البداية المبكرة (كما رأينا في طرح المضمون) ولكن هذا المستوى الخاص (الذي استمر دون توقف، بل توسعت الجهات المشغوفة به) لم ينفرد بالوجود طويلا. لقد قفزت «العربي» إلى ساحة الثقافة، مسلحة بأهداف التنوير العلمي، والثقافة الأصيلة، مرتبطة بالمستوى الآخر (الجمهور العام) فكانت بحق مجلة جميع المستويات، وقد حرصت على أن تكون كذلك حتى بالنسبة لتسعيرها فلم يتجاوز ثمنها سعر كوب الشاي في أحد المقاهي الشعبية، في كل عاصمة عربية، على مستواها، بصرف النظر عن التكلفة الفعلية لتحرير العدد، وطباعته، ونقلة، وتسويقه.

ا - العربي تستقطب القارئ الخاص

بعد تجربة طويلة ناجحة-زادت عن ربع القرن-حملت فيها مجلة العربي رسالة التنوير العام في الفكر والعلم والسياسة والتاريخ والفن، وقد جمعت بين أصالة الحس العربي، ونبالة الإيمان بالإنسان، وصدق التوجه إلى المستقبل، رأت أنه من الضروري أن تضيف إلى موقع «مجلة لكل الناس» القارئ الخاص، الذي تتحدد علاقته بالأشياء من خلال منظور يحكمه العمر، أو يوجهه الاهتمام الخاص،، فكان أن تولد عنها مجلة خاصة، وكتاب مختص في زمني متقاربين، وقد يبدوان للوهلة الأولى متباعدين الاهتمام، ولكن شيئا من التمعن سيرينا أنهما أولا يكملان رسالة العربي (المجلة الأم لهما) وثانيا-ومن هذا المنطلق نفسه-يلتقيان على خطة واحدة وهدف واحد.
أما هذان العملان فهما:

أ- العربي الصغير (صدر العدد الأول في فبراير 1986).

ب- كتاب العربي (صدر العدد الأول في يناير 1984).

مع هذا بدأنا بالعربي الصغير، ليس إقرارا لمنطق التدرج في العمر وحسب، وإنما لأن «العربي الصغير» وقبل أن يصبح مجلة مستقلة لها مقوماتها الخاصة، كان يصدر كملحق مجاني صغير يوزع مع مجلة العربي لعدة أعوام، ثم رؤى أن يستقل، ويتوسع، ويكتشف لنفسه منهجا، فكان «العربي الصغير». ويقول الأديب القاص محمد أبو المعاطى أبو النجا، الذي أشرف على هذه المجلة الموجهة إلى الطفل العربي منذ بدايتها[2] إن فكرة المجلة أخضعت لدراسات وتأملات معقدة، لنكتشف-في توجهنا إلى الطفل العربي-منظومة الأهداف التربية والثقافية والإنسانية التي ينبغي على المجلة أن تتوخاها، هذا بالطبع بعد أن نحدد القارئ الذي تخاطبه المجلة سواء في الوطن العربي أو خارجه، ثم المرحلة العمرية التي نتوجه إليها بالخطاب. وبالنسبة للأمر الأول لقد حدد القارئ بأنه كل طفل عربي يقرأ العربية في الكويت أو خارجها على امتداد الوطن العربي، أو في اي موقع كان من العالم، ما دام ينتمي أو يريد أن ينتمي إلى الثقافة العربية. وبالنسبة للأمر الثاني حددت المرحلة العمرية بأنها ما بين الخامسة، والخامسة عشرة، وقسمت إلى ثلاث مراحل كان لكل مرحلة ما يناسبها في تبويب المجلة تحريرا وإخراجا.

ودون دخول في تفاصيل محتوى هذه المجلة، نعرف أن رسالتها تتوافق ورسالة «العربي» بين الكبار، تلك الرسالة التنويرية القومية الإسلامية العلمية التي دأبت على تثبيتها منذ تأسيسها، فكانت رسالة العربي الصغير تقدير قيم المعرفة، والعمل والعدالة، وكما يعبر أبو النجا في ورقته المشار إليها «كيف نبعث فيه الولاء لوطنه دون أن يفقد القدرة على رؤية ما للأوطان الأخرى من مزايا، ولقوميته دون أن يغفل عما لدى القوميات الأخرى من إيجابيات» و «كيف نساعد الطفل على أن يفرق بين العصبية المحمودة والتعصب الممقوت ؟ كيف نساعده على أن يتقبل في وقت واحد معنى الوحدة بين البشر التي يمثلها احترامهم، واحتياجهم للمنهج العلمي ومعنى الاختلاف الذي يتبدى بين الثقافات ويرجع إلى اختلاف الجغرافيا والتاريخ والبيئة».

ويبدأ العمل على الطريقة المستقرة في الكويت، بعيدا عن الانغلاق، والتكتم السيئ، وادعاء الاستغناء عن خبرات الآخرين من ذوى العلاقة والمعرفة، فكان أن صدر تعددان تجريبيان، أطلق عليها (صفر واحد، وصفر اثنان) ومع ما كان لهما من صدى مباشر طيب لدى المتعامل الأول مع المجلة وهو اسفل في الكويت (والأطفال في الكويت تقريبا من جميع أقطار الوطن العربي) والمسئول الأول عنها، وهى الأجهزة الثقافية في وزارة الأعلام، وبخاصة مجلة العربي، مع هذا دفع بالعددين (صفر واحد، وصفر اثنان) إلى عدد كبير من كبار المربيين وأساتذة الجامعات العربية، والنقاد، والرسامين، والكتاب، والشخصيات العربية العامة، والمهتمين بثقافة الطفل، وإلى بعض المؤسسات التربوية العربية،-في مقدمتها : المكتب العربي للتربية لدول مجلس التعاون، والمنظمة العربية للتربية والعلوم (الكسر) التابعة للجامعة العربية، وعدد من رؤساء تحرير الصحف والمجلات، وبخاصة مجلات الطفل.

أن «العربي الصغير»-ولا بد أن نعرف هذا-أول مجلة للطفل العربي تصدرها هيئة حكومية، على المستوى العربي كله، الذي تعودت أجهزته الثقافية أن تتوجه نحو الذين يملكون الصوت العالي للتأثير عليها في اتجاه ما، أو لسبب ما، أما الطفل فإنه مسكوت عنه، حتى يكبر، ويملك صوتا، ويصنف ضمن مجموع، متروك لاجتهادات المؤسسات الخاصة وهى بين

حسنة النية لا تملك الإمكانات، وبخاصة عن الربح لا يعنيها هدف غيره، ولا تملك خطة ولا تشغلها رسالة. والخلاصة أن الخطوات الطويلة المتراكبة آلتي اتخذتها هيئة تحرير «العربي الصغير» قبل أن تصدر لم تكن من قبيل قصور الرؤية، أو العجز عن المبادرة، أو التردد في اتخاذ الموقف، لقد كانت استفتاء ومشاركة، استفتاء عربيا شاملا على محتوى المجلة ومستواها، ومشاركة في تكوينها وتوجيهها، فالأمة العربية (في المستوى المعنى بالموضوع) تتخذ القرار، والكويت تنفذه وتشرف عليه.

من هنا روعى في تشكيل مادة «العربي الصغير» أن تكون موافقة وأهداف التنوير والأصالة والمستقبل، من جانب، وأن تكون-فنيا-غاية في الإتقان-ما أمكنت التجارب والمحاولات من جانب آخر، وأن يساهم في مادتها وتشكيلها كافة العناصر المتميزة في التأليف للطفل، والرسم من الأقطار العربية المختلفة. لم تكن الكويت-بذاتها-بحاجة إلى مجلة-مجرد مجلة-للأطفال، كانت هناك مجلة (سعد)[3]، التي أشبعت السوق المحلية كويتيا وخليجيا، ولكن «العربي الصغير» جاءت لتعزف نغمة أخرى، من مستوى مختلف. ونعود إلى «أبو المعاطي أبو النجا» ليحدد بعض التوازنات آلتي روعيت في تشكيل مادة المجلة، وتحديد أهدافها، وأيضا في انتقاء العناصر التي تصنعها، فيشير أولا إلى توازن بين القدر المشترك من الخلفية الثقافية للطفل العربي وبين ما مثل نوعا من الخصوصية الثقافية في بعض الأقطار العربية «وبطبيعة الحال فقد كان لهذا القدر المشترك النصيب اخبر من مواد العدد» وتتوالى التوازنات إلى أن نصل إلى صناع المجلة تحريرا وتشكيلا فنيا، فنجدهم من مصر مثل محمد المنسي قنديل وفاروق خورشيد وصنع الله إبراهيم، وسليمان فياض وعبد الحكيم قاسم ومن لبنان الشاعر حسن عبد، ومن الأردن الشاعر محمد الظاهر، ومن العراق طلال حسن وانطلاق محمد، ومن الجزائر المصمودي بن عتو وابن عباس كبير وغير هؤلاء. وكذلك كان الرسامون من هذه الأقطار وغيرها، وكان مخرج المجلة فنانا يمنيا شابا هو عبد القادر السعدي. بل يذكر أنجر المعاطى أن المجلة كانت تختار لكل كاتب رساما تتناغم خطوطه ولغة هذا الكاتب، مهما تباعدت أقطار الكتاب عن الرسامين..

أما محتوى المجلة، فتدل عليه عناوينها، من مثل: «مدن لها تاريخ» و

«صفحات من التراث:< «الحقيبة العلمية» و«اعمل بيدك» و «كيف تعمل» ؟ وهناك أبواب أخرى قد لا تدل عناوينها على المحتوى، مثل «عفرتوش» أو «عثمان البلهوان» أو «همام ورمانة وزغلول» وقد تدل على رؤية جديدة، مثل «هيا نتكلم في السياسة» وهو يكتب بأسلوب سهل جذاب، ينتقى خبرا مما يشغل الناس وأشارت إليه الصحافة اليومية فيروى قصة الخبر، وأبعاده السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، «إنه باب يكسر الوهم الذي يجعل الأطفال يعتقدون أن السياسة شئ يخص الكبار وحدهم، فيعلمهم أن السياسة تتصل بأخص ما في الحياة اليومية وبحياتهم ذاتها».

إن تجربة «العربي الصغير» الفريدة تستحق قراءة خاصة. تستحق أن تتكرر في اكثر من مطر عربي، من نفس المنطلقات، نحو الهدف الواحد الذي بدأ العمل به، وله، من الكويت.

أما كتاب العربي فهو ثمرة من ثمرات التنوع والاستمرار في محتوى مجلة العربي لأكثر من ربع قرن، في جانب، ورغبة في اكتساب قارئ جديد في جانب آخر، ولا بد أن نشير إلى اتساع شريحة القراء، وارتفاع مستوى الوعي العام لديهم، مما يترتب عليه، عند من يجعل تنمية الواقع الثقافي العام هدفا ثابتا له، من جانب ثالث. أما قضية «الأهداف» فقد فرغنا من تحديدها، وهى ثابتة في كافة الإصدارات الكويتية مهما تنوعت وسائلها ومستوياتها.

من الحق ما قرره كامل زهيري من أن مجلة العربي ما كان لها أن تولد، لتبقى وتستمر لو لم يتوافر لها ما يسميه المثلث الذهبي، وأركانه: الحرية، والعلامة الحميمة بالقارئ، والإدراك الذكي للأحداث.[4] وهذه العناصر المؤثرة تحتشد بدورها وراء إصدار الكتاب، ومع هذا يبقى سؤال. لماذا كتاب العربي وهو يعتمد أصلا على مادة سبق نشرها في المجلة ؟ سنعود إلى تقويم كامل زهيري لمحتوى العربي القائم على التنوع، فيقول. «هكذا يضع أحمد زكى صيغة موسوعته للأدب والعلم والطب والفن، ويأخذ من كل شئ بطرف، ويضع معادلة «كيميائية» متوازنة ما بين الأصالة والحداثة، وما بين العربي والغربي، وما بين القديم والجديد.. . هذا التوازن الصارم لتكون المجلة «جامعة» وشعبية تبسط العلوم والطب والاختراعات والأدب، والتاريخ و الفكر...».

ودون أن نستطرد في أمر المحتوى، فقد كان نجاح العربي في عصر أحمد زكى مؤثرا جدا على خليفتيه: أحمد بهاء الدين، ثم محمد الرميحي، فظلت رغبة التجديد محكومة بقوة الاستمرار. وقد ذكر الرميحي مبررا أساسيا لإصدار الكتاب، وهو جمع شتات كتابات المفكرين الذين ساهموا بكتابات قيمة على فترات زمنية متباعدة مما يفقد القارئ متابعة تلك الكتابات التي تناولها كاتب أو اكثر في موضوع واحد، لذلك كان المحور الأساس الذي تقوم عليه فكرة إصدار هذه السلسلة هو أن تقدم مجموعة من الموضوعات لكاتب واحد، أ و موضوع واحدة لعدة كتاب، على أن تتوافر للقارئ متكاملة في حجم معتدل يسهل حفظه ونقله[5].

وإذا فيمكن أن ننظر إلى كتاب العربي-من وجهة فنية-على أنه استكمال أو تحفظ على صيغة المجلة الجامعة المبسطة، من حيث هو انعكاس لفكر كاتب واحد، أو تعميق وعرض لوجهات نظر حول موضوع واحد. هو من وجهة عملية اكتساب لمستوى آخر من القراء والمثقفين، ومن وجهة علمية إحياء لمادة علمية، وإنعاش للذاكرة العربية. فقد يكون من أشد ما نعاني من سلبيات العمل العلمي أننا نبدأ الشيء نفسه اكثر من مرة، لأننا ننسى ما سبق لنا إنجازه، وفى هذا ما فيه من التعويق وإهدار الجهد.

لا يتسع المكان لعرض ثمانية وعشرين عنوانا[6]، مع هذا لا بد أن نتوف عند بعض العناوين، ونبرز بعض المحاور، ويكفى أن كتاب البداية بعنوان «الحرية» فكان خير استهلال، وجمع مقالات لأحمد زكى، فكان عنوان الوفاء، ومقالات أحمد زكى عن الحرية ليست ذات طابع فلسفي أو تجريدي، أنها بنت زمانها، تلبى مطالب نفسية واجتماعية للمواطن العربي ملحة، ولا تخاطب النوع الإنساني، ولا تضرب في المطلق إلا لتخدم هذا المواطن العربي خدمة عملية مباشرة تمس واقعة في الصميم، ومن ثم يتناول الحرية من منظور قومي، وإسلامي، ثم من منظور العلاقة بين الفرد والمجتمع، ثم منظور اقتصادي وسلوكي (المساواة والديمقراطية) ثم حرية الفكر والثقافة، وهكذا حتى يصل إلى آداب الجدل وأصول الحوار.. . وإذا كان من عناوين هذه السلسلة:

الكتاب الثاني: العلم في حياة الإنسان: عبد الحليم منتصر.

الكتاب الرابع. العروبة والإسلام في أوروبا. محمود السمرة.

الكتاب السادس: طبائع البشر: فاخر عاقل.

الكتاب السابع: حوار لا مواجهة (الإسلام والعصر). أحمد كمال أبو المجد.

الكتاب إلحادي عشر: نظرات في الواقع الاقتصادي المعاصر: حازم الببلاوى.

الكتاب الثاني عشر: السلوك الإنساني (الحقيقة والخيال): فخري الدباغ.

الكتاب الرابع عشر: المسلمون والعصر: مجموعة من الكتاب.

الكتاب السابع عشر: خطاب إلى العقل العربي: فؤاد زكريا.

الكتاب التاسع عشر: الفلسطينيون من الاقتلاع إلى المقاومة: مجموعة من الكتاب

الكتاب الثاني والعشرون: الإسلام والعروبة في عالم متغير: عبد العزيز كامل.

الكتاب الثالث والعشرون: الطفل العربي والمستقبل: مجموعة من الكتاب.

وهكذا، فإننا سنجد ثوابت الرسالة الثقافية للكويت، التي تتوجه أحلا إلى القارئ العربي، ولن نهمل الإشارة إلى وجود عناوين في السلسلة تتصل بالكويت مباشرة، أو بالخليج وحده، أو حتى بمجلة العربي في ذاتها، وهذا كله طبيعي ومتوقع، ولكنه لا يمثل النسبة الغالبة، بل لعله أقل من العشر (10٪) ولا يحظى بالصدارة أو يسبغ عليه أي لون من الأهمية الاستثنائية. إن عناوين هذه السلسلة تتسق تماما مع المحاور الأساسية التي تعرفنا عليها في «عالم المعرفة» و «عالم الفكر» ووجه الاختلاف يتصل بالدرجة، فالخاطب هنا القارئ العام، أو القارئ المثقف، أو هو القارئ الخاص في حدود مجلة العربي. لن يخطئ النظر في قراءة هذه العناوين الهدف التنويري العام، والتوجه نحو قضايا الإسلام والعصر، والاهتمام بالقومية والمستقبل، والطفولة.

2- من المسرح العالمي

وهذه السلسلة من المسرحيات العالمية من أضخم المشروعات الثقافية العربية إن لم تكن أضخهما على الإطلاق، إذا ما نظر إليها من منظور الترجمة أو من منظور التركيز على فن واحد، فبين صدور المسرحية الأولى

في أول أكتوبر من عام 1969 حتى التوقف المؤقت في أغسطس. 1990 و مائتان وخمسون عددا (أحيانا اشتمل العدد الواحد على اكثر من مسرحية إذا ما كانت من فصل واحد، أو في حالة الأعمال الكلاسيكية آلتي تتسم بالتركيز الشديد) ولكل مسرحية مترجم، ومراجع، ومع كل مسرحية دراسة فنية عن زمن المسرحية وكاتبها، وفنه بشكل عام، ثم خصائص هذه المسرحية تحديدا. لقد صنعت هذه المسرحيات نهرا فنيا ثقافيا، تكون من روافد كثيرة، متشعبة بامتداد خريطة الفن المسرحي في العالم، ولم يعهد في مشروعات الترجمة-على المستوى العربي-سواء ما قامت به مؤسسات إقليمية قطرية، أو ما قامت به الجامعة العربية مما يتصل بهذا المجال الثقافي، ان كان لها هذا الدأب، وهذا الحرص على المستوى، وهذا المحس بالهدف، ليست الكويت أول من ترجم عن المسرح العالمي بالطبع، ومن ثم لا تنسب إلى نفسها اكتشاف حاجة المسرح العربي إلى الاتصال بالمسرح العالمي من باب الترجمة النصية الكاملة والدراسة التعريفية بالاتجاهات، والاجتهادات، فقد سبقتها جهود كثيرة على نفس الطريق في شرقي الوطن العربي ومغربه، ولكن سيبقى المشروع الكويتي الأطول امتدادا، واكثر وفاء بالامتداد التاريخي والجغرافي للظاهرة المسرحية، واشرد على «المألوف» والرضا بالميسور السهل. ولا بد أن يكون لدينا يقين بأن هذه السلسلة قد صممت لتكون مشروعا ثقافيا قوميا، إن الحركة المسرحية في الكويت، على تنوع أنشطتها أو اتجاهاتها ومستوياتها، وعلى استقرارها إلى حد كبير، لم تكن بحاجة (شخصية أو مباشرة) إلى مشروع بهذا الحجم، وهذه التكلفة، لكي تضمن لنفسها مادة جديدة، وهذا يعنى أن الذي رسم أهداف، وخطط لسلسلة «عالم المعرفة» يوجهها إلى المثقف العام، وإلى المختص أو المتخصص في نفس الوقت، هو الذي رسم أهداف، وخطط لسلسلة «المسرح العالمي» ليقدم متعة القراءة الفنية، والتعريف النقدي للقارئ المثقف العام، وإلى فنافى المسرح في نفس الوقت، وهذا ينطلق من وعى باتجاهات التأثير الجماهيري في العصر الحديث، كما ينطلق من إحساس ملتزم بجدية أن يكون لنا مسرح عربي لهادر على أن يجدد نفسه، ويكتشف جالياته، ويشكل جماهيره، من خلال المعرفة بتلك اللغة العالمية المميزة، لغة الفن المسرحي.

لقد عرفت الكويت فن المسرح في صورته البسيطة جدا، في المدارس

أواسط الثلاثينيات، ثم تكونت النوادي (الصورة المحتملة للنقابات أو الجمعيات فيما بعد) فكان بها بعض الفرق في العقد الخامس (الأربعينيات) ومثلت نصوص عربية وعالمية مترجمة محدودة، حتى أشار زكي طليمات في تقريره (عام 1958) إلى أنه ليس للمسرحية المترجمة عن الأدب الغربي أثر في النشاط أتفنى للكويت[7]. مع هذا فإن زكى طليمات الذي اعتبر مسئولا عن أهم فرقة مسرحية في الكويت، اختار عناصرها بنفسه (فرقة المسرح العربي) لخمس سنوات تقريبا، ثم أنشأ مركز الدراسات المسرحية عام 1965 وظل يرأسه عشر سنوات لم يقدم نصوصا عالمية. ولسنا نرجع هذا إلى قصور في فكر أو قدرات طليمات، وإنما يعنى أن مقدرة الممثل الكويتي كانت-حتى ذلك الحين-دون الاستطاعة في هذا المجال. وخلاصة ما نريد في هذه النقطة، أنه حين وضعت خطة الترجمة من المسرحيات العالمية إلى اللغة العربية، لم تكن بحال استجابة لحاجة مباشرة، يتطلبها وضع الحركة المسرحية في الكويت، تلك الحركة آلتي وصفناها بأنها مستقرة، فهي تجاوزت مرحلة الحوار عن حلال المسرح وإحرامه كما في بلدان أخرى، ولكنها لا تستطيع-بطبيعة جمهورها المحدود-أن «تغامر» بأن تقدم للجمهور العام نصوصا عالمية، كتبت لمشاهد من نوع يختلف كثيرا في أمور كثيرة[8]. مشروع «من المسرح العالمي» إذا قد وضع واستمر ليلبى حاجة استراتيجية-بعيدة المدى.-يتطلبها التقدم العربي، وفن المسرح العربي في الزمن آلاتي، ولهذا ينبغي أن يستمر المشروع، دون توقف، وقد كان.

وكما ذكرنا من تبل فإن نقل المسرحيات العالمية بدأ منذ القرن الماضي ونشط في أواسط هذا القرن، ولكنه ظل محكوما بالأكفاء التاريخية اللامعة، ولهذا ترجم سوفوكل، و شكسبير، وموليير، وكورفي، وراسين، وجوته، وشو، في مراحل متقدمة وفى أكثر من قطر عربي، في حين تأخرت ترجمات ابسن وبيراندللو مثلا، ولم يلتفت إلى تشيكوف وبرخت إلا تحت إلحاح دعوات فكرية معينة، وهنا يختلف المشروع الكويتي المترامي المساحات، إذ يتحرر من كل الاجتهادات السابقة، التي نعتقد أنها لم تكن عن قصور في التصور، أو عن عجز في المعرفة، وإنما كانت منتخبات السابقين تضطر إلى إقرار مبدأ الانتقاء والأولويات لأنها تعرف أنها مجرد «موجه» أو «مرحلة» ولن تتمكن من الاستمرار، كما كانت مقيدة بأذواق وقدرات الكوادر المحلية

المتوفرة في كل قطر على حدة، فإذ يتجه المترجمون التونسيون إلى المسرح الفرنسي (غالبا)[9] يتجه المترجمون العراقيون إلى المسرح الإنجليزي (دائما)[10] ويلتقي الرافدان عند المترجمين في مصر، على أن الجامعة العربية حين تطلعت إدارتها الثقافية إلى المساهمة في هذا المجال-بتوجيه من طه حسين-فإنها بدأت من شكسبير، و لم تتجاوزه كثيرا.

أما المشروع الكويتي فقد تحرر من كافة الاجتهادات السابقة كما قدمنا، و لم يبدأ بالأكثر شهرة وعظمة (شكسبير) ولا بالأسبق أو المؤصل للفن (سوفوكليس) وإنما بدأ باكتشاف الأراضي المجهولة، بالمسرح المعاصر الذي لم نكن نعرف عنه شيئا، هذا الذي يعانق عالمنا، ويؤثر فيه، ويفترض أننا نقطع نفس الطور، ونتطلع إلى نفس الهدف، ومع هذا لا نملك فكرة صحيحة أو غير صحيحة عنه، وهذا-بدوره-نقص في معرفتنا العامة ليس في فن المسرح وحسب، بل في معرفتنا بالعصر الذي نعيش، والعالم الذي نتعامل معه: «سمك عسير الهضم» للكاتب الجواتيمالى مانويل جاليتش هو المسرحية الأولى في المشروع الكويتي، وقد ترجمها محمود على مكي[11]، كما قدم لها بدراسة مستفيضة تبدأ بالتعريف بأدب أمريكا اللاتينية، ومسرحها، وتنتهي بالمسرح في جواتيمالا، وفن مانويل جاليتش عامة، ضم في هذه المسرحية. أما آخر مسرحية توافرت لنا قبل انقطاع الطريق إلى الكويت فهي مسرحية «حرية المدينة» وهى الأدب الأيرلندي الثوري، ألفها براين فرايل، وقد عرضت على مسرح الابي في دبلن في 20 فبراير 1973،و نشرت في نفس العام، وقد ترجمت إلى العربية ونشرت في السلسلة التي نعرض لها في مايو 1990، ترجمها خالد حسب ربه، وراجعها طه محمود طه، أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة عين شمس، رئيس قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الكويت، أحد المشرفين على السلسلة في مرحلة من تاريخها الممتد، وهو يملك خبرة متميزة بالأدب الأيرلندي، وقد تصدى باقتدار لترجمة أعمال جيمس جويس الصعبة، التي لم تقدم في صورتها الكاملة بالعربية قبل إقدامه على ترجمتها.

سنعتبر هذه الإشارة إلى البداية من الكاتب الجواتيمالى، وآخر ما وصلنا من السلسلة للكاتب الأيرلندي (غير المشهور بل غير المعروف إذا ما قيس إلى أيرلندي آخر «مثل برناردشو») إشارة رامزة لبعض خصائص المشروع الكويتي الإيجابية. من المحتمل أنه كان يصل إلى الكشف عن

الكتاب غير المشهورين بعد أن يستنفد خبرته وكثيرا من طاقته في ترجمة الأعمال المشهورة-على الأقل إن لم يكن من باب السهولة، فيكون من باب الترويج للسلسلة والدعاية لها-ولكنه يبدأ بكاتب «مجهول» وبمسرحية غير جذابة العنوان، وسيخوض المشروع بحر المسرح الحديث، والأكفاء غير الشائعة لدى المثقف العربي، بل لدى كثير من العاملين في حقل المسرح في بلادنا، ليصل إلى موليير-لأول مرة-في المسرحية رقم 16 إلى شكسبير في المسرحية رقم 8 (وإلى سوفوكل في المسرحية رقم 26، قبل أن نصل إلى تلك المحطات المألوفة لأقل الاختصاص، نكون قد عبرنا مع المشروع بمحطات غاية في الأهمية، لم تكن معروفة على الأقل بالقدر الذي عرفت به الآن، بعد ظهورها في السلسلة الكويتية، مثل: جان أنوي، ونيقوس كازندزاكى، وبيتر فايس، وأوجست ستريندبرج وغيرهم.

إننا يمكن أن نجمل أهم خصائص المشروع المسرحي الكويتي لترجمة المسرحيات العالمية في خسة أمور:

1- أنه مفتوح لكافة الاجتهادات الفكرية والفنية، فلم يتجنب غير المسرحيات الهابطة فنا وفكرا، وهكذا تحرك ما بين كلاسيكيات المسرح العالمي وحتى المسرح التجريبي، والعبثي، والوثائقي، ومسرح الخيال العلمي بل وتطرق إلى مسرح العرائس والأراجوز.

2- أنه بدأ بالكشف عن المناطق الظليلة، والمسرحيات المجهولة للمثقف والمسرحي العربي، فظهرت في السلسلة مسرحيات صينية ويابانية فضلا عن مسارح أمريكا اللاتينية، كما حظي المسرح الأفريقي ببعض الاهتمام. في هذا المشروع استكملت-لأول مرة باللغة العربية-خريطة العالم المسرحية، وظهر أن المسرح فن عالمي، وأبو الفنون بمعنى آخر غير الذي يتبادر إلى أذهاننا عادة قبل أن نكتشف هذا الامتداد الخطير للظاهرة المسرحية.

3- إن الدراسات التي قدم بها المترجمون أو المراجعون لهذه المسرحيات كثيرا ما أشارت إلى ما قام به كبار المخرجين العالميين تجاه هذه المسرحية أو تلك، مما وقع اختيارهم عليه، وهذا التصرف قد يكون في أسلوب العرض (كأن تعر ض المأساة بروح الكوميديا أو العكس) وقد يكون بطاقات في الحركة، أو اختصار في النص (كما حدث مع مسرحية دائرة الطباشير التي حذف بعضهم مقدمتها، وحذف آخرون فصلا في سياقها) الخ، وهذا

الجهد الإضافي إلى النص يخرج به من نطاق القراءة الأدبية إلى العرض الفني، ويقدم خبرة نادرة إلى المخرج العربي، والممثل كذلك.

4- إن المسرحيات التي دخلت في إطار المشروع الكويتي لم تتأثر في اختيارها بأي قيد غير قيود الفن المسرحي، لقد تضمنت مسرحيات ثنية طقوسية، ومسرحيات سياسية، تحررية، واشتراكية، ومسرحيات دينية، ليس من بينها مسرحية رجعية، أو ضد الحرية، أو تبرر الدكتاتورية، أو تغرى بالإلزامية وإيثار السلامة، أو تجمل الطبقية، أو تحض على الصمت عن الفساد تحت دوافع الوحدة الوطنية.. إن الحرية، والعدالة، والكرامة الإنسانية، والتطلع إلى عالم من السلام والكفاية والجمال، والتعلق بالجماعة واستعذاب التضحية في سبيلها هي المحاور الفكرية التي دارت حولها تلك المسرحيات.

5- و لم تكن مسرحيات المشروع الكويتي نغمة شاردة، أو غير منسجمة مع رسالة الكويت الثقافية، بل على العكس تماما، أنها تجد المساندة والمزيد من التعميق في الإصدارات الكويتية الأخرى، فتجد في سلسلة عالم المعرفة عددا من الدراسات المهمة عن المسرح، وعن الخرج[12]. وفى عالم الفكر خصصت كثر من عدد من المسرح أيضا، كما أن مجلة العربي كثيرا ما تعرضت لفن المسرح في شكل نصوص، وكتاب، وعروض، ومكان للعرض. وقد جمع بعض هذا في واحد من سلسلة كتاب العربي[13]، وهذه المساندة لا تقف عند وحدة. الموضوع، فالأهم هو الموقف أو الرسالة التي تتساند حولها كل إشعاعات المفكرين.

إن تقديم مائتين وخمسين مسرحية، إلى القارئ العربي، والفنان المسرحي العربي، مترجمة عن لغات العابر التي كتب بها المسرح، مدروسة ومشروحة بما يؤصل وضعها الحضاري والأدبي، ويكتشف عن أسرار فنها المسرحي، إن تقديم هدا الكم، وهذا التنوع، بهذه الكيفية، لهم مشروع من أكبر مشروعات التنمية الثقافية، المؤثرة بقوة في التقدم الفكري أتفنى للأمة العربية. وقد دل نجاح خطة هذا المشروع، الذي يقاس بأولياته (مصادر المسرحيات ومستوى الترجمة وقيمة التحليل الذي يتصدرها) كما يقاس بتقبل المثقفين له (كمية المطبوع الذي في بيعه، وعدد العروض التي استمدت من هذه النصوص، على مساحة الوطن العربي من أقصاه إلى أدناه) اتحد

دل نجاح الخطة على أن إدارة المشروع الضخم لم تراع في خططه، وتشغيل عناصره غير وجه الحقيقة العلمية، والعروبة النقية، فكانت المسرحيات المنتقاة حيث توجد العافية الفكرية سار الفني، في أي مكان وبأي لغة من العالم القديم أو الحديث، وكان المترجمون من كل بقاع الوطن العربي، حيث يوجد الراغبون القادرون على أداء المطلوب، وكانت استعدادات التسويق تحمل النسخة إلى أكشاك الصحف في مدينة فاس، أو الخرطوم، في نفس الوقت، وربما أحيانا قبل أن تطرح في مكتبات الكويت، وكان ثمن الفسحة يتساوى وثمن الصحيفة اليومية في تلك المدن العربية، ليصل إلى كل راغب، وليس إلى كل قادر..

3- الثقافة العالمية

وهى مجلة دورية، تصدر كل شهرين، منذ نوفمبر 1981 من المجلس الوطني للثقافة، وهى تختلف عن الدوريات الأخرى التي يصدرها المجلس وهذا واضح في التعريف المطبوع تخت عنوانها، فهي «مجلة تترجم الجديد في الثقافة والعلوم المعاصرة» وبهذا لم تكن تكرارا لمطبوع سبقها، بل توجها القارئ جديد، أو لاستكمال احتياجات قارئ مستمر، فهي أولا تعتمد على لمقالات والبحوث والندوات المترجمة فقط، وهى-ثانيا-تقدم مادة حديثة، سريعة، تقدم ما ينشغل به العالم الآن، حتى لو كان موضوعا قديما لكنه يقدم بتقييم حديث، أو من خلال رؤية جديدة أو مختلفة[14]، وتتوخى التنويع في اهتماماتها، والإيجاز، ثالثا وأخيرا. فكأن مجلة الثقافة العالمية، وهى تنقل عن المجلات العالمية من كل أطراف العالم إنما هدفت أن تحقق للمثقف العربي الذي يجد صعوبة في الاتصال بهذه المجلات لأسباب مادية، أو لغوية أو لصعوبة الحصول عليها لبعد الشقة، تحقق له هدفين: فتح نوافذ الثقافات الأخرى، ووضعها في متناول المثقف العربي العادي، بصورة ميسرة من حيث اللغة، وسعر المجلة (فهي تباع في السودان مثلا بربع جنيه سوداني، وفى مصر بربع جنيه مصري، وفى الأردن بربع دينار أردني، وفى العراق بمائتي فلس عراقي... وهكذا) والهدف الثاني هو القصد إلى أحدث ما كتب في الموضوع، إذ أن في مقدمة الأهداف أن تضع المثقف العربي في موقعه من ثقافة العالم «اليوم»، بحيث يواكب التطور العالي، ويماشى خطوه

المتسارع مما يعينه على تجاوز موقع التابع، أو المتلقي الذي تسبقه الأحداث، والأفكار، ويعرف بالأشياء بعد أن تصبح «تاريخا».

لقد اتخذت المجلة لنفسها شعارا وضعته على غلافها الداخلي، يقول: «وقديما ترجموا» ومن فوقها قطعة من إحدى مقالات جالينوس، مما ترجم العرب في عصر تسنحهم قمة الحضارة في العالم، وكأن المجلة-في هذا الشعار-تذكرنا بأن الترجمة لا تعارض الأصالة، وأن بداية النهضة أن تتعرف على علوم الآخرين وأن تعيش عصرك، لتتمكن من التعامل معه، وقيادته إن كانت قواك المذكورة تطيق ذلك.

لقد تحقق في «الثقافة العالمية» شرط الصحة، والجمال، والمنفعة المؤكدة، فالمقالات جميعا توثق بذكر اسم المترجم: المصدر، والعنوان الأصلي بلغته، كما تعتمد المجلة على ترجمات من تثق بمستواهم أينما كان موقعهم في الوطن العربي أو خارجه، ولا بد أن تحصل إدارة المجلة على النص الأصلي للمقالة، لتراجع الترجمة بهيئة تحريرها، والأجهزة المساعدة، ويمكن أن نلمس هذا في أي عدد من أعدادها، كما أنها جميلة التبويب والإخراج، تخفف من «جدية المقالات» بالصور والرسوم التي تكون مقرونة بالأصل، أو أضافها المترجم للتوضيح، وهى لا تقبل المقالات التي مضى زمانها، أو التي نقلت عن دوريات ليس على مستوى الثقة والجدية، كما ترفض التكرار ومضغ المعلومات ولو تحت شعار أنها تطرح موضوع الساعة (مثل البروسترويكا مثلا، فقد نشرت عنها ثلاث مقالات، رأت فيها الكفاية، وتمثيل مختلف وجهات النظر إليها وتفسيراتها ومصيرها) وهذا إقرار لمبدأ ضرورة مواكبة خطى التطور المتسارعة نحو الألف الثالثة من التاريخ الميلادي للعالم.

ومع تنوع مادة كل عدد من المجلة، ما بين العلوم، والفنون، والسياسة، والاقتصاد، والآداب، وعلم النفس... الخ، فإنها تحرص على معادلة هدا التنوع بأمرين:

أ- ملف العدد، وهو عن موضوع عام، تجتمع تحته عدة مقالات أو بحوث قصيرة[15].

ب- تقديم ثلاثة أبواب ثابتة، وهى: التقرير العلمي، وتقارير المراسلين، والكتب الجديدة.

وفضلا عن هذا فإن المجلة تقدم أخبار الوطن العربي الثقافية، من زاوية اهتمام العالم بها وتفاعله معها[16]، كما تعرف بما ترجم من دراسات وإبداعات من لغات العالم إلى اللغة العربية.

وخلاصة القول أن مجلة «الثقافة العالمية» لم تخفف من درجة الجدية، والعصرية، والعلمية، بل من حجمها، لتكتسب بإيجازها قارئا يبحث عن المعرفة المركزة، الواضحة، وفضلا عن (كانت بمثابة الخبز الثقافي اليومي، القارئ مثقف، يريد أن يعرف-أول فأول-ماذا يفكر العالم الآن، وكيف يفكر ؟ ولسنا بحاجة إلى تحليل موضوعي، يشمل محتوى ثلاثة وخمسين عددا (كل منها في 210 صفحات من القطع المتوسط) لنرى كيف تحقق التناغم ووحدة التوجه، في رسالة الكويت التفافية، وكيف حققت الأصالة، واحترام العلم، والتنوير بالماضي والمستقبل، وتقوية أواصر الارتباط بالحياة الحية النامية، في كل مقالة اختيرت من بين آلاف المقالات يبدعها العالم كل يوم.

4- الندوات والمؤتمرات

إن إقامة ندوة، أو عقد مؤتمر، يمكن أن يكون-علميا واجتماعيا-أهم بكثير من صدور كتاب، بل عدد من الكتب، تتناول، الموضوع ذاته، بنفس المستوى من العمق، أو ربما اكثر، وفضل «المؤتمر» أنه يعبر عن روح الجماعة، ويتيح الفرصة لتبادل الخبرات، وهو نوع من التعليم الحي المباشر الذي تنتقل به المعرفة من جيل إلى أحر بطريقة محببة من الطرفين، يتحقق فيها شرط التعارف عن كثب، واستنباط ما لا توصله من الكلمات من إشارات الروح وشارات السلوك العملي. وليس هذا-بالضرورة-ثمرة مرتقبة لآي ندوة، ولكنه في متناول الخبرة حين يحسن الإعداد.

والكويت من الأقطار التي عرفت الندوات في فترة مبكرة، وكانت اكبر «مستورد» لها، بل كانت الندوات التي تعقد ويدعى للتحدث فيها أهل الاختصاص في فنون شتى، من كافة أقطار الوطن العربي، يطلق عليها «الموسم الثقافي» وتعتبر الرافد الأول لثقافة أهل الكويت قبل انتشار الكتاب والصحيفة، ولهذه المواسم الثقافية من الذكريات في نفوس جيل الاستقلال ما يحظى حتى الآن بالإعجاب والحنين إذ كان الناس يقبلون عليها، ويرددون ما سمعوا فيها، ويتذكرون جدلهم مع المحاضر، أو حول عاصرته، وكيف

تحققت تحولات وبدأت تطورات بتلك الندوات[17].

في مرحلة «استيراد »الكويت للندوات، عرف جمهورها في موسمه الأول (1955) قدري طوقان، وعمر فروخ، وعبد العزيز الدوري، وسعيد عبده، وإسماعيل القباني، وأحمد زكى، ومتى عقراوى، وغيرهم. وفى الموسم الثاني (1956) حاضر في الكويت عبد الرحمن البزاز، وأمجد الطرابلسي، ومحمد الصياد، وإسحاق موسى الحسيني، وسليمان حزين، ونقولا زيادة، وحسين فوزي وقسطنطين زريق. وفى الموسم الثالث (1957) عرفت قاعة الندوات في «الشويخ»: حكمت هاشم، وفؤاد صروف، وجميل سعيد، ومنيف الرزاز، وأحمد هاشم، وأمين الخولي، وبنت الشاطئ، وفي الموسم الرابع (1958) أضيف: ميخائيل نعيمة، وعبد العزيز القوصي، وأمية السعيد، وزكى طليمات، وجميل صليبا وغيرهم. وهكذا استمر دفق المعرفة ينثال، وحيوية الحوار تدكو، وتيار الخبرات يشتد، وتنوع الثقافات والأفكار يتفاعل. و لم تكن موضوعات هذه المحاضرات عن الكويت، وإنما كانت تخاطب الكويت، وتقرب الأفكار ما بين داخلها وخارجها، وتمد جسور الوحدة الثقافية العربية، كما كانت تجتذب الوعي الكويتي إلى التلاحم مع الوطن العربي، فقد يتحدث أحمد زكى من «أحياء في عالم الخفاء» أو فؤاد صروف عن «مكان الإنسان في الكون» أو حسين فوزي عن «الملاحة العربية في العصور الوسطى» مما يمكن اعتباره ثقافة خالصة. بل قد نجد موضوعات «إقليمية» لا تهم المتلقي في الكويت مثل محاضرة جابر عمر عن «الأعمار ومشروعاته في العراق» أو لا تعبر عن حاجة مباشرة (في تلك المرحلة على الأقل فضلا عن أنها ليست من موضوعات المحاضرات العامة) مثل محاضرة صبحي الدجاني عن «تعليم الشواذ» (ويعنى المعاقين) غير أن النسبة الغالبة من هذه المحاضرات، ولعلها صلب ما أقيمت المواسم الثقافية من أجله، فيسيطر عليها الهدف الحضاري، القومي، وهذا ما نلمسه في مثل هذه العناوين: التربية: أهداف التعليم في البلاد العربية، اتجاهات التربية في عالم اليوم، أثر تربيتنا في حياتنا العامة.

أهداف التربية وأهداف المجتمع... الخ

القومية: روح الشعوب، القومية في العصور المختلفة، الاتجاه القومي في التربية العربية، تربية الشعور القومي، وسائل التربية القومية... الخ

السياسة: العرب والسياسة العالمية، دروس من التاريخ... الخ

وموضوعات مختلفة التقى فيها معارف شتى، ولا يسهل استنباط مراميها بقراءة عناوينها.

لقد كانت الكويت تستقدم هؤلاء الأعلام، وتتجمع حولهم، وتحاورهم، وتطبع محاضراتهم، كانت المستفيد الأول ولكنها لم تكن المستفيد الوحيد، فهؤلاء الأعلام أنفسهم قد أقاموا علاقة، واكتسبوا مزيدا من المعرفة بوطنهم-العربي وبجمهورهم ومعلوماتهم التي دخلت دائرة الجدل. وبهذه المعالي وهذا الامتداد تدخل هذه الندوات دائرة التنمية الثقافية العربية. انهج-لدورهم-يعودون إلى أقطارهم ليتحدثوا إلى جمهورهم هناك، وليكتبوا، وليعدلوا من بعض آرائهم.

ثم تطورت مصادر الثقافة في الكويت، وتنوعت، وتعددت مستوياتها بدرجة ترهق محاولة تتبعها، وأصبحت «المواسم الثقافية» فقرة أساسية لبرامج العمل العلمي، والأدبي، والسياسي، والنقابي، لقد حافظت وزارة التربية -(وارثة دائرة المعارف التي أمام المواسم الأولى) على موسمها وان اكتفت في أغلب الأحيان بمحاضرين من داخل الكويت، كما أصبح للجامعة موسمها، ولنادى أعضاء هيئة التدريس في الجامعة موسمه الخاص، ولرابطة الأدباء، ورابطة الاجتماعيين، وجمعية الصحفيين، ورابطة الخريجين، وجماعة الإصلاح الاجتماعي.. مواكبهم الخاصة، المعبرة عن توجهاتهم، و لم يعد المحاضر الفرد، أو الندوة المحددة بأمسية مطلبا ملحا، لقد دخلت الكويت دائرة إقامة المؤتمرات، ونشطت في هذا المجال نشاطا ملحوظا، بدرجة استدعت التعليق[18]. وفى هذه المرحلة الممتدة يمكن أن توصفي الكويت بأنها مصدر (بتشديد الراء) للمؤتمرات، رغم أنها هي الدولة التي تتكفل باستضافة المؤتمر، وأنها كانت-بهذا الصنيع-تساهم بطريقة فعالة في بناء ثقافة عربية واحدة، وتنسيق الأنشطة العلمية العربية بحيث تتقارب مداخلها وتأخذ شكل «المنظومة» التي تميز العمل الصادر عن حضارة واحدة الجذور، موحدة الفروع.

ما الذي يجعل ندوة أو مؤتمرا يكتب هذا الحق في الوصف ؟ إن الأمر يرجع إلى تحقيق ثلاثة شروط:

ا- العنوان الذي يعقد تحته المؤتمر، فهذا العنوان بمثابة إعلان عن

الهدف المراد تحقيقه.

2- المشاركون بالبحوث، والتعليق، والحوار، فمستواهم وسوابق جهودهم العلمية هي التي تحدد درجة الجدية ومساحة الرؤية لديهم فيما يتعلق بموضوع المؤتمر.

3- إدارة المؤتمر، بدءا من سلامة الانتقاء، وتنظيم العمل، ومنع الانحراف به عن غايته، والحفاظ على استقلاله وحريته في طرح مقولاته، ثم توسيع دائرة تفاعله بتوصيل ثمراته إلى من يهمهم أمره في مواقعهم البعيدة، أولئك الذين لم تتم فرصة المشاركة المباشرة فيه.

بهذه العناصر الثلاثة، فيما نرى، يمكننا الحكم على جدوى، أو عدم جدوى المؤتمرات والندوات. وحين نراجع ما عقد في الكويت من مؤتمرات عربية، وعالمية، دعت إليها الكويت بمبادرة ذاتية، سنجد هذه الشروط متحققة، بكثير من الإخلاص مما يعطيها الحق في أن تعتبر إحدى الوسائل الوسيطة لنقل الثقافة والفكر بين أقطار العرب.

أولا: على مستوى الأهداف التي تستشف من عناوين المؤتمرات، لن تجد إلحاحا «مريضا»على «الكويت» الموضوعات، أو جعلها تبدأ من الكويت، أو حتى الخليج هناك مؤتمرات مخصصة لمشكلات الكويت، أو الخليج بالطبع ولكنها لم تكن النغمة الغالبة، و لم تكتسب أهمية استثنائية، عند الدولة أو عند المنظمين للمؤتمر، بل يمكن أن نقول-من واقع المشاهدة، وما تدل عليه المتابعة-أن المؤتمرات التي توجهت إلى الأمة العربية، وتناولت القضايا المشتركة-كانت تمثل بؤرة الاهتمام، وتحظى بالرعاية الخاصة.

وفى هامش سابق (رقم 18) أشرنا إلى عناوين المؤتمرات التي عقدت في الكويت إبان شهرين فقط، وإذا اعتبرنا صدق ما يدل عليه تحليل العينة العشوائية، ففيها أربع موضوعات ذات أهداف عربية: الطلب الإسلامي وحقوق الإنسان في الإسلام، والطاقة الشمسية، والإبداع الفكري الذاتي. وموضوع. أحد يخص الخليج: مصادر المياه في الخليج والجزيرة، وموضوع واحد يخص الكويت: ملتقى صقر الرشود المسرحي..

إننا لا نشك في صحة هذه النسبة واستقرارها، فيما لو توافر لدينا الآن ثبت بكل ما عقد على أرض الكويت من ندوات ومؤتمرات، وهذه الستة المشار إليها ليست جميعها تحت مظلة الدولة، فملتقى صقر الرشود-مثلا-

أقامته فرقة مسرح الخليج العربي، التي كان الرشود أحد مؤسسيها ورائد تجربتها المسرحية الناضجة. وهناك وجه آخر يخرج بمثل هذه الندوات من مستوى الإقليمية إلى المستوى القومي العام، وهو ينكشف إذا ما جاوزنا العنوان إلى العصر الثاني، وهو المشاركين. والموضوعات التي أسهموا بها، وفى الملتقى المشار إليه، وقد صدر عنه عدد خاص من أعداد مجلة «البيان»[19] استضاف الملتقى وفودا وشخصيات من تونس والمغرب والأردن والعراق وسورية ومصر فلسطين، وقدمت فيه بحوث من القضية الاجتماعية في مسرح نعمان عاشور، ومجتمع توفيق الحكيم، ومسرحيات ابسن الاجتماعية، والمجتمع الأيرلندي في مسرح أوكيسي. وتحدث سعد أردش عن تجربته في إخراج المسرحيات الاجتماعية. ومثل هذا يقال عن ندوة مجلة «العربي» في احتفالها بيوبيلها الفضي، فقد جاء المشاركون من كل أطراف الوطن العربي لا ليتعلموا من هذه المحلة، وإنما ليعرضوا تجاربهم مع مجلات بلادهم (مثلا. كان بحث محمد مواعدة (من تونس) من دور المجلات في النهضة الأدبية والفكرية بتونس، وكذلك حاضر القادمون من الجزائر من صحافة الجزائر)... الخ.

ونعود إلى العناوين المحددة، أو الكاشفة عن الأهداف، فنجد أن المعنى العربي العام هو السائد-كما تقدم-حتى حين يكون العنوان كويتيا صرفا، أو خليجيا أو تحت مظلة مجلس التعاون. ونذكر هنا المهرجان المسرحي. الأول لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، وقد عقد في الكويت (26 مارس-2 أبريل 1988) فنلاحظ أولا أنه عقد تحت عنوان ثابت هولا: «الجمهور والمسرح»، ونذكر من بين مفرداته: طبيعة المتفرج العربي، هل يوجد ناقد مسرحي مؤثر؟ أسئلة النقد وإشكالية الجمهوري، النقد المسرحي في الصحف، الكتاب وأثره على الجمهور المسرحي، مدخل إلى دراسة الجمهور في المسرح المصري، وسائل الاتصال وأثرها على الجمهور المسرحي.. هكذا تنعقد الندوة في الكويت، تحت مظلة مجلس التعاون الخليجي، ولكنها في محاور اهتمامها، وبالمشاركين فيها، عربية أصلا، وفرعا وثمارا.. ومثل هذا يقال عن «ندوة الإبداع الفكري الذاتي»[20] وندوة التراث العربي والمسرح[21] ومؤتمر عن قضايا تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي[22]، وأزمة التطور الحضاري في الوطن العربي[23] وهكذا.

ثانيا: المشاركون، وهم العنصر المؤثر وأي مؤتمر، الذي يضمن له الفاعلية أو يدفع به نحو المظهرية، وهو مكمل أو صانع للهدف تحديدا، وكم من كلام معاد أو قليل الجدوى أو شديد الضرر، وضع تحت عناوين براقة، وأقيمت من أجله ولتروج له الزينات (على هيئة مؤتمرات سخية الأنفاق) أن الكويت تعرف كيف تختار، دون أن تفرض أبناءها أو تقحمهم في أي موضوع، ودون أن تتجاهل قدراتهم حين تتميز وتستطيع، ودون أن تشعر بحرج حتى يكون لهؤلاء الأبناء الإعداد، والتنظيم، والإدارة، والتوصيل، لأنها ترمى إلى تقديم خدمة قومية، تتجاوز حدود الاستطاعة «الشخصية» إلى آفاق الاستطاعة بأنواعها، وفاء لذمة الانتماء العربي: وهدف الوحدة الثقافية.

هل نقول إن أشد ما يعانى وطننا العربي من بلاء هو أنه يوسد أموره إلى غير أهلها، ويخلط بين الأهداف النبيلة المعلنة، والوسائل المدخلة المحبطة ؟ في مؤتمرات الكويت وندواتها منجد المشاركة العربية، والعالمية، تأتى بأجود العناصر، وأصدقها، دون أن يطغى إحساس بالضعف أمام أوهام (تمثيل) كافة البلاد العربية مع الحرص على هذا التمثيل ما أمكن، ودون تخوف من اتهام بالانحياز إلى الشرع أو الغرب، إلى الرأسمالية، أو أعداء الرأسمالية، لأن. الفكر في الكويت، والثقافة في الكويت، كالتجارة الراشدة الصحيحة في الكويت، لا تبحث كل الربح بأي ثمن، بل الربح بوسائله الصحيحة، العلمية، الحريصة على الجودة، والاستمرار، وتحقيق الأهداف البعيدة.

في ندوة «أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي» (أبريل 1974) المشاركون جميعا أساتذة في قمة الاختصاص بالموضوع عرب من كل مكان:

من جامعات الولايات المتحدة: إبراهيم أبو لغد، بهاء أبو لبن، مجيد خدورى، نديم البيطار، هشام شرابي.

ومن بيروت: أدونيس (على أحمد سعيد) حسن صعب، سهيل إدريس قسطنطين زريق، نيقولا زيادة، يوسف الصايغ.

ومن سوريه: طيب تبزيني، عبد الله عبد الدايم، محي الدين صبحي ومن بعداد. عبد الجبار عطيوي، على الوردي، فيصل السامر.

ومن الجزائر والمغرب وتونس: عبد الكريم غلاب، عثمان شبوب، عمار بوحوش محمد الطالبي.

ومن القاهرة: زكى نجيب عمود، فؤاد زكريا، محمد النويهي، أحمد بهاء الدين، و هكذا...

أما حين يكون الموضوع «قضايا تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي» (ديسمبر1975) فقد تحددت المواعيد المشاركين بحيث تفي بحق الموضوع نظريا، وتؤتى ثمرة عملية تعود على الوطن العربي كله بالخير، كلمات المقدمة التي كتبها أمين المجلس الوطني للثقافة: أحمد العدواني-تكشف عن دوافع الاختيار وأهدافه المرتقبة، تقول.

«كان من الطبيعي والبلاد العربية تخطط للوصول إلى مستقبل أفضل، أن تولى اهتماما متزايدا لتنمية مواردها المادية و البشرية، وأن يشمل هذا الاهتمام إعداد (ص ادر العلمية والفنية العربية، ومن الاستفادة منها، ومحاولة استعادة ما تسرب منها إلى البلاد الأجنبية، وبوحي من هذا الإدراك اتخذ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب توصية بإقامة مؤتمر في الكويت للجامعيين العرب العاملين في أميركا، وخصص أميركا بالذات لأن نسبة من الكنايات العلمية العربية التي تسربت إلى خارج الوطن العربي استقرت في الولايات المتحدة وكندا، وكانت الغاية من إقامة هذا المؤتمر توثيق صلة هؤلاء العلماء بوطنهم العربي، لعل ذاك يكون عاملا في دفعهم كلهم أو جلهم للعودة والمشاركة في بناء هذا الوطن وتقدمه، هذا إلى جانب أهمية الموضوعات التي سيبحثها المؤتمر»[24].

بهذه الدوافع كونت لجنة تحضيرية، ولجنة تنظيمية، مشاركة بين اتحاد خريجي الجامعات الأمريكيين العرب، والمجلس الوطني للثقافة، ثم دعي مائة وعشرون من أعضاء هذا الاتحاد، وأعضاء مجلس أدارته، وأسماؤهم مسجلة في صدر الكتاب الذي يتضمن بحوث المؤتمر ووصف وقائعه، كما دعي سبعة وأربعون شخصية عربية ما بين رئيس جامعة، ووزير للتعليم. ومثل هذا العدد شاركت به الكويت، ما بين أساتذة الجامعة، والمشتغلين بالثقافة والفكر، ومن لهم علاقة عمل (كالخارجية والتخطيط والمالية) بأمور العرب في الخارج.

إننا في هذا السياق لا نملك أد نتوقف عند البحوث والمناقشات والأفكار التي طرحت في إطار هذا المؤتمر، وهى مطبوعة على أية حال. ولكننا على ثقة في أنها حين تقرأ بعناية، ورغبة في العمل، لابد أن تغير، وهى قد

غيرت في الكويت بصفة خاصة، تصورات وعلاقات ما بين المجرب في بلادهم والعرب المهاجرين إلى خارجها.

3- الإدارة والإبلاغ بالنتائج وهذا هو الثالث الذي يحدد قيمة الندوة أو المؤتمر، والإدارة الناجحة هي التي تجعل النجاح ممكنا الأداء في المراحل الأولى: اختيار الموضوع، وتحديد المشاركين، ثم تجعله حقيقة بالتنظيم وإتاحة المناخ العلمي الحر، ثم يكون حقيقة بازغة مهرة، بتعميم النتائج وتحويلها من أوراق ترتبط بلحظة تاريخية، إلى وثائق متاحة، حية، تأخذ مكانها في العقل العربي، وتتحول إلى خلايا فاعلة في تفكيره.

سنأخذ مثالا واحدا على توافر هذا الجانب وحين رعايته، وما يؤدى إليه هذا من تنوير عام، وتنمية للوعي، والفكر، وهو ما عقد تحت عنوان: «المؤتمر العالي الأول عن الطب الإسلامي». لقد تم هذا في يناير 1981، (ربيع الأول عام 1401 هـ) بمناسبة إشراقة القرن الخامس عشر الهجري. ولأنه مؤتمر عن الطب الإسلامي فإن الدعوات وجهت إلى المشاركين (هيئات وأفراد) باسم وزارة الصحة الكويتية، ولكن لأن الأمر في الاتصال، والتنظيم، والأهداف (الحضارية) يتجاوز حدود استطاعة وزارة الصحة، فقد شاركها المجلس الوطني الثقافة، في وضع المؤتمر تحت رعاية أمير دولة الكويت (الشيخ جابر الأحمد الصباح).

تحت شعار «(الطب الإسلامي» اجتمع ثمانون عالما، من الوطن العربي ممثلا لكل أقطاره تقريبا، يضاف إليهم كل من له سابقة اهتمام بهذا الموضوع مسلما كان أو غير مسلم، في الولايات المتحدة، وفرنسا، وبريطانيا وكندا، وأسبانيا، و الهند، و باكستان، و ماليزيا، وإندونيسيا، وموريشيوس، وتركيا، وحتى الدكتور عمر في كاسول المكتب الإسلامي للترجمة بأوغندا، والدكتور غلام محمد حسين مقرر الجمعية الطبية الإسلامية بجنوب أفريقيا، والحكيم س. ك. نظم الدين بمركز أبحاث الطب اليوناني بمدراس بجنوب الهند، وجدوا من يتذكرهم ويبحث عن ويتابع حضورهم، ويتلقى خبراتهم وينشرها علينا.

لقد طبعت بحوث هذا المؤتمر في كتاب خاص، يوزع مجانا (في 526 صفحة من القطع الكبير) ولكن هذا ليس أهم إبلاغ بنتائج المؤتمر، إن استدعاء هذا العدد الضخم، وعقد مجالس علمية مشتركة، هو في ذاته

أزمة التطور الحضاري
في الوطن العربي

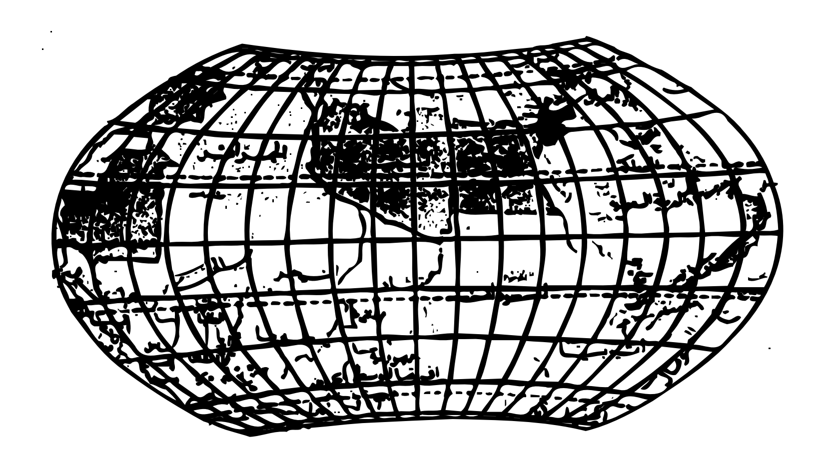
وقائع ندوة الكويت ما بين ٧ - ١٢ نيسان
١٠ ابريل ١٩٧٤

اعداد واشراف
الدكتور شاكر مصطفى

جمعية الخريجين   جامعة الكويت

وثيقة (9)

قضايا تنمية الموارد البشرية
في
الـــوطن العـــربي



الكويت
من ٢٨ الى ٣١ ديسمبر ١٩٧٥

وثيقة (١٥)

إعلام من نوع فريد لا يسهل الوصول إليه، لأن هؤلاء العلماء الثقاة هم رؤساء الأصدقاء الجدد، والمعرفة الجديدة.

وفى نفس فترة انعقاد المؤتمر يصدر كتاب (هو مشاركة من نوع آخر) من نفس الموضوع «الطب الإسلامي» ما الفريد أولمان وترجمة الدكتور يوسف الكيلاني، وقد نشرته وزارة الصحة في الكويت، وزعته بمناسبة المؤتمر، مع أنه تسديد آخر على الهدف، بل إننا حين نوسع دائرة الرصد قليلا سنجد أن السلاسل الأخرى-في الكويت-تتقارب في الرؤية، يدس بعضها بعضا، فنجد في عالم المعرفة ما يقارب هذا الاهتمام بالعلوم عند العربي» فإننا نجد «الظاهرة الإبداعية»، عنوانا لواحد من أعداد الضخمة، الثرية بالبحوث النادرة وللندوات وحديثها، وللمؤتمرات وما يترتب عليها... بقية. فقد ابتدعت الكويت صيغة أخرى للتواصل الثقافي العربي، من خلال ما أطلقت عليه «الأسابيع الثقافية» فقد كانت جامعة الكويت، ترسل في كل عام فريقا من أساتذتها وطلابها إلى أحد الأقطار، ليزوروا جامعات ذلك القطر، ويقيموا مع طلابها، ويقدموا المحاضرات، ومعارض المطبوعات والفنون التشكيلية، ويستملوا مثل ذلك من أساتذة وطلب تلك الجامعات، حدث هذا في جامعات السودان عام 1980 جامعة الخرطوم، وجامعة أم درمان الإسلامية، والمعهد العالي للفنون المسرحية بالخرطوم، وجامعة الجزيرة (واد مدني) وحدث مثله في الجامعة والمعاهد التونسية في العالم التالي (1981) ما بين تونس، والمانستير، والقيروان.. وحدث بعد هذا في عمان، وفى غيرها.. من قبل ومن بعد.

و لم يتخلف المجلس الوطني للثقافة من إقامة «الأسابيع الثقافية» التي يرسل فيها شعراء الكويت إلى العواصم، ويقيم معارض مطبوعاته السخية (التي تهدى عادة ولا تعاد إلى الكويت). كما كانت الفرق المسرحية الكويتية (وهى معانة من الدولة، وتعان استثناء حين تقوم بمثل هذا العمل) تقدم عروضها في العواصم والمدن العربية، وهذه صفحة من نشاط فرقة مسرحية واحدة هي فرقة «مسرح الخليج العربي» التي بدأت رحلة التواصل الفني العربي مبكرة.

فقد عرضت مسرحية «الحاجز» في بغداد، ثم القاهرة (1966)

وعرضت «نعجة في المحكمة، وبخور أم هاشم» في البحرين (1970)

وعرضت مسرحية «الدرجة الرابعة»في دمشق والقاهرة (1971)
وعرضت «، 1 , 2،م3، بم» في البحرين والإمارات ودمشق (1972)
وعرضت «شياطين ليلة الجمعة» في مهرجان المغرب المسرحي (1974)
وعرضت «مسرحية الواوى» في قطر، و الإمارات، والبحرين (1976)
وعرضت «حفلة على الخازوق» في مهرجان دمشق المسرحي (1977)
ثم في القاهرة في العام التالي.

وعرضت «عريس لبنت السلطان» ضمن الأسبوع الثقافي الكويتي في كل من الجزائر وليبيا (أبريل 1978) كما قدمت المسرحية نفسها في الأسبوع الثقافي ببغداد (1979).

وهكذا....

ولم تكن فرقة المسرح العربي بأقل من هذا نشاطا، وقد بلغ من إجادة فنها أن حصلت على جائزة الإبداع العربي، حين قدمت مسرحية «رحلة حنظلة» في مهرجان بغداد المسرحي (اكتوبر1985).

نستطيع أن نعيد قراءة خطوط التوصيل في رسالة الكويت الثقافية، لنكتشف للوهلة الأولى أنها كانت موجهة إلى الجميع.. من الطفل إلى قمة المعرفة، من الاعتماد على السماع إلى مشاهدة المسرح، والدخول في علاقة جدلية مع أعمق الأفكار.

العربي-العدد 314- يناير 1985

دأب المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب منذ عام 1977 على إقامة أسابيع ثقافية في مختلف أنحاء الوطن العربي بدأها في تونس-الجزائر-وليبيا-والمغرب ثم العراق وشطري اليمن، وفي سبتمبر الماضي أقيم الأسبوع الثقافي الكويتي في الأردن.

ع استهدفت الكويت من خلال أسابيعها الثقافية توثيق العلاقات بينها وبين الأشقاء، وإبراز الوجه الثقافي للكويت الحديثة في جوانب شتى من العلوم والفنون والآداب، لأيمانها العميق بأن الاطلاع على ثمرات العقول، والوقوف على ما أبدعت هو الجانب المتحضر الذي يميز الإنسان عن غيره من الكائنات.

المعروف أن أنشطة الأسابيع الثقافية تشمل على عروض مسرحية وأمسيات شعرية ومحاضرات وندوات ثقافية، بالإضافة إلى إقامة معارض فنية تبرز جوانب مختلفة من فن الرسم والنحت، وعروض للأزياء التقليدية، ثم عروض أخرى غنائية وموسيقية. ومعارض للكتب والدوريات والمنشورات التي تصدرها مؤسسات مختلفة.

جدوى الأسابيع الثقافية:

يقول الدكتور هاشم ياغي الأستاذ بالجامعة الأردنية ردا على سؤال لنا عن جدوى هذه الأسابيع الثقافية التي تقيمها مجموعة من المثقفين العرب في بعض أقطار وطننا العربي..:«كأني أحس بأمرين يشغلان بالك: أولهما، هذا الانصراف النفسي لدى الكثرة من أبناء امتنا عن مواسمها الثقافية، بل عن جميع مؤتمراتها المتعددة، وثانيهما، هذا الذي استقر في وجدانك ووجدان كثرة من أبناء هذه الأمة أيضا من صور تاريخية لمواسم في الثقافة كانت تسطع في تاريخ هذه الأمة، وكان لها ثمراتها الرائعة، بل أن هذه المواسم كانت من أخصب الينابيع التي استقى منها عرب الجاهلية السابقة للإسلام خاصة في التمهيد لتجمع القوم في البيان واللغة والفكر والثقافة، مما أفاد منه حين وجهه لمنفعة هذه الأمة، ولعل هذا الذي استقر من منافع في المواسم أن يكون قريبا مما أوحى به القرآن الكريم إذ يقول: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا»... والتعارف الذي يذهب إليه القرآن الكريم فيما أشعر هو لقاء ذوي الخبرة الواسعة في الحياة، وذوي البصر فيها والمعرفة بغيرهم من الناس ويستطرد الدكتور ياغي قائلا: وإذا كان العرب اليوم قليلي التواصل الحقيقي بين أقطارهم رغم مؤتمراتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الكثيرة، فان مواسمهم الثقافية ببعد مضمونها في الغالب عن عناصر التفرقة، تساهم في تقريب هذه الأقطار بعضها من بعض.

وثيقة (11)

الدورة الثانية للمجلس الوطني

(10، 11- 1974)

الموافقة على اقامة معرض الكويت للفنانن التشكيليين العرب في تاريخ 25/3/75 ويشترك فيه فنانون الدول العربية بالإضافة إلى ممثلين عن الامانة العامة لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب.

2- الاشتراك في المؤتمر الذي عقده اتحاد خريجي الجامعات الأمريكية العرب في أمريكا ما بين الفترة 25- 27 أكتوبر 1974- وقد مثل الكويت في المؤتمر الدكتور / حسن الابراهيم عميد كلية التجارة بجامعة الكويت.

3- الموافقة على التبرع بمبلغ ثلاثة وثلاثين ألف ليرة لبنانية لتغطية نفقات المحلة التي تصدرها مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

4- الموافقة من حيث المبدأ على أهمية ترجمة الموسوعة البريطانية كما أوصى بالاتصال بالجمهورية العربية السورية لمعرفة حقيقة نيتها عن القيام بترجمة تلك الموسوعة وكذلك الاتصال بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم حول إمكانية تنفيذ المشروع.

5- كتابة تاريخ الإسلام-

قرر المجلس الوطني تكليف الامانة العامة ببحث موضوع كتابة تاريخ الإسلام مع جامعة الكويت ومن ثم تقديم مذكرة حول كيفية تنفيذ ذلك المشروع سواء، من قبل الجامعة أو من قبل المجلس الوطني ومن الممكن أن يكون لذلك التاريخ مرشد حضاري يعد إنجازه.

6- إصدار سلسلة ثقافية-

وافق المجلس من حيث المبدأ على إصدار سلسلة ثقافية تتناول شتى فروع المعرفة ويحررها متخصصون في الفروع التي يعالجونها كما أوصى بدراسة الموضوع دراسة شاملة والاهتمام بوضع الاقتراحات المناسبة لمعالجة مشكلة النشر والتوزيع، وذلك بالتعاون بين وزارة الأعلام وجامعة الكويت والأمانة العامة للمجلس الوطني.

7- معرض الكويت الرابع للفنانين التشكيليين العرب-

وافق المجلس على تبنى إقامة المعرض في الكويت وأوصى الأمانة العامة بتقدير التكلفة والكتابة إلى مجلس الوزراء.

8- إقامة معرض الكتاب العربي في الكويت-

وافق المجلس على فكرة إقامة معرض الكتاب العربي في الكويت على أن تشكل لجنة لدراسة الموضوع من جهة التكليف والتنظيم ومكان العرض.

9- حلقة منطقة الخليج لثقافة الطفل-

أوصى المجلس الوطني بإحالة موضوع إقامة تلك الحلقة إلى لجنة ثقافة الطفل لدراسته وتقدير التكلفة.

10- التبادل الثقافي-

أوصى المجلس الوطني بزيادة التبادل الثقافي مع الدول والهيئات الاجنبية مع الاستفادة من فرص استقدام بعض الفرق الاجنبية وكذلك المعارض.

وثيقة (12)

الهوامش والمراجع

(1) مجلة البيان مجلة شهرية تصدرها رابطة الأدباء وهي الظهير المساند والمكمل لمطبوعات الكويت ذات التوجه القومي العام ومحتوى أي عدد يؤكد هذا التوجه في الموضوع والكتاب أيضا. هذا فضلا عن-الأعداد الخاصة، نذكر-مثلا-العدد الخاص عن مهرجان (ديسمبر 1975): عددها الخاص عن الأدب في القطر الجزائري (يناير 1979).....الخ.

(2) في ورقه قدمها للحلقة الدراسية عن مجلات الأطفال عقدتها الهيئة العامة للكتاب في القاهرة (24-26 نوفمبر 1990) تحت عنوان «العربي الصغير، ملامح تجربه» وأبو المعاطي أبو النجا هو المشرف على هذه المجلة منذ تأسيسها.

(3) مجلة سعد تصدرها دار الرأي العام. ومن الجدير بالذكر أن صدور «العربي الصغير» وما حققته من نجاح أغرى وزارة الأوقاف أن تتبع مجلتها الإسلامية الشهيرة «الوعي الإسلامي» مجلة خاصة بالأطفال، أطلقت عليها اسم «البراعم»

(4) من دراسة ألقاها في الاحتفال باليوبيل الفضي لمجلة العربي (ديسمبر1983) وكانت بعنوان: «الدور الثقافي الذي قامت به مجلة العربي خلال ربع قرن، مع تقويم للمجلة تبويبا وتحريرا وإخراجا» وقد ظهر العدد الأول من كتاب العربي إبان هذا الاحتفال وقد أفدنا من هذه الدراسة في فصل سابق.

(5) تقديم العدد الأول من كتاب العربي، وعنوانه«الحرية» يناير 1984.

(6) كتاب العربي كتاب فصلى يصدر كل ثلاثة أشهر، وفى ختام كل عدد إشارة إلى عناوين الأعداد السابقة كلها.

(7) محمد حسن عبد الله: الحركة المسرحية في الكويت (الطبعة الثانية) ص-60.

(8) قدمت مسارح الكويت بعض المسرحيات العالمية بعد إخضاعها للتكويت، كما قدم طلاب المعهد العالي للفنون المسرحية (تأسيس عام 1976) في مشروعات التخرج بعض تلك المسرحيات، في صياغتها الكاملة، أو من خلال مختارات يعاد تركيبها، وتبقى المقولة الأساسية صحيحه، وهي أن هذا المشروع العملاق (ترجمة 205 مسرحية ودراستها حتى الآن لم يكن مطلبا كويتيا، وإنما كان خدمة ثقافية لكل قراء العربية، ولفن المسرح العربي بصفة خاصة. عن العروض التجريبية للمعهد العالي راجع ص 74، 75 من المرجع السابق.

(9) ومثلهم أهم ما ترجم في لبنان عن مسرح الفرنسي الكلاسيكي: أنظر مترجمات يوسف محمد رضا، وخليل شرف الدين، كما اتجه تراجمة دمشق إلى المسرح الروسي (غالبا) أنظر مترجمات: ميخائيل، عيد،وضيف الله مراد وسعيد الله ونوس.

(10) أنظر ما ترجمه عبد الواحد لؤلؤة، وجبرا إبراهيم جبرا، وغيرهما.

(11) الأستاذ الدكتور محمود على مكي أستاذ الأندلسيات بجامعة القاهرة، ورئيس قسم اللغة الأسبانية بكلية الآداب، والحاصل على جائرة الملك فيصل عام 1988.

(12) مثل دراسة على الراعي عن «المسرح في الوطن العربي» ودراسة إبراهيم عبد الله غلوم عن «المسرح والتغيير الاجتماعي» ودراسة سعد أردش عن «المخرج».

(13) الكتاب الثامن عشر بعنوان: «المسرح العربي بين النقل والتأصيل» لمجموعة من الكتاب (يناير 1988).

(14) مثلا: أضواء على شخصية هتلر، أو ندوة عن نظرية دارون، وهما من محتويات لعدد (12) سبتمبر 1983.

(15) مثلما نجد في العدد السابع، فملف العدد عن «اللغة» وبنية المعتقدات في الأحاديث الطبية، المغزى العسكري للكفاءة اللغوية. وقد اخترنا هذا الملف اللغوي لنرى كيف يكون التناول جديدا تماما لموضوعات قديمة أو مألوفة،وهناك ملفات أخرى عن «تاريخ العلم» و«المرأة في الضوء الاقتصادي» و «الأرض بين الماضي والحاضر والمستقبل» «وهو آخر ملف إذ نجده في العدد رقم 53، الصادر في يوليو 1990.

(16) كالإشارة إلى صدور طبعة فرنسية جديدة للقرآن الكريم (العدد 7نوفمبر 1982) ولهذا ومثله فوائد جمة، حيث ينبه إلى أهمية المتابعة، ممن يهمهم مراقبة تصرف الآخرين في معاني القرآن الكريم كما يعرف بمصادر معرفية جديدة، كما نجد في هذا الخبر (من نفس العدد) عن صدور كتاب «المسلمون في بلاد السوقيات» بقلم فانسان مونتوى المستعرب المعروف الذي أسلم أخيرا واتخذ لقب المنصور بالله الشافعي. ويمكن أن نعود إلى صياغة الخبر (ص 208) لنرى كثافة المعلومات، وتوجيهها الرائع للقارئ، في طريق تعزيز وعيه السياسي الإسلامي الحضاري. ومثل هذا نجده في كل أعداد المجلة.

(17) نلاحظ-مثلا-أن زيارة أحمد زكى للكويت، ومحاضرته فيها، في إطار الموسم الثقافي الأول (1955) سبقت عودته للتخطيط لمجلة العربي ورياسته لتحريرها، وفى الموسم الثقافي الرابع (1958) زار زكى طليمات لأول مرة، وحاضر مرتين عن المسرح، وقدم عرضا على مسرح ثانوية الشويخ واحتدم الجدل حول أهميه المسرح وصواب أو خطأ أن يقوم الرجال لأدوار النساء، وكان هذا كله إيذانا بتكوين الفرق المسرحية المتعددة بعد ذلك بعامين فقط. راجع ما كتبناه عن طليمات في «الحركة المسرحية في الكويت» الفصل الثالث ص 45 وما بعدها.

(18) في مجلة آفاق (39 / 3 / 1981) التي تصدرها إدارة الجامعة، كتبت تحت عنوان «عصير الندوات» أن الكويت تعيش عصر المؤتمرات (دون خلط بين العصر والعصير) وفى المقالة جاء ما نصه: «تعي الذاكرة في الشهرين الماضيين-على سبيل المثال-ندوة الطب الإسلامي، وحقوق الإنسان في الإسلام، وملتقى صقر الرشود المسرحي، والطاقة الشمسية، ومصادر المياه في الخليج والجزيرة، وأخيرا: الإبداع الفكري الذاتي» ويطالب المقال بتكوين «أمانة» خاصة بالتنسيق بين المؤتمرات، وإيجاد صيغة تكامل بين اهتماماتها، ونشر أبحاثها، ومتابعة نتائجها.

(19) العدد 180-مارس 1981 وكان من حضور الملتقى ومحاضريه: سعد الله ونوس، وعبد الكريم برشيد، والمنصف السويسى، والطيب الصديقى، وعلى الراعي وغيرهم.

(20) أقامتها جامعة الكويت والمجلس الوطني للثقافة، ومعهد الكويت للأبحاث العلمية وجامعة الأمم المتحدة (8- 12 مارس1981) .

(21) أقامها المجلس الوطني للثقافة بالكويت (11- 14 فبراير 1984).

(22) أقامه المجلس الوطني للثقافة بالتنسيق مع الجامعيين العرب العاملين بأمريكا وعقد في الكويت (28-31 ديسمبر 1975)

(23) مشاركة بين جامعة الكويت، وجمعية الخريجين، عقدت بالكويت (7- 12 أبريل-1974).

(24) من مقدمة مجلد طبعه المجلس الوطني مشتملا بحوث المؤتمر، ونتائجه.

القسم الثالث
تناغم الأداء

5 رسالة الشعر.. القومية

هذا الفصل ليس عن الشعر الكويتي، للتعريف به أو تحليل اتجاهاته، وليس عن شعراء الكويت بقصد الترجمة تمم أو التدليل على مواهبهم. إن دواوين شعراء الكويت منشورة، وقد أخضعت لدراسات أكاديمية وغير أكاديمية، تتناولها في تطورها التاريخي أتفنى، أو تختار موضوعا من موضوعاتها، أو شاعرا بعينه تؤثره. بالعناية[1]. بعبارة محددة إننا نعنى بهذا الشعر في الحدود التي يتطلبها هذا الموضوع-وهو ليس شعريا-فإذا كان الإنسان هو الذي يكتشف دوره ويصنعه، وليس العكس، فإنه من المهم أن تكون لنا وقفة مع الإسكان، المواطن، الأديب، المثقف في الكويت، نتعرف على نتاجه أتفنى (الشعري) لنرى هل يعكس هذا الشعر ما وجدناه في رسالته الثقافية من التزام قومي، ووعى إنساني، وخبرة عملية، تعطيه الحق في الانتساب إلى تلك الرسالة، وإعلان حرصه عليها، وأنها صدرت عنه طواعية وعن قصد وتدبير. لقد حقق الشعر الكويتي الحديث منزلة جديرة بالتقدير حين تأخذ مكانها في ديوان الشعر العربي بشكل عام، نذكر هنا أشعار أحمد العدواني، ومحمد الفايز، وخليفة الوقيان، وعبد الله العتبى، ونجمة

إدريس وغيرهم. ومع هذا فإن المساحة المتاحة لنا لا تتسع للعناية بالجوانب الفنية الخالصة (قد نفعل شيئا من ذلك مع إحدى القصائد كمثال ومن في سنعنى بأفكار هذا الشعر، بتوجهاته الروحية، وما أثار من قضايا القومية، وما فيه عن نزعة إنسانية بصفة خاصة.

ليس من مناقضة الحقيقة أن نقول إن (الشعر الكويتي (القومي) كان عاملا مؤثرا من عوامل التنمية الثقافية العربية.

ويتحقق هذا حين يلقون مخلصا للأهداف القومية معبرا عن روح الجماعة في أفراحها وآلامها، قادرا على اكتشاف آفاق جديدة للفكر: العمل، ناقدا ومتخيرا في إطار الماضي، بما يرشد مسيرة أمته ويمكن أن نحدد بعض المجالات التي اتخذت سمة الظاهرات، في ثلاث هي الأكثر وضوحا: الغناء للمدن العربية، مما يدل عليه هذا الغناء من رحابة العاطفة القومية.

وافرح بالتوحد الشعوري، وتمجيد العروبة أينما كانت، فضلا عن ارتباط بعض هذه الأغنيات بمناسبات كانت الكويت فيها بادئة بإعلان التحية، ورغبة العمل المشترك، وسنلاحظ أن بغداد تحظى-من بين المدن العربية-باهتمام مضاعف بشكل عام، وبإقبال واضح من بعض آخر، لظروف خاصة ليس من الصعب تعليلها.

أما المجال الثاني فهو الاهتمام بقضية فلسطين، والشعر الكويتي يسجل لنفسه علامتي إضاءة؟ فقد وقف إلى جانب عروبة فلسطين، وغضب، واستعدى، وحفز، ورسم الآمال، منذ فترة مبكرة جدا، قد يدهش من لا يعرف أنها ترجع إلى عام 1937 أما الإضاءة الثانية فهي أنه ظل يصطحب هذه القضية معه أينما ذهب، ولم تكن فورة مرحلة، أو ارتباط مناسبة.

المجال الثالث (الأخير) هو البعد الإنساني في هذا الشعر، وتتجلى إنسانيته في اتساع أفق الشاعر بما يتجاوز النظرة الإقليمية الضيقة. ولا يدخل في صدام مع حسه القومي الراسخ. وهذه الإنسانية تتجسد أيضا في مستوى الصياغة الرفيعة، التي تجعل من هذا الشعر نموذجا للجمال، والصدق والعمق معا، حيث يمكن الاستجابة له، وتذوقه، في أي مرحلة، بل في أي لغة..

وسنعود إلى هذه السمات بشيء من البسط، وذكر النماذج.

الغناء للمدن العربية

إن انعكاسات الشعور القومي في الشعر العربي-بصفة عامة-واضحة تماما، وهى سابقة على شعارات السياسيين العرب، كما أنها تتجاوز مواقفهم المتقلبة[2] وهدا الشعور يستفز-أقوى ما يكون-أيام المحن والأزمات، ويستجيب لمناسبات الفرح وذكريات الانتصار بدرجة أقل، ولكنه نادرا ما ينبثق تلقائيا كشعور حر، متحرر من مناسبة، نابع من تأمل ذاتي، وفرح خاص[3]. في هذا المجال ينفرد الشعراء في الكويت بظاهرة الغناء للمدن العربة، الفرح بالإقبال عليها، الكشف عن جمالها، تاريخها، معناها. فإذا وضعنا هذه الظاهرة في إطار ما نعرفه من شدة اعتزاز شعب الكويت بعاصمته، وحبه الشديد (المتطرف) لوطنه، قاربنا ما يدل عليه هذا الفرح الخاص، وهذا التغني بأمجاد المدن العربية، من رحابة العاطفة القومية، والقادرة على الحب، والاستعداد للألفة، والدعوة إلى التقارب، بل الاندماج والتوحد. لن نغفل الإشارة إلى أن قدرا من قصائد الغناء للمدن العربية كان ليدعه الشاعر الكويتي لفعل إرادي (غير تلقائي) حين يقع عليه الاختيار للمساهمة في أنشطة الأسابيع الثقافية، التي جعلتها بعض المؤسسات الثقافية تقليدا ثابتا، وقناة من قنوات التواصل الثقافي، فقد كان للجامعة أسابيعها الثقافية، وكان للمجلس الوطني للثقافة أسابيعه كذلك، وكانت لرابطة أدباء الكويت مساهمات في هذا المضمار، وكانت سياسة الدولية وأجهزتها تعمل على تيسير ذلك، بتوفير المال ومعاونة التمثيل السياسي والقنصلي في تلك المدن.

مع هذا تظل لظاهرة الغناء للمدن العربية خصوصيتها في الشعر الكويتي، و تضل موسومة بصدق التعبير عن الشعور القومي، لأن الشاعر الكويتي لم يكن مجبرا وظيفيا، ولا أدبيا على المشاركة في هذه الأسابيع، ومن ثم فإن إقباله عليها كان تعبيرا عن شعور حر، وكانت «القصيدة» سببا للمساهمة وليست نتيجة.وأيضا سنحد أن هذه القصائد تتجاوز بكثير خريطة الأسابيع الثقافية، وهذا يؤكد ما نراه من صدق التعبير عن الشعور. وللشاعر على السبتي قصيدة بديعة بعنوان «للنيل والقاهرة»[4] وهو يكتشف الندرة في المألوف، حتى يعطى العبارة التي يرددها المذياع هنا القاهرة «إيقاعا وسياقا يمنحها هذا المذاق الخاص الدال على الابتهاج، والاعتزاز

الذى لا يتحفظ في إبدائه.

أحلم بالليل وبالقاهرة
أحلم بالشوارع المنورة
بالنيل يحمل الزوارق المنتثرة
أحن للسواعد السمراء
لفتية بي منهم سيماء

ويختتم الشاعر السبتي قصيدته:

الساعة العاشرة
وهذه مذيعة في القاهرة
تقول يا غريب الدار
الكل في انتظار
هنا يلاقى الحر أقرانه
يذيب أحزانه
هنا يعيش كل واحد كما يريد
فلا جليد، لا صديد، لا حديد
هنا...
متى أضم القاهرة؟!

إن هذه القدرة على الحب، على الفرح بالمدن الأخرى، على اكتشاف أطيب وأجمل ما لدى الآخرين، خاصة واضحة من خواص الشعر الكويتي وهذا الإحساس ليس منبعثا من عصبية ضيقة نحو قطر معين. من بين الأقطار العربية، يمكن إرجاعه إلى علاقة خاصة عرقية، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو أيديولوجية سياسية. إن هذا قد يحدث بالطبع، ولكنه لا يفسر اتساع مساحة الظاهرة ودرجة الاهتمام، وتنوع الاتجاهات، وكثرة الغناء لمدن شتى عند الشاعر الواحد (وسنقدم أمثلة تدل على ذلك) مما يعنى-في النهاية-أن الغناء السعيد بهذه المدن العربية إنما ينبع هن إيمان عربي عميق، بوحدة الشعب العربي، ووحدة الأرض العربية، ووحدة التاريخ العربي، ولو كان يستفد إلى سبب آخر لما اتخذ شكل الظاهرة، ولو كان وليد المناسبات الطارئة، التي يساق الشاعر للقول فيها مجاملة أو تورطا، لا اتخذت هذه القصائد مواقع متباعدة، وكأنها« فرض كفاية» ولكن الصحيح عكس ذلك.

ولو أن الشاعر الكويتي يبحث عن «موضوع» يعلى من خلاله طاقة الحب والانتماء، فلديه الكويت، مدينته ووطنه، وهو شديد الحب، بل العجب بالكويت مدينة ووطنا، ولو أنه فعل هذا ما كان هناك موضع للتساؤل، ولما لفت انحيازه لوطنه الصغير اهتمام أحد (إلا ما يستثيره الفن الجميل). فجميع الشعراء يفضلون أوطانهم، ويتغنون بأمجاد بلادهم الحقيقية أو المكنونة. ولقد فعل شعراء الكويت هذا شأن غيرهم، ولكنهم تجاوزوه بما يجعل من قصائدهم في هذا المجال مثلا فريدا. وبالنسبة لعلى السبتي صاحب «للنيل والقاهرة» جد قصيدة أخرى عن البصرة، يوجهها إلى صديق-وهذا تقليد تراثي عريق-ويضمنها شعورين متباعدين وإن انبثقا من عاطفة واحدة: الفرح للقاء البصرة (بعد انقطاع بسبب أحداث ما أعقب استقلال الكويت المعلن عام 1961) والألم لمظاهر الشقاء والفقر في هذه المدينة العريقة، وهى قطعة من وطن واسع الثراء بنفطه، وأرضه الخصبة:

صديقي كنت البصرة
لثمت ترابها المغسول بالألم
شربت الماء فيها قطرة.. قطرة
فسال كما تسيل النار في حلقي،: وخض دمى،
نشيج مشرد يشدو أبو ذيه
(زرعنا وما استفادينا) ويلطم خده حسره[5]**!!**

سنجد نوعا من الشغف الخاص «بمدينة معينة، لأسباب لا يصعب التكهن بها، لدى بعش الشعراء، كما سنجد، قاسما مشتركا من الاهتمام لدى الجميع تقريبا. وليس هذا وذاك هو الذي لفت انتباهنا إلى الظاهرة، فقد شكلها ومنحها مذاقها الخاص كثرة المدن وطريقة الإحساس بها. من هذا الشغف الخاص قصائد أحمد السقاف عن بغداد (وقد زادت هذه القصائد له ولغيره من شعراء الكويت إبان الحرب العراقية الإيرانية، وفيها وقف المثقفون الكويتيون مع العراق بغير تردد)

واهتمام صقر الشبيب، وعبد الله سنان بفلسطين (كقضية وليس كمدينة أو مدن) وغناء محمد الفايز لبيروت، وغناء فاضل خلف لتونس.

أما المدن العربية الأخرى فمما نجده بين أيدينا الآن: بغداد، ودمشق، و بيروت، و عاليه، و تونس، وبنزرت، و أغادير، و الجزائر، والقيروان، و بور

سعيد، والقاهرة، والإسكندرية، وعدن، وصنعاء، و حجة، و نزوي والبصرة، وعمان والبحرين، وغيرها. وبهذا يكون الشعر الكويتي رسم خريطة المدن العربية بطريقة لا تجدها-على الأقل فيما نعرف، وبهذا الحجم-في شعر عربي آخر.

هذا فاضل خلف، يشغل وظيفة المستشار الثقافي بسفارة الكويت في تونس العاصمة، فيقيم علاقة فريدة مع المكان، ومع الإنسان، ولا نقول إنه يتجاوز حدود وظيفته الدبلوماسية وأنه ممثل لبلاده في خدمة محددة، وإنما نقول إنه باندماجه في جو الثقافة في تونس إنما كان يؤدى وظيفته «العربية» على الوجه «الواجب» من يختزل عربي بأرض عربية غير إقليمه، فلا يعتبر نفسه ممثلا للكويت في تونس، وإنما يعتبر نفسه نقطة لوحد بين الكويت وتونس في المجال الثقافي. لقد أثمرت وظيفة المستشار الثقافي ديوان شعر، حمل اسما تونسيا. «على ضفاف مجردة»[6] وفى هذا الديوان نجد سبع قصائد عن تونس-مع اختلاف الأسباب أو المداخل 1- نهر مجردة، 2- على ضفاف مجردة، 3- بنزرت، 4- خفقات قلب، 5- القيروان، 6- تونس، 7- الورقات التونسية.

إن هذه القصائد-مع تعدد المنطلقات حسب اللحظة الشعورية أو الدافع الذي انبثقت منه شرارة القصيدة-تغنى لمجد تونس وجمالها، وعروبة أهلها وطيب شمائلهم، فتتجلى القدرة على الحب،وتقدير «الآخرين»في أنقى الصور.

في قصيدة «نهر مجردة» لا يعنينا الآن المطلع التقليدي، فله أشباه في القديم والحديث من الشعر العربي، ولكن تعنينا «الدلالة النفسية» لما بين الشاعر «الكويتي» والنهر «التونسي»، إن شاعريته تفجرت استلهاما لهذا النهر!!

لقد عشت ردحا في حماك مغردا
شهدتك فيها ثائرا متمردا
شهدتك فيها رائقا متهاديا
فما كنت صخابا وما كنت مزبدا
وقد كنت في حاليك يا نهر خيرا
بمسراك تبدى رأفة وتوددا

وقـد كـنــت لــي فــي عــالــم الــشـعــر مــوحـيــا
فــصــفــت مــع الــشــاديــن شــعــرا مــخــلــدا
ومــا كــنــت قــبــل المــلــتــقــى مــتــرنمــا
فــأصــبــحــت فــي مــغــنــاك طــيــرا مــغــردا
تجـــدد آمـــالـــي وتحـــيـــى عـــزيمـــتـــي
وتجـــعـــل مـــســـراي الـــطـــويـــل ممـــهـــدا
وتمـــنـــحـــنـــي روح الـــســـكـــيـــنـــة والـــرض
وقــد كــنــت مــن قــبــل الــلــقــاء مــســهــدا

إن الأبيات الثلاثة الأخيرة-من هذا القطعة المعزولة عن سياقها-لم يقلها شاعر إلا في شواخص وطنه، ورموز مسقط رأسه..

إن الحنين إليها، يفجر الشعر على اللسان، يجدد الأمل، يحمى العزيمة، يمنح الروح سكينة ورضا ! فهذه الرابطة الحميمة غير مألوفة في درجة الشغف والعشق إلا في حدود الوطن، غير أن شاعرا كويتيا استطاع أن يتغنى بمجردة، ورأى فيه وطنا يلهم ويمنح السكينة والرضا[7]!! أما فهي «بنت العروبة»[8] والقيروان منار العز والشرف»[9] وإذا كانت تونس-عامة-بلاد المجد، وكانت القيروان-خاصة-مدينة العلم الذي أشع على الوطن العربي-فإنها-أيضا بلاد إلى القاسم الشابى الذي لابد أن يذكر كل شاعر عربي دينه عنده-وقد صنع فاضل خلف قصيدة «حفقات قلب»[10] من وزن وقافية قصيدة «الجنة الضائعة»-وهى من أحلى قصائد الشابى[11]-ليضمنها أربعة أبيات من مطلعها، وليذكر من ينسى أن العروبة كلها رددت لحن الشابى عند المسير، وهذه إيماءة لطيفة إلى بيتي الشابى اللذين أصبحا شعارا للتحدى ورمزا لعشق الحرية:

إذا الـــشـــعـــب يـــومـــا أراد الحـــيـــاة
فـــلابـــد أن يـــســـتـــجـــيـــب الـــقـــدر
ولابـــد لـــلـــيـــل أن يـــنـــجـــلـــي
ولابـــد لـــلـــقـــيـــد أن يـــنـــكـــســـر

أما «بيروت» فقد بها شاعران: خليفة الوقيان، ومحمد الفايز. وقد تضمن الديوان الأول[12] للشاعر الوقيان قصيدتين، هما انعكاس لعلاقة المصيف، إحداهما بعنوان «عاليه» والأخرى عن «بيروت» قصدا، وقد صدر

هذا الديوان عام 1974 فليست له علاقة بالحرب الأهلية التي نشبت بعد هذا التاريخ، ومع هذا فإننا حين نمعن النظر في ختام قصيدته «عاليه»، وهو يودع تلك الضاحية الجميلة وقد قضى بها الصيف، ولم يعد بد من مغادرتها والعودة إلى الكويت، سنجد «حفاوة» نادرة، كما قد نلمح «نبوءة» حزينة:

إيه «عاليه» أيا وجها من الخلد جميلا
صبحك الفتان قد بات بعيني أصيلا
لم يعد كاسك يروى بين جنبي غليلا
كلما أيقنت أني مزمع عنك الرحيلا
كيف لي أن أهجر الروض أشتاق الطلولا(13)

لقد اضطرب الزمان فأخذ الصباح مشهد الغروب، وفقدت الأشياء طبائعها، فلم تعد الكأس تروى، فهل كان هذا بسبب من إزماع الرحيل ؟ ورحيل من ؟ الشاعر يرحل عن عاليه، عن الروض «عاليه» إلى «الأطلال»-وهى هنا وطنه الذي سيغادر عائدا إليه؟! أم أنه رحيل عاليه نفسها، التي ستغادر «حالة» الروض إلى حالة الأطلال، التي ستكون عليها بفعل الحرب؟!

أما بعد الحرب الأهلية، فإن بيروت، وعاليه، وغيرهما-أصبحا في شعر الوقيان-جزءا من القضية القومية التي شغلته عما عداها في ديوانيه التاليين: «تحولات الأزمنة» و «الخروج من الدائرة»(14).

أما محمد الفايز-وهو هنا مجرد مثل، كما أن بيروت مجرد رمز لمنحى اهتمام الشاعر الكويتي بالقضايا القومية-فإن بيروت عنده ليست مدينة «مناسبة» أو «حادثة مؤسفة طارئة نستأنف حياتنا العادية بعد إلقاء كلمات عنها»! نحن نعرف أن الشعر العربي كله اعتصره ما يجرى في لبنان، وفاض بالقصائد عن محنة بيروت، ولكننا نعرف أيضا أن المساهمات الشعرية «هبت» عند اشتعال هذه الكارثة الأليمة، أو عند بلوغها ذروة الخسف والمحن في صبرا وشاتيلا (عام 1982) وقد كتب شعراء الكويت بهذه الطريقة، وفى هاتين المناسبتين أيضا، فلم يختلفوا، ولم يتخلفوا-ولكنهم-ومحمد الفايز في مقدمتهم-يتذكرون لبنان، ويغنون لبيروت، دون أن تستجد مناسبة، الحرب المستمرة هي في ذاتها مناسبة مستمرة!! يفتتح عقد الفايز ديوانه «بقايا الألواح» بغناء حزين ترصد مداه في عنوان القصيدة: «وتمزق الإكليل يا

لبنان»[15] وهو يصفي هذا البلد المكلوم وصفا جميلا، يؤمل جماله، وكبرياءه، وغرائز شعبه الخلاقة:

ألا لــهــفــي عــلــى الجــبــل المــعــنــى
فــقــد أمــســى حــزيــن الــكــبــريــاء

والشاعر يرى أن لبنان ليس ضحية نفسه، وإنما-ضحية اخوته العرب:

فــإخــوة يــوســف جــاءوا أبــاهــم
وهــم يــبــكــون يــوســف فــي الــعــشــاء
مــازال الــقــمــيــص بــه دمــاء
وآخــر مــزقــوه مــن الــوراء

وللفايز في ديوانه هذا ثلاث قصائد أخرى من لبنان: «المروج العائمة في الدم و «لبنان والأشباح» و «آه عليك يا لبنان»[16] وهكذا نجد في ديوان واحد أربع قصائد عن لبنان، وليس العدد في ذاته مهما، وإن كانت له دلالته على توجه الفكر، وعمق الصلة-وإنما نشير أصلا إلى «زاوية الرؤية» فهي قصائد إنسانية، تتألم لمصرع الجمال، وتأس لإفساد الطبيعة، وتلويث الحياة الراقية المنتجة التي يعيشها أهل لبنان، وعرفوا بها، فلم تطرح القضية من زاوية عنصرية، أو فكرية حزبية، أو دعما لموقف سياسي تؤيده بلد الشاعر، مما نجده في أشعار أخرى ظهرت في أقطار مختلفة. هكذا تترادف أسماء المدن العربية، مقرونة بالحب، موصوفة بالجمال، مزينة بالفخر بها والانتماء إليها، وكأنها صميم الوطن ومسقط الرأس:

أحمد السقاف يغنى لدمشق:

دمــشــق إلــيــك تحــن الــنــفــو
س وبــالــغــوطــتــين تــقــر الــنــواظــر
وتــاريــخــك الــضــخــم مــلء الــعــيــو
ن لــه ضــجــة فــي جــمــيــع الحــواضــر
وقــفــت كــهــانــوى رغــم الــصــعــاب
وأعــددت لــلــثــأر مــلــيــون ثــائــر
وكــيــف وفــيــك إبــاء الــولــيــد
ومــن عــبــد شــمــس لــديــك أواصــر[17]

ويغنى خالد سعود الزيد لصنعاء بعذوبة وشفافية واضحتين:

أفـــديـــك يـــا كـــأس الـــنــــديم
وصــــورة الحــــســــن المخـــبـــا
رحـــمـــاك لـــســـت أنـــا المـلــــوم
إذا خـــبـــبـــت إلـــيـــك خـــبـــا
هــــذا أديمـــــي مــــن أديمـــــك
شــــق، ثـــم أتـــى ولـــبـــى
ومــــشـــى قـــديمـــي فـــوق أر
ضـــك حـــامـــلا عـــبـــدا وربـــا
رضـــوان يـــشـــهـــد أن لـــي
قـــدمـــا مـــضـــى، ومـــكـــان قـــربـــى
لـــو فـــتـــحـــت أبـــوابـــهـــا
لـــدخـــلـــتـــهـــا جـــســـدا وقـــلـــبـــا
وضـــمـــتـــهـــا حـــتـــى تـــكـــون
هـــي المـــلـــبـــى والمـــلـــبـــى
صنعاء.....
الـــلـــه كـــم نـــهـــلـــت ضـــلـــوعـــي
مـــنـــك فـــاكـــهـــة وأبـــا

كما يتوحد الشاعر الزيد مع مدينة نزوي العمانية، وينتمي إليها تاريخا ووجودا:

أنـــا يـــا عـــمـــان ابـــن الجـــزيـــرة
والخـــلـــيـــج أبـــا وجـــدا
مـــا كـــنـــت غـــيـــرك فـــي تـــلا
ويـــن الـــثـــيـــاب دمـــا وجـــلـــدا
مـــا كـــنـــت غـــيـــرك فـــي الجـــنـــوح
وفـــى الـــعـــلا جـــزرا ومـــدا
أنـــي أنـــا الـــصـــلـــت بـــن مـــالـــك
والـــعـــظـــيـــم ابـــن الجـــلـــنـــدى
والمـــاضـــيـــات الـــقـــائـــمـــات ومـــا
يـــكـــن الـــقـــلـــب وجـــدا

ضمي فتاك فلست غير
العاشق المشدود شدا
ها قد أتيت ولملمني
قلب يكاد يسيل ودا
ضمي فتاك فلست يا
«نزوي»سواك (غداة يغدى)(18)

لا يخطئ الإحساس المباشر حرارة التعبير عن حب هذه المدن، والفخر بتاريخها، والسعادة بلقاء ناسها. ويتجلى بذاك أيضا في انتقاء عناوين القصائد فكثير من العناوين لا يكتفي بذكر اسم المدينة في صيغة محايدة، وإنما يتعمد توجيه تحية خاصة إليها، باكتشاف منقبة من مناقبها يهديها إليها، حتى قبل أن تبدأ القصيدة. فبغداد عند السقاف «بنت الأصول»(19)، والمغرب «عرين العروبة»(20). أما خليفة الوقيان فقصيدته عن صنعاء تحمل عنوانا دالا: «في البدء كانت صنعاء»(21) في حين يصفها خالد سعود الزيد- في عنوان قصيدته التي اقتطفنا أبياتا منها-بأنها «والدة المدن العربية»، كما يصف «نزوي» بأنها «عاصمة التاريخ العماني. أما عبد الله العتبى فقصيدته عن بغداد تحمل عنوان «بوابة الرج»(22) ويختار يعقوب السبيعى «صناعة المجد» عنوانا لقصيدته عن بغداد(23). وعنوان القصيدة-عند كثير من الشعراء-ليس مجرد علامة مميزة، إنه معنى القصيدة مبهما في كلمة، والحالة الوجدانية التي انطلقت منها صور القصيدة وأفكارها.

بغداد.. بغداد

لقد حظيت بغداد (والعراق) باهتمام خاص لدى شعراء الكويت، بصفة خاصة طوال الحرب الناشبة بين العراق وإيران، وكان امتداد أمد الحرب، وتخلخل المواقع العسكرية بين جزر ومد عند هذا الجانب أو ذاك، دليلا مستمرا على ثبات موقف المثقفين الكويتيين وأنه لا يتبع الكفة الراجحة، فالعروبة قدر ومصير، كما كان امتداد الحرب زمنا داميا إلى تحول لدى بعض الشعراء الذين لم تتجه مواهبهم كم، وجهة سياسية أو قومية، وظلت شواغلهم الوجدانية الذاتية نغمة سائدة في أشجارهم لسنوات ليست قليلة، فإذا بهم يتحولون إلى «حرم» القومية، عبرة الحرب والغناء لصمود بغداد(24).

ونرى-قبل أن نقف عند هذه المسألة بشيء من التفصيل-أن ننفى انفراد بغداد بهذا الزخم المؤيد الثابت لدى مثقفي الكويت، والشعراء طليعتهم، فقد كان لهم مثل هذا الموقف من عبد الناصر، حتى بعد نكسة 1967[25] وكان لهم مثل هذا الموقف مع الجزائر في حرب التحرير التي امتدت سنوات أيضا[26].

وهذا يعنى-في رأينا-أن مواقف المثقف الكويتي ليست جامدة، وأنها تستجيب لكل من ترى في عمله بادرة بطولة، وصدق عزيمة، وتصديا لأعداء العروبة، ولو أن «عقيدة حزبية»ما هي التي توجه. هذا التأييد الحار لما اختلفت الوجهة بين مرحلة وأخرى. وقد كان شعراء الكويت، يشهدون «المربد»[27] كل عام، منذ بدأ المربد، وينشدون فيه قصائدهم المؤازرة، وكان استقبالهم يتسم بشيء من الخصوصية تقديرا هذا الموقف الخاص المستمر، وكما يقول النقد الأدبي إن أية عاطفة في ذاتها لا أهمية لها-أدبيا-حتى تلهم الأديب أو الشاغر أفكارا وصورا جديدة مبتكرة، فهنا تكون قد أكدت وجودها، ودلت على صدق صاحبها. وهذا ما يمكن أن نجده في بعض قصائد شعراء الكويت، تلك القصائد التي تناولت الموقف من وجهات شتى، ولو نته، وأعادت تشكيله، وأزاحت التراب عن أصوله حتى أرسته على دعائمه التاريخية.

يكتب عبد الله العتبى قصيدته تحت عنوان: «من تداعيات أبى بصير الأعشى[28] فيبدأ بما بدأ به الأعشى قصيدته الفائية:

كانت وصاة وحاجات لنا كفف

لو أن صحبك إذ ناديتهم وقفوا

ثم يبنى العتيبى قصيدته على هذا المطلع، مستهديا معانى الأعشى في القصيدة قليلا، ومستهديا مغزى معركة «ذيقار»-حيث انتصف العرب من الفرس، كثيرا، وبهذا استحق أن تنسب القصيدة إليه، وأن تعتبر خلقا مستقلا، وليست معارضة لقصيدة الأعشى. وحين نعود إلى أصل قصيدة الأعشى في الديوان[29] سجدا محقق الديوان ينقل من أبى عبيدة ما يشكك في نسبة أبيات الفخر بذي قار-بصفة خاصة-إلى الأعشى، ومهما يكن من أمر فقد وردت في إحدى صيغ القصيدة، واشهداها الشاعر العتبى ونسبها عنوانه إلى أبى بصير، ولكنه تفوق عليه شعورا، وصياغة. وإذا كان الدكتور

محمد محمد حسين يصف قصيدة الأعشى بأنها من الشعر الذي يتصل بالمسائل القبلية الضيقة، فإن شاعرتا الكويتي لم يحبسها في هذا التفسير الخاص، منطلقا من التسليم بأنها قيلت في يوم ذي قار، وهو يوم له مغزاه «القومي» في التاريخ العربي (بشكل عام) فقد انتصر العرب على الفرس، ولا أهمية للتدقيق فيمن انتصر، ومن كان مع المهزوم. في قصيدة الأعشى معان «تراثية» نبيلة، وصور زاهية للبطولة، من هذه المعاني وصية الأب لأبنائه:

إن الأعــز أبــانــا كــان قــال لــنــا
أوصــيــكــم بــثــلاث أنــنــي تــلــف

يوصيهم بالضيف، والجار، ثم:

وقــاتــلــوا الــقــوم إن الــقــتــل مــكــرمــة
إذا تــلــوى بــكــف المــعــصــم الــعــرف

أما صور البطولة الزاهية المزهوة بالنصر:

لما الــتــقــيــنــا كــشــفــنــا عــن جــمــاجــمــنــا
لــيــعــلــمــوا أنــنــا بــكــر فــيــنــصــرفــوا

قــالــوا الــبــقــيــة، والــهــنــدى يــحــصــدهــم
ولا بــقــيــة إلا الــنــار، فــانــكــشــفــوا

وجــنــد كــســرى غــداة الحــنــو صــبــحــهــم
مــنــا كــتــائــب تــزجــى المــوت، فــانــصــرفــوا

جــحــاجــح وبــنــو مــلــك غــطــارفــة
مــن الأعــاجــم فــي آذانــهــا الــنــطــف

إذا أمــالــوا إلــى الــنــشــاب أيــديــهــم
مــلــنــا بــبــيــض فــظــل الــهــام يــخــتــطــف

وخــيــل بــكــر، فــمــا تــنــفــك تــطــحــنــهــم
حــتــى تــولــوا وكــاد الــيــوم يــنــتــصــف

لــو أن كــل مــعــد كــان شــاركــنــا
فــي يــوم ذى قــار مــا أخــطــاهــم الــشــرف

لم يستطع عبد الله العتبى، أو لم يرد، أن يتجاوز البيت الأخير، فأورده بلفظه، في اتبعه بما يؤكد أن الضمير في «شاركنا» يقصد به بغداد دون

غيرها، وتستمر المطالبة بالوقوف معها، لأنها تجابه تنمر العدو الذي واجهته قبائل بكر يوم ذي قار، ومن في أضاف العتبى حتى بلغ ختام قصيدته:

لــو أن كــل مــعــد أيــنــعــت غــضــبــا
بــسـيـف بـغـداد آن الـبـغـي يـعـتـسـف
حــين اشــرأبــت بــنــا بــغــداد شــامــخــة
تـعـانـق الـشـمـس لمـا اشـتـدت الـسـدف
شـادت عـلـى الـشـرق بـابـا مـن تـشـوقـهـا
كـل الـشـمـوس عـلـى أعـتـابـه تـقـف
إن الــفــرات إذا جــاشــت غــواريــه[30]
فـالـف أرض مـن الـطـوفـان تـرتجـف
أنــي لأبــصــر فــي بــغــداد ألــويــة
تـخـضـر شـوقـا لـهـا فـرسـان مـن سـلـفـوا
أنــي لأســمــع فــي الأصــداء جــلــجــلــة
أحـقـاد ذي قـار يـطـفـى نـارهـا الخـلـف
أنــي لألمــح فــي الآفــاق ثــانــيــة
أحـلام كـسـرى مـع «الإيـوان» تـنـقـصـف

يمكن أن نلمح في هذه الأبيات محاولة إقتراب من أساليب القدماء، ليس في تضمين قطع من قصائدهم فحسب، وإنما الحرص على استقلال البيت، وافتتاحه بالكلمة، ذاتها («إني» ثلاث مرات) واستخدام عبارات فيها جزالة القديم وقوته (إن البغى يعتسف-لما اشتدت السدف) كما نجد صور البادية، والعتبى بدوي-قريبة من تناوله:

لو أن صحبك قد شاقت قوافلهم
مرابع الغيث لا ما تنبت الصدف

والبيت السابق يتضمن صورة متحركة حية جميلة، وهذا المقطع يضم عددا منها مع ما فيه من غنائية وشفافية عذبة، رغم جموح المعنى.

نـهـوى الحـيـاة ربـيـعـا بـيـد أن بـنـا
طـبـع الـكـواسـر حـين الحـق يـخـتـطـف
نمــارس الحــرب كـرهــا حــيــث أن بــهــا
نــفــع الحــرائــق لمــا تــنــتن الجــيــف

بـــنـــا مـــنـــابـــع حـــب لـــو نـــرقـــرقـــهـــا
جـــداولا لجـــمـــيـــع الـــنـــاس لارتـــشـــفـــو

لقد كانت هذه الغنائية العذبة البديل المناسب لجزالة العبارة في قصيدة الأعشى.

للشاعر العتبى مصيدة أخرى عن «بغداد»(31) ألقاها هناك في إطار الأسبوع الثقافى الكويتي الذي أقيم بالعاصمة العراقية عام 1979 ويمكن أن موازنة بين معافى القصيدتين.

لنرى ماذا أضاف نشوب القتال بين جارين على مشارف الكويت من مشاعر وآمال.

وللشاعر يعقوب السبيعى قصيدتان أيضا، يستوحى في أولاهما حالة أبى محجن الثقفى، وقد حيل بينه زبين الحرب، في معارك العراق، وهى بعنوان «من هموم أبى محجن الثقفي»(32) كان أبو محجن مشوقا إلى القتال، حريصا على الجهاد، في جيش ابن أبى وقاص خرج، غير أن القيود منعته من المشاركة، ولم تمنعه عن تمنى المشاركة والحلم بالنصر، وهذا ما يعبر عنه الشاعر.

مـتـى إلـى الـفـجـر هـذا الـلـيـل يـرحـل بـى
وقـد خـلا وجـهـه مـن لمـعـة الـشـهـب
لـقـد تـهـافـت شـوق الأمـس واتـضـحـت
مـسـافـة الحـزن بـين الـعـشـب والـسـحـب

إن خلاصه في أن يكون بين إخوته المقاتلين:

يـــا لـــيـــل مـــا أنـــت إلا قـــاطـــع رحـــمـــى
فـــأيـــن أيـــن أنـــا مـــن إخـــوتـــى الـــنـــجـــب؟

وفى قصيدته الثانية «صناعة المجد»(33) يفاخر بانتصارات العراق، ويعلق أمال المستقبل على إنجازاته:

عـــريـــن الـــعـــروبـــة مـــن غـــابـــر
ومـــبـــعـــث آمـــالـــنـــا الحـــاضـــره
إذا مـــا هـــي المجـــد صـــنـــاعـــه
فـــبـــغـــداد بـــالمـــشـــتـــهـــى زاخـــره

ثم يضيف بيتا أخيرا يعبر فيه عن شعوره الخاص:

أحـــــبـــــك بــــغـــــداد، لارغـــــبـــــة
ولارهـــــبـــــة، إنـــــهـــــا الآصـــــرة

ليس القصد أن نقدم إحصاء بالقصائد التي قيلت في تأييد بغداد، والإشادة بها حضارة نضالا وتاريخا، ويكفى أن نشير أن لخليفة الوقيان قصيدتين، ولعبد الله سنان ثلاث قصائد، ولمحمد الفايز ثلاث قصائد، ولعلى السبتى ثلاث، قصائد، ولابد أن الشعراء الشبان الذين لم يجمعوا أشعارهم في دواوين قد قالوا الكثير في هذا الذي يناسب مواهبهم ومشاعرهم الثائرة. أما أحمد السقاف فله سبع قصائد. «بنت

الأصول»-ويعنى بغداد، و «بغداد»«وأم الرصاص» و «لله بغداد» و «إيه بغداد» و «بنت بغداد» و «آثار سامراء».

إن مما تؤكده الأرقام، وتصدقه المشاهدة، أن أهل الكويت إذا رغبوا في التعليم خارج بلدهم، وآثروا بلدا عربيا توجهوا إلى القاهرة، وإذا رغبوا في قضاء الصيف في بلد عربي اختاروا لبنان، فإذا جرى له ما نعرف كانوا قسمة بين القاهرة، وتونس، والمغرب. لم تكن بغداد تستأثر باهتمام خاص عند عامة الشعب، لكنها ظلت عند المثقفين ذات منزلة ومكانة، وربما أدت السياسة دورا في خلق هذا الإحساس، حتى إذا ما تصدت العراق للأطماع الإيرانية، نالت بغداد أعذب قصائد الحب، وأعلى درجات الانتماء، فكانت لحنا متميزا في مجال الغناء للعواصم العربية.

...وفلسطين

ولكن، بماذا يمتاز أو يتميز الشعر الكويتي عن الشعر بوجه عام بالنسبة لهذه القضية القومية، التي فرضت نفسها على المستقبل العربي، واستوعبت كل همومه، وكانت وراء أشكال معاناته ؟ إننا بالطبع-في حدود متطلبات هذه الدراسة-نتحرك في «المعنى» ولا نتوقف طويلا عند القضايا الجمالية الفنية. وبالنسبة للمعنى فإن الشاعر العربي، وعلى امتداد العصر الحديث، أي منذ وعى القضية واتجه إليها، غير مأذون له في الاجتهاد. إن «الدولة» تعلن موقفا من القضية، تصدر به بياناتها، ويردده رمزها الرئاسي في خطبه. وسواء كانت السياسة غير المعلنة للنظام تعمل وفق هذا المعلن أو تخالفه أو تناقضه، فإنها لا تسمح، بتجاوز هذا الذي تعلنه وتردده سواء في

أجهزتها التابعة تبعية صريحة كالإذاعة والتليفزيون (بما فيها الأعمال الدرامية التي يسمح بعرضها) أو تتمتع بشيء هامشي من الذاتية كالصحافة، أو هي ملك لأصحابها كالأعمال الأدبية والدراسات الأكاديمية. إنها جميعا محرومة من حق الاجتهاد، محظور عليها الخطأ، والصواب الوحيد هو المعلن الرسمي، وهو تقريبا الرأي العام العربي الذي لا يعرف حقيقة أوضاعه، ولا حقيقة ما يجرى من حوله[34] لهذا لم يكن أمام الشاعر العربي إلا أن يعبر عن آلامه الخاصة، أمال الجماهير العربية، وأن يفسر الماضي ويعلل أسباب الكارثة، ويستنهض الهمم-بشكل عام-أن تبادر إلى استرداد الوطن السليب[35].

في هذه الدائرة ذاتها تحرك الشعر الكويتي في تناوله للقضية الفلسطينية، ولا تثريب، ومع هذا فإن فإن حقه أن يسجل لنفسه موقفين على جانب من الأهمية. الأول: أن الشاعر الكويتي قد تنبه للخطر القادم، وطالب بالتصدي له، في فترة مبكرة جدا، قد لا نملك الآن الدليل الحاسم على أنه أول من تنبه، ونبه بالشعر قلوب الغافلين، لأن إثبات مثل هذا الأمر يحتاج إلى تتبع دقيق لكل ما قال الشعراء في هذا المعنى على مساحة الوطن العربي، ومهما يكن من أمر فإن صقر الشبيب[36] نشر أولى قصائده-كما يثبت محققا الديوان-في مجلة «السجل» في 14 كانون الأول (ديسمبر) عام1937، ومن الواضح أنها استجابة مباشرة للإضراب العام الطويل المعروف، الذي قام به العرب في فلسطين في العام السابق (1936) واستمر ستة أشهر. لم تكن في الكويت-ذلك الحين-إذاعة خاصة بها، وكان المذياع نفسه غير معروف إلا لقلة تعد على أصابع اليد، ولا نعرف مدى قدرة التقاطه، كما كانت الصحف الخارجية تصل إلى الكويت، في ندرة المصادفة، وبعد أيام أو أسابيع من صدورها، مع كل هذه المثبطات انفعل صقر الشبيب بما تناهى إليه، وتصور-وهو المكفوف البصر-فظاعته وهو له، ورأى بثاقب عقله نتائجه الخطيرة القادمة. فمن عجب أن تبدأ قصيدته الأولى بالنتيجة المرة الأخيرة، إذا تخاذل العرب في مواجهة الهجرة إلى فلسطين، والتراجع أمام عمليات الاستيلاء المستمرة:

أيرفع رأسه العربي يوما
إذا امتلكت فلسطين اليهود؟

وهـــــل عـــــذر لـــــه إن لـــــم تجـــــده
بـــأغـــلـــى مـــا لـــديـــه لـــهـــا يـــجـــود
وراء الخـــــطـــــب هـــــذا أي خـــــطـــــب
تـــصـــان لـــه ا لـــنـــفـــوس أو الـــنـــقـــود[37]

إن هذه القصيدة «منشور» منظوم يرصد كل أطراف القضية، من الأسباب، إلى المواقف، فالوضع الراهن حينها، فالعمل المطلوب لمواجهته، ثم النتائج المؤلمة المتوقعة إذا ما نكص من بيدهم العمل فلم يؤدوا واجبهم، وهذه الثمرة المريرة الأخيرة هي التي بدأ بها ليستفز المشاعر، ويثير الفكر، إنه يدين الإنجليز (بنى التاميز) فقد دبروا كل شئ، وينبه «عصبة الأم» إلى واجبها، فهي منتخبة لإقامة العدل، فما لها تسكت على ما يلحق العرب من بغى؟

وقـــــولـــــي لـــــي أحـــــر كـــــل عـــــضـــــو
عـــلـــيـــه انـــضـــم مـــبـــنـــاك المـــشـــيـــد
أم الأعـــضـــاء فـــيـــك-كـــمـــا اقـــتـــضـــاه
مـــشـــاع الـــظـــلـــم-لـــلأقـــوى عـــبـــيـــد؟

كان هذا البيت ختام القصيدة، أو المقطع كما تطلق عليه اصطلاحات النقد القديم.

وقد كان الشاعر القديم يحرص على تجويده معنى وصياغة لأنه آخر ما يتبقى في السمع وهذا الختام يرتبط بالمطلع ص فكأنه السبب، يذكر مؤخرا ليحرك الذهن إلى تذكر النتيجة-أما صلب القصيدة فقد نهض على حث ملوك العرب، وتحريك إرادتهم، فهي البداية المطلوبة، وما عداها متوفر ومريد:

مـــلـــوك الـــعـــرب إن الأمـــر جـــد
وإن الـــلـــه مـــطـــلـــع شـــهـــيـــد
فـــإن شـــعـــوبـــكـــم أجـــنـــاد صـــدق
وظـــل المـــال فـــوقـــكـــم مـــديـــد
وإن عـــاقـــت قـــيـــامـــكـــم أمـــور
فـــمـــصـــدر كـــلـــهـــا أن لا تـــريـــدوا

إن الخطب لن ترد العدوان، ولن تسترد فلسطين. العمل هو اللغة الوحيدة:

إذا دوت الـــرعـــود بـــغـــيـــر قـــطـــر
فـــهـــل تجـــدي ذوى المحـــل الـــرعـــود[38]؟

لقد كتب صقر الشبيب عن فلسطين سكت قصائد طوال، أولها تلك التي عرضنا لشيء مغص لا، ولا نستطيع أن نزعم أنه كان يبدع معنى جديدا، أو يتكشف له موقف جديد في كل قصيدة، والشبيب شاعر تقليدي، وصحيح أن إرهاصات التجديد الشعري كانت قد بدأت في مصر وسورية ولبنان والمهجر، ولكن الكويت النائية في أقصى جزيرة العرب، المنقطعة-تقريبا-عن خطوط المواصلات التقليدية بين دول الهلال الخصيب ومصر، وهى المساحة المؤثرة أدبيا، والمتقدمة حضاريا وفكريا-دون غيرها في ذلك الوقت-لم يكن باستطاعة مثقفيها أن يتجاوزوا المأثور إلا في حدود الموهبة المستفزة بقدرتها الذاتية، ولم يكن هذا في مقدور صقر الشبيب، رغم تمرده على التقليد ورفضه للجمود ودعوته إلى الاحتكام إلى العقل[39] لأن مطالب بناء شخصية مجددة، تستكشف أفقا يتجاوز السائد المبذول لم تكن متوفرة، سواء في وسائل المعرفة المتاحة، والمناخ الثقافي والاجتماعي العام، الذي نراه أن صقر الشبيب يطور رؤيته الأساسية التي طرحها في القصيدة الأولى، وضيف إليها انطباعات طارئة بفعل الحوادث المستجدة، ففي قصيدة أخرى، نشرت بعد شهر من القصيدة السابقة[40] يطور مطالبته السابقة لملوك العرب بحشد إرادتهم ا لنجدة فلسطين إلى المناداة بالوحدة العربية (وهو صوت مبكر وصريح في هذه المناداة) إن هذه الوحدة المبتغاة كم أجل فلسطين أيضا، فإذا لم تكن إيجابيات الوحدة ومكاسبها المرتقبة حافزا كافيا للعمل في اتجاهها.

فليكن تجنب المصائب ومواجهة الكوارث، التي أولها ضياع فلسطين-هذا الحافز:

ستبقى على الأحقاب حقبا إلى حقب
خيالا على رغم المنى وحدة العرب
وأي أمور الناس وحد بينهم
إذا لم توحد بينهم شدة الخطب
ولا خطب يبلى صبر كل أخى نهى
كريم ويطوى القلب منه على ندب

كـهـذا الـذي يـضـحـي ويمـسـي مـحـولا
فـلـسـطـين مـن كـرب شـديـد إلـى كـرب
وهـا نـحـن شـتـى لـم يـحـول مـصـابـهـا
تـبـاعـد ذات الـبـين مـنـا إلـى قـرب

إن اكتشاف هذه الحملقة المؤلمة لا يحتاج إلى ذكاء خاص، ولكن علينا أن نتذكر أن هذا الكلام قاله الشبيب-بطريقته النظمية-عام 1938، وربما قبل أن يصارحنا به شاعر آخر، وأنه لا يزال يقال إلى اليوم وإن يكن بطرق مختلفة. في هذه القصيدة-أيضا-يرى الإنجليز أس البلاء-بالنسبة لفلسطين خاصة، وأنها لن تحترمنا إلا إذا توحدنا، فتتعامل معا بصدق الخوف أو كذب الحب. أما في حال تفرقنا فإنها ليست بحاجة إلى هذا أو ذاك. ويعود إلى الإنجليز مرة أخرى-ولعلهم في تصوره يمثلون كل أطماع الغرب في الوطن العربي، فيرى أن السكوت على ابتلاع فلسطين سيكون مقدمة لطلب المزيد، وهذا دافع آخر لحتمية التصدي:

لـعـمـر أبـى مـا الإنـكـلـيـز بمـنـتـه
لـهـم مـطـمـع إلابـنـاه مـن الـرهـب
فإن تصدموهم كفكفوا من شرورهم...
فـلـيـسـت فـلـسـطـين بـآخـر حـسـوة
تـبـل صـدى الأعـداء بـل أول الـشـرب
وإن لـم تـغـصـوهـم بـهـا وتـروهـم
مـرارة مـا ظـنـوا مـن الـسـائـغ الـعـذب
لـيـلـفـظ مـنـهـا مـا أراد ازدراده
فـم عـاده بـلـع الـلـذيـذ مـن الـنـهـب
تحـسـوكـم حـتـى يـروا أنـهـمـن رووا
ولا رَى مـا شـامـوا الـثـمـالـة فـي الـعـقـب

ثم يختم قصيدته بأمنية يائسة حزينة، يعز على مكفوف البصر أن يسجلها على نفسه، وأن يعلنها على الناس:

وددت بـجـدع الأنـف لـو كـنـت مـبـصـرا
قـديـرا عـلـى حـمـل الـقـنـاة أو الـغـضـب

في قصائده الأخرى يعيد الشبيب ترديد أفكاره ونداءاته، مع إضافات

تمليها الأحوال المتغيرة، كالحث على التبرع لمساعدة «الإضراب» على الاستمرار، وإعانة المتضررين منه، وضرورة أن تقف الدول العربية التي لها تمثيل سياسي خارجي، وتصويت في عصبه الأم موقف الإيجابية المستمرة، في دعم فلسطين، ولا تنشغل عنها بهمومها الخاصة التي يمكن استدراكها مستقبلا.

هذه البداية المبكرة جدا، لم تكن سبقا تاريخيا معزولا، وحتى لو كانت كذلك فإنه من التعسف تجريدها من نبل المعنى، والحقيقة التي يدل عليها رصد تيارات الشعر وفنونه في الكويت أنها-هذه البداية-اكتسبت قوة الاستمرار، وقوة التأثير في الوجدان الكويتي، فمن ناحية، لا نكاد نجد شاعرا كويتيا ليست له قصائد من فلسطين، نذكر هنا شعراء الجيل الماضي: فهد العسكر، وخالد الفرج، وعبد الله سنان، وعبد الله حسين الرومي، وفاضل خلف، وغيرهم(وسنعرض لشيء من نشاطهم حين نتوقف عند التوجهات الفكرية) ومن ناحية أخرى نجد أن الكويت كانت الملاذ الأكبر لمهاجري فلسطين، في أعقاب الحربين (1948 ، 1967) فاجتمع على أرضها ما لم يجتمع لهم على ارض أخرى غير فلسطين ذاتها[41]، أو ما تبقى منها، ولم يكونوا مجرد قوة عمل تكتسب قوتها، بل كان لهم حياة ووجود وفاعلية في الحياة الثقافية، وفى الصحافة، وفى الفن، والإعلام الرسمي والشعبي، فضلا عن حياة المال والتجارة، كان لهم مجتمعهم الخاص إذا أرادوا، وكانوا في صميم البنية الاجتماعية العامة في الكويت أيضا.

أما الموقف الآخر-ولا نظن أننا بحاجة إلى التفصيل فيه، بعد ما تأكد من أن المثقف الكويتي كان-في صوت الشاعر-أول الملبين بالفن لنداء فلسطين والوقوف معها وتجميع الصفوف حولها في محنتها-فهو استصحاب قضية فلسطين إلى كل محفل وموقع، وتبنى الصوت الفلسطيني أينما ارتفع.

في شهر ديسمبر 1987 كانت «ثورة الحجارة» تأخذ مكان «المانشيت» الرئيسي في صحف الكويت، يوميا، وتدعم بالصور والنداءات، وجمع التبرعات السخية و لم يكن مضى على قيامها غير أيام. وفى ذلك الشهر نفسه كان تلفزيون الكويت يذيع أغنية مصورة عن أطفال الحجارة، أعدها الفنيون فيه.

وفى كثير من المحافل الأدبية والمهرجانات، حين كان يأتي دور إعطاء

الكلمة لممثل وفد الكويت، كان يعتبر كلمة ممثل فلسطين معبرة بذاتها عن الكويت ! من هنا ليس بحاجة إلى تعليل ما نجد من إصرار الشعر في الكويت، على اصطحاب «الهم الفلسطيني» أينما ذهب. سنكتفي بأمثلة قليلة.

في عام 1973 زار وفد رابطة أدباء الكويت تونس، وفى مهرجان الشعر ألقى أحمد السقاف-رئيس الوفد-قصيدة تحية، ويا لها من تحية ! إنها محفوفة بظلال وضباب كان يحيط بالموقف التونسي الرسمي (البورقيبى) من العمل الفلسطيني الفدائى كأسلوب لتحريرها، ومن القضية عامة. عن حب تونس والفرح بلقائها، حدث دون تحفظ، ولكن: ماذا عن فلسطين ؟ من هنا كان هذا المطلع:

إن تـعـاتـبـنـا فـمـا يـجـدي الـعـتـاب

لـيـس بـين الـعـين والـقـلـب حـجـاب

كـم تـشـوقـنـا ويـا رب خـل

يـتـهـاداه ذهـاب وإيـاب

نـحـن نـحـدو الـركـب بـالحـب وكـم

مـن أنـاس تـركـوا الـركـب وغـابـوا

لـم نجـد فـي الـبـعـد بـعـدا فـالـهـوى

أبـداً يـذكـيـه شـوق وغـيـاب

وهـتـفـنـا حـين لاحـت جـنـة

هـذه تـونـس، مـرحـى يـا صـحـاب

قـد عـرفـنـاهـا فـمـن أطـيـابـهـا

أرج يـفـديـه مـسـك ومـلاب

يـا بـنـى تـونـس عـفـوا إن بـدت

كـلـمـات لـم يـحـالـفـهـا الـصـواب[43]

هكذا يبادر الشاعر، فيقدم الاعتذار، ويلتمس العفو، عن «خطأ» مقصود سيتورط فيه، وقد يخدش علاقة الضيف بالمضيف، أو يسئ إلى المناسبة المهرجانية في ذاتها. من هنا كان تقديم الاعتذار، وكان باستطاعته أن يغير القول، ولكن لا سبيل إلى هذا ما دامت «فلسطين» هي القضية. إن على مثقفي تونس-أو بعض مثقفيهم-كما تدل الصياغة مما يعنى وجود تيارين

تجاه القضية-أن يفكروا في فلسطين، وأن يرتبوا علاقاتهم الدولية على هذا الأساس، فإذا كانت تونس قد عانت ولا تزال تعانى من الاستعمار، فإن من الخطأ أن تنسى تجربتها الخاصة، إذا ذكرت فلسطين!

البدء بإعلان الحب لتونس، وعدم التنكر لها فيما أصابها:

مـا نسـينـاكـم فـفـي وجـدانـنـا
لـكـمـو شـيـدت بـروج وقـبـاب
إن شـربـتـم بـعـض وقـت عـلـقـمـا
فـشـراب الـعـرب فـي المـشـرق صـاب
مـنـذ نـصـف الـقـرن عـشـنـا نـكـبـة
مـلـؤهـا بـؤس وظـلـم واغـتـصـاب

ثم يغمز «دعاة السلم»[43] بأنهم في أبراج، يسليهم السراب عن الري، أما الشعب فيتلهى بالخطب والشعارات.

فـي فـمـي أفـراحـكـم شـبـابـه
وأسـاكـم فـي مـنـاجـاتـي ربـاب
تـهـزأ الـدنـيـا بـكـم حـين تـرى
كـيـف يـلـهـيـكـم هـتـاف وخـطـاب

وأشد خطرا من هذا أن التعلق بأوربا مترسب في أعماقكم، يفسد عليكم الرؤية الصافية لقضايا العروبة، لقضية فلسطين بصفة خاصة:

فيشير بإشارة ذكية تلتقط صميم الصياغة (في عودة الضمير) إلى اختلاف التونسيين ما بين متحمس للعروبة، ومشايع للفرنسة والنهج الأوربي في الحياة:

يـرقـد الـغـاصـب فـي أعـيـنـكـم
ولـكـم فـيـكـم عـداء واحـتـراب

ثم يحيى نضال تونس في بنزرت، ويستحث الهمم أن تواصل، غير عابئة بقوة الخصم. أما ما جاء عن فلسطين في القصيدة، فإنه أبيات تمجيد لنضال أهلها، وإصرارهم على الثأر والعودة، ومن هنا كان العتاب، وكان الختام، فكأن «الشعور بفلسطين»-في الحقيقة-صانع نسيج القصيدة، ومحدد سياقها الفكري[44].

وحين يذهب عبد الله العتبى إلى بغداد، ضمن فعاليات الأسبوع الثقافي

الكويتي في العاصمة العراقية (عام 1979) وكانت «كامب ديفيد» وقعت، ومناوشات إيران وحديثها عن تصدير الثورة تصاعدت، كان هذا رأى الشاعر في الموقف، وكانت بغداد أمل الخلاص:

الحالكات بباب الشرق تزداد

فجددي العهد للإشراق بغداد[45]

غير أنه يسفر في ختام قصيدته من أمنيتين عزيزتين إحداهما للكويت، والأخرى لفلسطين، أمنيته للكويت أن تمتد مياد شط العرب إلى بلاده لتروى وتخضر، أما أمنيته لفلسطين فتمر عبر توحيد القوة العربية، والتعبير هنا له مغزاه الخاص، الحاد، بل المتطرف المغالى، ولكن.. لماذا لا، وهو-في تصوره-من أجل فلسطين، وفى سبيلها يصبح اي شئ ممكنا:

في كل يوم يصب الليل ظلمته

في وجه مشرقنا، والليل أصفاد

سحائب الليل في «يافا» تلبدها

فهل ستمطر وجه «النيل» بغداد!!؟

عودي تعد بسنا الأقصى منائره

وفى ري مصر-حتما-تورق الضاد

لقد ساقه الإشفاق على مصير فلسطين إلى حافة الهوى، والمبالغة في الحكم، وهل أورقت «الضاد» في أرض كما أورقت في أرض مصر ؟! وهل يرى حقا أن «النيل» بكل بذخه وتدفقه التاريخي يحتاج إلى أمطار بغداد ؟ لقد سوغت فلسطين للشاعر هذا، ولا عذر غيره، مقبولا أو غير مقبول. لكن الشاعر يحلو إلى آفاق السمو، ويحمل بجدارة هموم المثقف العربي، وأسئلته، ومصادر قلقه، فضلا عن توافق الإيقاع، وتداخل الصور والأسئلة، بدرجة يستحيل فيها الفصل، مما يؤدى إلى تصور مجسد للموقف الحائر الذي لقفه العقل العربي من قضية فلسطين، لا يعرف تماما كيف بدأت، ولا يملك فعلا يفرض نهاية لها، إنما هي أسئلة حائرة هي دعوة إلى البحث عن جواب من موقف الالتزام. قصيدة: «إشارة مهمة»[46]، وهكذا تبدأ:

عن القدس تسألني الأزمنة

وكل المسافات والأمكنة

وكل المساجد.. كل المنائر،

كل القباب التي لفها اليتم

... يا للسؤال الذي يطفي العمر في لجة الانكسار

عن القدس ماذا أقول ؟

وقد أشرنا من قبل إلى «الانتفاضة» أو ثورة الحجارة، التي أخذت ما زرتها في الكويت وجوها متعددة وكان للشاعر منها موقف، ونشير إلى قصيدة خليفة الوتيان «البشارة» [47]-وفى التسمية علامة ودلالة-ويقول مطلعها:

الأرض ترجمكم حجارتها

ويفقأ عينكم شوك النخيل

في القدس في العشار

في ميسان، في أنحاء غزة، في الجليل،

يتعانق الحجر النخيل...

فكأنما رأى الشاعر أن انتفاضة الحجارة، هي وجه آخر للصمود ضد أعداء العروبة، ومكمل لما بدأ على الحدود العراقية الإيرانية.

النزعة الإنسانية

قبل أن نقترب من جلاء هذا الجانب في الشعر الكويتي، نقرر أمرين: أن النزعة الإنسانية هي جوهر التجريد للشعر، هي شرط الشاعرية، ولو لم تسفر قراءة شعر الشاعر عن موقف إنساني، كان انتسابه للشعر باطلا أو محرفا، إنه «شاعر» بمقدار تعاطفه مع الأشياء، بمقدار حبه للبشر، بمقدار تمرده على القبح والنقص، بمقدار شمول رؤيته للتجاذب الكوني بين عناصر الوجود، بمقدار ما يرى في أي جزء-مهما كان ضئيلا-روعة الكل وعظمته. الأمر الثاني أن الإيمان القومي ليس معطلا للإنسانية، ليس ضد الإنسانية، إذا ظننا هذا نكون قد خلطنا بين الإيمان القومي والاستعلاء العرقي، ونكون سقطنا في وهم «شعب الله المختار» من منظور آخر.

غير أننا نريد أن نخالف في «منهجية» هذه الفقرة، فلا نقدم نماذج مقتطعة من سياقها لبعض الشعراء الذين نتوسم في تجاربهم وضوح هذه النزعة الإنسانية، إننا نؤثر-هذه المرة-أن نقدم قصيدة واحدة، في نصها الكامل، نتبعها بدراسة تحليلية شاملة، تكشف عن إنسانية هذه القصيدة،

ليس في تجريد فكرتها وحسب، وإنما في إتقان صناعتها أيضا.

سنجد مواقف إنسانية على قدر من الشفافية، في بعض قصائد عبد الله سنان، حين يكتب عن «البعير»، وقد تجاوزه الزمن، وأهمله البدوي الذي طالما لاذ به في الأزمات وعند الخطر، إذ اتخذ السيارة، والطائرة، و لم يعد أمام البعير غير انتظار النهاية[48]. وفى «الهندية» يتجلى الحب رابطة فوق الحواجز، رابطة طاهرة[49]، وفى «المهري» يتقدس عرق العمل، ويقيم الإنسان بكرامته على نفسه(50).

وتتجسد النزعة الإنسانية في شعر خليفة الوقيان في البحث عن المثال، والتشوق ستشتاق المجهول، في التعاطف مع العناء الإنساني وعرق الكادحين، ورفض الفردية والاستعلاء تحت أي دافع، إن قصائد ديوانه الأول «المبحرون مع الرياح» تنمر في هذه المسارات، وأول قصائده «قل لي صاحبي» ترفض الانخداع بمظاهر الجمال، وتبحث عن جمال الحياة في حفظ الكرامة بالعدالة:

ليس في خاطري عداء لزهر
يتمطى به الربيع شهيا
غير أنى سألت من ذا سقى الحقـ
ـل وروى ثراه عصيا
وعلى وجنة الورود دماء
لشقى قضى أبيا وفيا
ليضوع الأريج في كل قصر
وتزين العطور وجها بغيا؟

ويتأكد هذا المنحى في القصيدة التي حمل الديوان اسمها، وتزداد لنزعة ثراء في قصيدة «رأيى ورأيك» [51].

ثم نبلغ ساحة أحمد العدواني، الشاعر الذي كان سندا، أو مبتدأ لأهم مشروعات الكويت الثقافية، وكان مسؤولا عن حركة النشر، و لم ينشر ديوانه إلا وقد تقدمت به السن (ظهر ديوان أجنحة العاصفة عام 1980) إننا دون خطأ في التعميم-نستطيع أن نضيف قصائد الديوان إلى رؤيته الإنسانية، من حنينه إلى الماضي مبرأ من النظرة السلفية الجامدة[52]، إلى تأمله الصوفي وتعاليه على مهاترات الواقع والدارج[53]، إلى تفلسفه في النظر

إلى الوجود[54]، إلى استبطانه لذاته، والغوص في ظلماتها[55]... وفى هذا المعنى الأخير، نختار لأحمد العدوانى هذه القصيدة، وقد نظمها عام 1969 في صميم مرحلة نضجه:

اعتراف

حدقت في مرآة نفسي
فلم أجد نفسي
بل لاح لي حشد من الظلال
جميلة الشكل.
لكنها-وا أسفا!! ليست لي !
حدقت في مرآة نفسي !
فلم أشد نفسي..
بلى..
وجدت هيكلا
تمردت كنوزه على البلى !!
وأسفا !! كنوزه تمردت على
البلى!!
فصار للقبر وللتابوت والصنم
في ظل وجداني حرم
حدقت في مرآة نفسي
فدار رأسي ! !
يا أنتم ! يا أهلي..
لكم مرايا في نفوسكم
فحدقوا فيها !!
لكن بصدق لا يهاب السيف أو
يخشى القلم
وخبروني.. ما الذي تقوله المرايا ؟
عن عالم الخفايا... ؟؟؟
يا أنتم يا أهلي..

عودوا إلى أنفسكم
وحدقوا فيها..
لعل من بين ظلالها.. ظلي
فأنتم يا أهلي..
وأسفا.. مثلي !!

لقد اخترنا هذه القصيدة، هذه المرة، عن قصد، ليس لأنها قصيرة وتناسب دراسة مختصرة ليست مختصة بنقد الشعر أو تحليله، وإنما لأنها تجربة بطبيعتها ذاتية، بل مغرقة في الذاتية، إنها لحظة كشف، أو مكاشفة، هي أبعد ما تكون عن أن تكون تجربة اجتماعية، أو لها امتداد نحو الأغيار، ومع هذا فقد تحركت في اتجاه معاكس (أو مناقض) لبدايتها، ثم. بلباقة فريدة، اكتملت الدائرة، والتحمت النهاية بالبداية، صانعة نسقها الخاص كبناء مستقل.

إن اختيار العنوان «اعتراف» كما على خصوصية اللحظة، فإنه يحدد لونها. فالعرف، والعقل المراقب يقولان إن الاعتراف دائما يكون إفشاء لسر تسئ إذاعته إلى صاحبه أو إلى آخرين، أو إلى الطرفين ! فالتجربة-من عنوانها-متشائمة، وسنرى أن الشاعر كما نخرج بتجربته الاعترافية من طابعها الفردي إلى الإنساني العام، استطاع أن يتحول بها من التشاؤم السلبي إلى الدعوة إلى مصارحة النفس والتغيير. أما. الوسائل الفنية التي حقق بها هذا التحول فإنها غاية في البساطة، وفى التعقيد معا.

ليس العدواني أول من حدق في مرآة نفسه[16]، ولكنه أول من حدق مرتين، ليستكمل رحلة الاكتشاف، ثم التفت وراءه ليرى هل هو حالة مفردة أو فريدة، أم أن الناس جميعا (للأسف) مثله ؟!

قام بناء القصيدة على أربعة مقاطع ؟ بين المقطعين الأولين ثنائية تقوم على التشابه، وبين المقطعين الآخرين ثنائية أخرى تقوم أيضا على التشابه، ولكن، بين المقطعين الأولين معا، والأخيرين معا ثنائية تقوم على التضاد. وتقوم بين حد التشابه، وحد التضاد، جملة واحدة، انقسمت بين فعلين بينهما الترابط الطبيعي بين الفعل والاستجابة.

حدقت في مرآة نفسي/فدار رأسي

وقيام هذه الجملة على التخوم الفاصلة يجعلها محسوبة على التشابه

في أي من القسمين، ومحسوبة على التضاد بينهما، ويجعل منها معلما قائما بذاته، وكأنها عنوان بديل للقصيدة، ولعل هذا سلوك، أو تصرف مستحدث،. ابتكره الشاعر المعاصر بديلا للتصريع في سياق القصيدة ؛

وحين يتحدث النقد الحديث عن ترتيب أفكار القصيدة، ليتم لها معنى الوحدة وتتماسك تماسكا عضويا، فإن هذا يبدو صعبا في تجربة شديدة التركيز ذات طابع كشفي (صوفي) مثل هذه القصيدة. لكنه حقق لها العضوية بذلك التكنيك الصياغى الذي قام عليه البناء اللغوى والصوري، ثم باختزال اللغة (وبعض الأسئلة) إلى الحد الأقصى، بحيث لم يتركنا الشاعر في تيه، لقد اكتفى بأن رسم لوحته على زجاج مسبب، فهي تشف بقدر لمن يتأمل، وتغمض بقدر على المتعجل.

لماذا نحدق في المرآة ؟

هذا سؤال بدهي لمن بدأ بقراءة القصيدة، ولسنا نتوقع بالطبع أن يسأل القارئ نفسه مثل هذا السؤال بصوت عال، أو حتى دون صوت، لكنه يضمر السؤال من خلال توقع الإجابة، الماثلة فيما ترتب على التحديق. التحديق ليس مجرد نظر، إنه تمعن، هدفه اكتشاف شئ غامض، وهنا تتأكد المفاجأة، إنه لم يجد نفسه، تلك التي كان يعتقد أنها معه دائما، وإنما وجد مكانها ظلالا (أرى أنها تعود إلى نظرية المثل كما صررها أفلاطون، وبخاصة أنه وصف هذه الظلال بالجمال، وبأنها «شكل» وبأنه بعيد عنها) فتأكد انفصال الماهية عن الشكل، أو الهيولى عن الصورة، على حد تعبير القدماء.

لماذا نعيد التحديق في المرآة ؟

لاعتقادنا أن التحديق الأول لم يوصلنا إلى الحقيقة، لم يكشف أمامنا كل المعميات، وإنما كشف مرحلة، ودل على التي تليها. في التحديق الأول وجد الجسد (الظلال الجميلة الشكل) في التحديق الثاني شاهد مصير هذا الجسد المهدد بالبلى، فأحس بالأسى لرده المحكوم بالفناء، ولهذا الرد (العبثى) وهذا المصير الحتمي، اكتسب الجسد، وكل ما يتخذ لصيانته قداسة وحرمة.

إن الموجود الأول (في المقطع الأول) هو نفسه الموجود الثاني (في المقطع الثاني) وهذا واضح من التحريف المتعمد لاستخدام أداة الجواب (بلى) التي يعرف الشاعر جيدا قاعدة استخدامها، بل إنها تستخدم في العامية

الكويتية بالتزام دقيق لشرط الفصاحة. وهكذا يصبح السياق، مع إظهار المضمر.

حدقت في مرآة نفسي

فلم أجد نفسي

- [ألم تجد نفسك حقا؟]

- بلى

وجدت هيكلا..

فكما كانت الظلال خطوة أولى نحر إدراك النفس، كان الهيكل هفوة ثانية، وتصبح النفس الحقيقية غائبة حاضرة، بالتأمل، وبلوغ الصدق.

ثم تتصدر «يا أنتم» المقطع الثالث، لتواز ?«الأنا» المضمرة، أو المفهومة في المقطعين الأولين، وتتكرر في الرابع أيضا، لتتأكد نزعة الشاعر الاجتماعية الإنسانية، لقد ارتطم بلغز الفردية، فكان الالتفات إلى الجماعة، والانغمار فيها، ومناشدتها أن تسير معه في طريق الكشف والصدق، فإن معناه الفردي لا يكتمل إلا بوجوده وسط الجماعة

(عودوا إلى أنفسكم.. لعل من بين ظلالها ظلي).

إننا إذ نتأمل التجربة المغرقة في الذاتية، كيف انتهت إلى شعور قومي مرتبط بالجماعة، من حقنا أن ننوه إلى جماليات الشكل، وعمق الصدق اللذين ارتقيابها إلى الإنسانية.

الهوامش والمصادر

(1) كانت البداية دراسة عواطف الصباح التي قدمتها للحصول على درجة الماجستير من جامعة الكويت 1970 بعنوان: (الشعر الكويتي الحديث)، ثم كتب الدكتور إبراهيم عبد الرحمن دراسة عن أهم شعراء الكويت من خلال دواوينهم، تناولهم فرادى. وصدرت موسوعة خالد سعود الزيد عن «أدباء الكويت في قرنين» من ثلاثة أجزاء.. ثم تتابعت الدراسات وتنوعت.

(2) هنا نذكر بقصائد شوقي (أمير الشعراء) عن دفق، وعن طرابلس (الغرب) وعن السودان، الخ، وهى قصائد مستثارة بمناسبات أية. وهذا غير ما نعنيه.

(3) كان لشوقي فضل السبق لشيء من ذلك حين كتب عن (زحلة)، ولكن هذا اللون في شعره قليل، فضلا عن أنه لم يأخذ حجم الظاهرة لدى الشعراء في مصر، أو في أي مصر عربي، مثلما أحد لد ى شعراء الكويت.

(4) ديوان: بيت من نجرم الصيف (ط شركة الربيعان) ص 157

(5) ديوان: بيت من نجوم الصيف، قصيدة: جيكور بعد عام ص 143- وجيكور قرية بدر شاكر الثياب القريبة من البصرة، وقد تغنى بها كثرا. فالصديق في القصيدة هو الثياب، والقصيدة في رثائه. وفى الديوان قصيدة أخرى عن السباب، وقصيدة، أنا في البصرة، التي وضعها في مفتتح الديوان.

(6) «مجردة» نهر في تونس، كتب الشاعر عنه قصيدتين. «نهر مجردة» ص 65، «على ضفاف مجردة»-التي حمل الديوان اسمها-ص 82 وقد فطن أدباء تونس لمغزى صنيع الشاعر، ورغبته في تخليد نهرهم ليلحق-شعريا-بأنهار الشرق العربي. النيل وبردى ودجلة والفرات. انظر الديوان: ص 65

(7) ويعود الشاعر إلى هذا المعنى في قصيدته الأخرى عن النهر التونسي. «على ضفاف مجردة» إذ يقول:

أتونس أنت مراح الفؤاد
وأنت منى الشاعر العبقري
وفى جو الرحب صغت القريض
وأنشدتك اللحن من مزهري
ورددت ألحاني الشاديات
على أفق مجردة الأنور
فمن ضفة النهر وحي سرى
بروحي، ولولاه لم أشعر

(8) قصيدة: الفجر الجديد [عن بنزرت] ص 27

(9) ديوان: على ضفاف مجردة: ص 143

(10) ديوان: على ضفاف مجردة: ص 97

(11) يرجع في نص «الجنة الضائعة» إلى «ديوان الشابى» تحقيق وتقديم عز الدين إسماعيل، ص

361 ويلاحظ اختلاف الصياغة في مطلع القصيدة.

(12) ديوان: «المبحرون مع الرياح» صدر عن ذات السلاسل-الكويت 1974.

(13) ديوان: «المبحرون مع الرياح»-: ص 101.

(14) ديوان «تحولات الأزمنة» عام 1983 «والخروج من الدائرة» صدر عام 1988 وفيهما انعكس موقف الشاعر بقوة في وقوفه إلى جانب العراق في حربه مع إيران.

(15) ديوان: «بقايا الألواح»: ص 4.

(16) في الصفحات: , 31 60 74

(17) ديوان «شعر أحمد السقاف»: ص 216

(18) القصيدتان بنصهما الكامل من بين مختارات شعرية ألقاها الشاعر خالد سعود الزيد في كلية التربية الأساسية، ونشرت ضمن مجلد الموسم الثقافي للكلية 85/ 1986- الكويت 1987

(19) ديوان «شعر أحمد السقاف». ص 27.

(20) الديوان السابق نفسه: . ص 137

(21) من ديوان: «الخروج من الدائرة»: ص 55.

(22) ديوان: «مزار الحلم»: ص 11.

(23) ديوان «الروح»: ص 43.

(24) من هذا الفريق الشاعر يعقوب السبيعى، فقد خلا ديوانه الأول: «السقوط إلى الأعلى» (1979) مما يتجاوز ذاته وعلاقاته المباشرة. في حين تضمن ديوانه الثاني: «مسافات الروح» 1985 قصيدتين في مؤازرة العراق، وتمجيد صمودها.

(25) نذكر هنا أسماء الشعراء: عبد الله حسين الرومي، أحمد المشاري، وعبد الله سنان، ومحمود شوقي الأيوبي، وغيرهم.

(26) ما من شاعر كويتي إلا وكتب عن الجزائر وحيا نضالها، وقصائد أحمد السقالى، وعبد الله شان، وفاضل خلف، وغيرهم منشورة معروفة، عن أوراس، وجميلة بوحريد، وجيش التحرير.. الخ.

(27) المريد: ضاحية صحراوية من ضواحي البصرة، أقام بها الفرز دق بيتا، وابتنى جرير لنفسه بيتا أيضا ليهاجي صاحبه تلك المهاجاة المسفة الهابطة المعروفة بالنقائض، وقد كان احتلال البادية يجتمعون حولهما، ويتعصبون لهما مما هدد بالشر، فجاء أمير البصرة وأحرق البيتين، وطرد الشاعرين، وشتت أنصارهما. وقد عمل العراق على إعادة الاسم باعتباره كان سوقا كل ت أسواق الشعر، وأدب على عقده سنويا في بغداد، إبان اشتعال الحرب مع إيران، وكان يجمع له الشعراء العرب من كل الأقطار.

(28) ديوان «مزار الحلم»: ص 105.

(29) انظر في نصها وشرحها والتعليق عليها: «ديوان الأعشى الكبير». ص344 345 شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين. الناشر: المكتب الشرقي للتوزيع. بيروت

(30) أشار الشاعر إلى أنه أخذ هذا الشطر من النابغة بتصرف. وقد قالة لنابغة في مدح النعمان، وصحته ونمامة:

فما الفرات إذا جاشت غواربه

ترمى أواذيه العبرين بالزبد

(31) ديوان: «مزار الحلم»: ص 137

(32) ديوان «مسافات الروح» ص 39 وكان أبو محجن شارب خمر، فحبسه سعد بن أبي وقاص، وكان في جيشه إبان معركة القادسية. فلما رأى أبو محجن القتال تحرق شرقا إليه، وطلب من زوجة سعد أن تفك قيوده على أو يقاتل، ثم يعود إلى القيود.. ففعلت، وشارك في القتال. ما وجه العلاقة بين الشاعر وأبى محجن ؟!

(33) ديوان: «مسافات الروح»: ص 43.

(34) في أوائل الستينيات كتب فكرى أباظه مقالا خطيرا نشره في مجلة «المصور» كان يخالف فيه، أو يقترح فيه على السياسة المعلنة، ويوجهه إلى زعيمي العالم في ذلك الوقت: خروشوف وكنيدي. فكان أن نحى عن عمله، وظل مهملا حنى اعتذر عن مقالته، وتراجع عن رأيه. وهذا التصلب من رؤساء الدول خلق رأيا عاما (والعكس صحيح أيضا) لا يقبل حوار الآراء واختلافها في الاجتهاد حول هده القضية المصيرية. إنه رأى واحد فقط لا يقبل بسماع غيره !

(35) حتى في الأعمال الأدبية (غير الشعر) كالمسرح والرواية، مع أن مجال التعبير من الرؤى المتعددة أو المختلفة متاح فنيا اكثر مما هو متاح في شكل القصيدة الغنائية مع هذا لم «يجرؤ» أحد على «اقتراح» حاد أو طرح رؤية جديدة للصراع العربي الإسرائيلي. انظر مثلا مسرحية «الغرباء» لعلى عقله عرسان، ورواية «طريق

العودة» ليوسف السباعي. والطريف أن الرؤية الجديدة، أو طرح بدائل للصراع العسكري جاء من أدباء فلسطين أنفسهم، النظر مثلا روايتي سحر خليفة: «الصبار» و «عباد الشمس» وما كتبناه عنهما لي دراستنا. «الريف في الرواية العربية» الفصل السابع: «فلسطين الأرض والريف». والكتاب من سلسلة عالم المعرفة، رقم (143).

(36) صقر بن سالم الشبب، شاعر الكويت (1892- 1963) كان متمردا على الطريقة الإعلائية المعرية، ومحافظا في شعره. جمع ديوانه وحققه أحمد الشعر الرومي وعبد الستار فراج-مكتبة الأمل بالكويت.

(37) ديوان صقر العشيب: مل 189 والقصيدة تحت عنوان. «الأعماق لا الأقوال».

(38) وهذه الصورة الفعلية القائمة على القياس مستمدة س البيئة الطبيعية في الكويت، فقد كاد المطر-في ذلك الوقت-المصدر الأول لمياه الشرب والزراعة، وهي صورة تراثية أيضا.

(39) للشاعر قصيدة بعنوان. «يا عقل»يقول في ختامها:

عليك يا عقل بعد الله معتمدي
وبعده لك تعظيمي وتبجيلي
فكن دليلى إذا ما حيرة عرضت
وكن إذا ليل شك جن قنديلى
يا عقل أنت سماوي الهدى فأبن
ما غاب من وجه تحريم وتحليل
وسد أذني عما القوم قد أخذوا
فيه يخوضون من قال ومن قيل

(40) قصيدة: : «بلا وحدة ضياع» «ديوان صقر الشبيب»: 155 وقد نشرت في «السجل» في 21 يناير (كانون الثاني) 1938

(41) ونعرف أن أقطارا عربيه لا تسمح لأبناء فلسطين بالدخول إليها، وأخرى تسمح العبور أو السياحة دود الإقامة والعمل، وثالثة تستبقى أعدادا مقننة، لا تعطيهم قوة التواجد الاجتماعي...

وليس هذا بحاجة إلى شرح أو توضيح.

(42) ديوان «شعر أحمد السقاف» بعنوان: «تونس»-ص 198.

(43) وكانت الدعوة إلى الصلح والتفاوض أول من نادى بها «بورقيبة».

(44) ويتكرر هذا عد الشاعر الكويتي كثيرا. انظر مثلا قصيدة «نهر مجردة» ـ من ديوان فاضل خلف، ص 65- إنه يحي النضال التونسي في «ساقية الأحرار» كما يحيى مساندتهم لنضال الجزائري، ثم ينتهى إلى فلسطين:

فهل لك في نصر جديد محجل

يضيف إلى ماضيك صرحا ممردا

فلسطين قد حل البلاء بساحتها

يحاربها الأهلون والدهر والعدا

وهذا أوان البدل يا ابنة عقبة

فمدى إليها من بطولتك اليدا

وقولي لقاء اليوم في أرض تونس

وفى مهرجان القدس موعدنا غدا

(45) ديوان: «مزار الحلم»: ص 137

(46) ديوان: «مزار الحلم»: ص 51.

(47) ديوان «الخروج من الدائرة»: ص 39.

(48) ديوان: «نفحات الخليج» ج1 «البواكير»: ص 26.

(49) السابق لنفسه: ص 110.

(50) السابق نفسه: . ص 136

(51) ديوان: «المبحرون مع الرياح» ص 75.

(52) القصائد: صفحة من مذكرات بدوي، يا غدنا الأخضر، أفكارنا دجاجة، وقفة على طلل.

(53) وملحمته المطولة الفريدة: شطحات في الطريق.

(54) القصائد: الناسك وشكوى الشيطان، بقايا رؤى، معرض اللعب، البحيرة الخالدة..

(55) ديوان «أجنحة العاصفة» ص 120، والتحليل من دراسة لنا عن الصورة و شعر العدوانى بعنوان «الرسم بألوان ضبابية» لم تنشر بعد.

٦ آفاق أخرى

لا نزال-في هذا الفصل الأخير من دراستنا-مع التوجهات الفكرية والوجدانية التي يصرفها الشعب الكويتي في اتجاه العروبة، والمبدأ القومي، ويحارب من خلالها الانعزالية والإقليمية والتعالي بكافة أسبابه والعرقية والثقافية والتاريخية. وقد استقل الشعر بفصل بلغ مساحته دون أن يبلغ القول فيه مداه، ومن ثم يمكن اعتباره مؤشرا أو فاتحة لقول يفصل الدوافع والغايات، ويرصد أو يستنبط الدلالات. وسيكون هذا الفصل تتمة لسابقه في مجالات الإبداع الفني والفكري، فنتعرف فيه على فن المسرح والصحافة وحركة التأليف ونشاط النوادي والجمعيات، فيبدو هذا الفصل الأخير، لنا الآن، مكملا لما عرفنا من نشاط الشعراء، ومن وجه آخر هو استكمال لما سبق التعريف به من أنشطة الأجهزة الرسمية الحكومية، في وزارة الأعلام، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، والهيئة العامة للجنوب والخليج العربي، وجامعة الكويت ومعهد الكويت للأبحاث العلمية، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي. إننا هنا نستكمل الصورة «الطوعية» التي يختارها المواطن الفرد معبرا عن توجهه الفكري وتعلقه الوجداني، بعيدا أو مستقلا

عن التوجيه الرسمي، والخطط والبرامج، إنه هنا أكثر تعبيرا عن ذاته-كما رأينا في مواقف الشعراء-وهذا يؤكد من وجه أن الخطط والتوجهات «الرسمية» التي تجسدت في مطبوعات تصدر عن الكويت، وأسابيع ثقافية تقيمها الكويت، ومؤسسات علمية تقيمها وتمولها الكويت، إنما هي في صميمها تصدر عن إيمان قومي

يرتضيه المواطن العادي وتسخو نفسه بما تبذل الدولة في سبيله من أموال، من وجه آخر يدل على تناغم الجهود الرسمية والشعبية، فإذا اختلفت وسائل التعبير، فإن الهدف واحد. وعلى سبيل المثال نذكر جائزة الشيخ عبد الله المبارك الصباح للإبداع العلمي، وجائزة الدكتورة سعاد الصباح للإبداع الفني، وجائزة الرابطين الأدبية، التي ترصد لها آلاف الدنانير، ويعلن عنها سنويا على مدى الوطن العربي. إنها تكمل ما تقوم به «الدولة» من تقديم، جائزة الكويت للتقدم العلمي، السنوية في مجالات العلوم، والطب والأدب، والتراث الخ. وجائزة معرض الكتاب السنوي في الكويت، لأحسن كتاب كويتي، وأحسن كتاب عربي، في علوم مختلفة أيضا، وهى مواكبة لمعرض الكتاب، الذي يقام سنويا في شهري نوفمبر وديسمبر، وهو مهرجان ثقافي شامل.

أولا: المسرح

وكيف يكون المسرح عاملا من عوامل التنمية الثقافية في الكويت، وفى الوطن العربي عامة ؟ قد يكون الجانب الإعلامي الذي يستخلص من المسرحية مفيدا في هذا الجانب، كما أن التقارب اللهجي-أو اللغوي-من خلال شيوع العروض المسرحية وانتقالها في داخل القطر الواحد وبين الأقطار العربية إحدى علامات أو منشطات التوحد الروحي والتفاهم المشترك. هناك أمور أخرى سنعرض لها بشيء من التفصيل، لكننا قبل أن نحددها ننقل عن عبد الكريم برشيد قوله: «المسرح هو الحضور، فوسائل الإعلام تخبرك بما جرى على اعتبار أنك غائب عما جرى، ولكن المسرح يدعوك لأن تكون شاهدا على الفعل وأن تكون فاعلا في الأحداث ومنفعلا بها. المسرح هو الوجه الثاني للديمقراطية، لأنهما معا يقومان على الحضور والحوار والمشاركة والتجمع، وعلى التعبير الجماعي والتلقائي. وبهذا يمكن

القول: إن مستقبل المسرح-في الوطن العربي-مرتبط بمستقبل الديمقراطية فيه[1]»

هل تعطينا عبارة «المسرح هو الوجه الثاني للديمقراطية» تعليلا مقنعا، كافيا، لازدهار الحركة المسرحية في الكويت، تلك الحركة التي لا يتجاوز عمرها-بعد البدايات الساذجة الحائرة-ثلاثين عاما، ومع هذا استطاعت أن تؤكد شخصيتها، وفاعليتها، ليس من خلال الاحتشاد الخاص للفوز في المهرجانات المسرحية العربية (وقد فازت الكويت بالمكان الأول في مهرجان دمشق المسرحي عن عرضها لمسرحية الفريد فرج: «على جناح التبريزى وتابعه قفه»، (1976) كما فازت مسرحية «رحلة حنظلة» لسعد الله ونوس، التي قدمها المسرح العربي

(الكويت)بالجائزة الأولى للإبداع المسرحي في مهرجان بغداد 1985 وقد أخرج المسرحية الأولى صقر الرشود، وأخرج الثانية فؤاد الشطى) إننا لا نعنى هذا فالفورة غير الاستمرار، وغناء عصفور واحد، أو عصفورين لا يعنى وصول الربيع ! إنما نقصد هذا الكم الواضح من الفرق المسرحية[2]. ومهما يكن من أمر فإننا نحدد مجالات عمل المسرح في الكويت، ضمن إطار التنمية الثقافية العربية، بأربعة أمور نرى أنها مؤثرة في تنمية المجتمع الكويتي، ومقاربة بينه وبين المجتمع العربي الشامل، وعاملة على تقوية الأواصر الثقافية والاجتماعية بين الجزء والكل، وموصلة لرسالة التنوير والتقارب إلى الموانع العربية المتباعدة، عاملة على تقريبها. ويتحقق هذا بأربعة أمور كما قدمنا:

1- الطرح الجاد للقضايا الاجتماعية (التي تتوغل إلى صميم المجتمع الكويتي) بقصد تغييره إلى الأحسن، وتوسيع دائرة اهتمامه، بتحطيم دوائر عزلته وكشف سلبياته، بما يطعمن من احتمال تعاليه لأسباب نفسية أو مادية.

2- التوجه القومي حين تطرح القضايا المشتركة (السياسية أو الاجتماعية) كموضوع مسرحي، ولا يعنى هذا أن يكون موضوع المسرحية من يرى بين بلدين أو أكثر مثلا، أو أن يكون موضوعا سياسيا صراحة، إنه قد-يكون اجتماعيا من صميم البيئة، ومع هذا يبقى للتوجه القومي دور في تأصيل فهم المشكلة أو حلها.

3- العرض المسرحي في الكويت، وهل أفاد من القدرات العربية المقيمة في، الكويت، أم أنه اعتبرها خارج دائرة العمل ؟ إن هذه القضية قد تتوافق طردا، أو عكسا، مع الجمهور المتخيل لمشاهدة المسرحية. الاحتمالان واردان، وواقع الحركة المسرحية في الكويت، وقوائم العاملين في العروض المسرحية، يملى الإجابة الصحيحة.

4- حين احتاجت مسارح الكويت إلى نصوص مؤلفة خارج الكويت، بالتحديد نصوص عربية، إلى من توجهت من المؤلفين ؟ وماذا اختارت من موضوعاتهم ؟ وبأي مستوى عرضت تلك الموضوعات ؟ هذه في رأينا المقاييس الأربعة، التي على ضوء واقعها، نضع الحركة المسرحية في الكويت، كعامل من عوامل التنمية الثقافية العربية أو نحكم بنفيها خارج تلك الدائرة المتفاعلة!!

ا- بالنسبة للقضية أم لأولى: الطرح الجاد للقضايا الاجتماعية، نوضح أننا لا نعنى بالطرح الجاد التجهم، أو العبارات الحادة، أو الشخصيات المتشنجة، وإنما نعنى أن تضع المسرحية أصابعنا على موضوع حقيقي، ومؤثر، جذري في تنبيه الأذهان إلى مشكلة وأن يكون البناء المسرحي موجها للمشاهد أن يفكر في الموضوع، وأن يعدل من أفكاره أو سلوكه تجاهه، دون أن تعنى هذه الدعوة أن ندفع به إلى دائرة النكد، أو الحزن، أو حتى التجهم ودون أن يكون الطرح ضاحكا، مسطحا، لا يخلف في النفس غير الضحك، بل يدفع بالعقول إلى مزيد من الكسل، من خلال شعور خادع بالرضا عن النفس، وأنه ليس في الإمكان «أظرف» مما كان ! ولعل هذا هو الطابع الغالب (السائد) في المسرح العربي بوجه عام. يقول عبد الرحمن بن زايدن «عندما نرجع إلى واقع المسرح العربي، لنحدد المضامين الفكرية، والقضايا المطروحة في دلالته، فالضرورة تفرض علينا تعرية جانب سلبي بدأ يفرض نفسه، ويعمق وجوده في مسار العملية الإنتاجية، وهو الترف الفكري الثقافي، الذي يبقى العقول في حالة من حالات الكسل الممتع، حيت يصبح مجرد التفكير إجهادا لا معنى له، هذا الجانب السلبي تمثل في الطابع الهزلي الرخيص، الذي أفرغ جوهر المسرح من كل مضمون طموح إلى تأسيس مسرح عربي، بل وهمش كل الصراعات التي تعمق البحث، وتنقب عن النظرية المحددة لعلاقة هذا الفن بالأصعدة النفسية

والاجتماعية والفكرية للإنسان العربي. إن هذا الوجه الذي طغى على المسرح العربي نتيجة الدعم والسند الذي يلقاه من طرف الأيديولوجية المهيمنة، وعلم الجمال البرجوازي المستورد، جعله يعادى ممارسة الفن الواقعي، ويثبط من قوة النضال الهادف إلى تطوير الإبداع الفني في الطريق الواقعي، وينفى الأهمية الاجتماعية للمسرح الهزلي على أنه-في الفن- انعكاس للهزلي في الحياة»[3] لقد أطلنا الاقتباس من بن زيدان لنصل ! هذه النقطة الفارقة: هل الهزل في الفن انعكاس للهزلي في الحياة ؟ أم هو إحدى الطرق في التعبير عن قضايا جادة لا يمكن طرحها إلا بهذه الصورة، أو على الأقل: هذه إحدى وسائل طرحها، وهى وسيلة تشف عن مقدار الجدية فيها ؟ ونعود إلى واقع الحركة المسرحية في الكويت وأسلوب طرحها للقضايا الاجتماعية التي تهم التكوين السكاني الكويتي. سنجد الجدية، بل الجدية القاسية ماثلة في كثير من المسرحيات، بدرجة استدعت أن يطلق بعض نقاد الصحافة على فرقة مسرح الخليج العربي اسم: «مسرح المعقدين»، مع هذا سنجد الهزل الذي يشف عن الجدية ماثلا منذ البدايات، وحتى في مرحلة «الارتجال» وقبل أن تعرف الكويت «النص المسرحي». لقد كان توقع الشر من النفط الذي دخل حياة الناس، بل اقتحمها، واكتسح الثوابت وعوامل الاستقرار سائدا في تلك المسرحيات المبكرة، لقد صورت مسرحية «حرامي آخر طرز» كيف أن العناية بتوفير وتأمين المياه أهم من توفير النفط[4]. وفى مرحلة الارتجال أيضا، المبكرة جدا، عرضت مسرحية «قرعة وصلبوخ في باريس» والقرعة هي القرعاء، والصلبوخ هو القار، وقد استخدما اسمين لشخصين، وقد عرضت المسرحية عام 1956 وأثارت الرأي العام، وهى تصور سفه الأثرياء الجدد، وما يحيطون به أنفسهم من ترف يناقض واقعهم، كما عرض عمد النشمي-الذي قاد العمل في المسرحيتين السابقتين، مسرحيات أخرى تواجه تعقيدات الجهاز الوظيفي الذي بدأ يتغلغل في بيئة بعيدة عن التعقيد، من اليسير أن تحصل فيم كما على الثقة. لقد استدعت الطفرة الاقتصادية وانعكاساتها الاجتماعية كثيرا من الموضوعات على مستويات مختلفة-فالكوميديا الهزلية القريبة من الارتجال نجدها في مسرحية «إشراقكم يا جماعة[5]» التي كتبها حسين الصاع الحداد، وعرضت عام 1969 وكانت تطرح السؤال الحائر. هل كان من الخير للكويت أن تتجنب

السبت ١٧ سبتمبر ـ ١٩٨٨ ـ العدد ٤٨٧٦

وطن للكلمات

موال حب .. الى مسرح المعقدين! (١)

مسرح المعقدين، يحتفل بالذكرى الخامسة والعشرين لولادته خلال شهر اكتوبر القادم .. وهي مناسبة لا يمكن ان ندعها تمر دون كلمة تليق بالنشاط المسرحي لهذه الفرقة التي خبرها المشاهدون بعطائها الجاد، طوال الخمس عشرة سنة الاولى من عمرها.

و[illegible] ايمانا منها بالدور الايجابي الذي اضطلعت به فرقة مسرح المعقدين، ان تكتفي بهذه الكلمات بل ستكرس ملفا لمسيرة المسرح .. ومرد ذلك هو حرص [illegible] على ان يعود لهذه الفرقة دورها الايجابي .. ونشاطها الاخضر الواعد الذي يذكرنا به.

وتنتهز [illegible] هذه المناسبة لتتمنى للفرقة العمر الفني المديد العامر بالعطاء والابداع اللذين خبرهما جمهور المسرح ابان حياة الفنان المسرحي صقر الرشود، رحمه الله .. وايام حضور توأمه الفني الكاتب المسرحي عبدالعزيز السريع .. فضلا عن مشاركة المبدعين العرب امثال الكاتب المسرحي التلفزيوني الاستاذ محفوظ عبدالرحمن والمؤرخ والناقد المسرحي د. محمد حسن عبدالله .. وغيرهما من مريدي مسرح المعقدين!

● مسرح المعقدين، هو الاسم الحركي لمسرح الخليج الذي كان يحمله ابان سني حياته الاولى! وقد سمي كذلك من قبل فئة رأت في توجهه واختياره تعاليا على الجمهور الذي خبر المسرح على انه ساحة فرجة طافحة بالضحك والتسرية فقط لا غير! وكان ظن من اطلق تسمية مسرح المعقدين، انها ستكون بمثابة تهمة وسبة تشين مسيرة الفرقة وتقطع سبيلها .. لكن الذي حدث بعد قيام مسرح الخليج وتواتر اعماله المسرحية الجيدة والجادة هو ان التسمية المذكورة اصبحت علامة مسجلة على التوجه الجاد للفرقة .. ودلالة على اختيارها السباحة ضد تيار مغازلة مزاج جمهور المشاهدين ودغدغة غريزة الضحك عنده تأسيا بالشعار المنادي: الجمهور عاوز كده.

● فبينما كانت جل الفرق المسرحية تعزف على وتر شعار الجمهور عاوز كده، بتوجهات مختلفة تتنافس على كسب الجمهور وجذبه بالنكات اللفظية والمفارقات اللغوية والحركات الجسدية البهلوانية .. الخ. بينما كان حال العروض المسرحية كذلك .. فان مسرح الخليج العربي اختار ان يجسد هموم الوطن وقضايا الامة .. فضلا عن هموم الانسان!

زد على ذلك ان نقلة المسرح في الكويت من المسرح المرتجل الى مسرح النص المكتوب قد تم عبر مسرحية «تقاليد» التي كتبها الفنان صقر الرشود، احد اعمدة مسرح الخليج والذي تأسس بعد كتابته لهذه المسرحية بكم سنة قليلة .. ولا ننسى ان اول مسرحية كويتية صيغت وفق المعايير الفنية والموضوعية للدراما كانت من ابداع الكاتب المسرحي الفنان عبدالعزيز السريع حسب شهادة الناقد والمؤرخ المسرحي الدكتور محمد حسن عبدالله.

● سليمان الفهد

وثيقة (13)

الطفرة الحضارية وتأخذ بأسلوب التدرج البطيء؟

هذه بمثابة ارهاصات مهدت لظهور مؤلفي المسرح الذين أخذوا أماكنهم في الديوان العام للحركة المسرحية العربية، عبر السيطرة على أصول الحرفة، وجدية القضايا التي يتم تشريح المجتمع من خلالها. نذكر هنا سعد الفرج، وصقر الرشود وعبد العزيز السريع، وخالد رمضان، وحسن يعقوب العلي، ومهدى الصايغ، وسليمان الحزامي. لقد انتصر سعد الفرج لحتمية التطور وأيأس الجامدين من إمكان تجميد حركة التقدم[6]، ولم يسكت الحفيد حتى ردد الجد وراءه «الأرض تدور رغم أنف جدك»، وفى» الكويت سنة 2000[7] طرحت مخاوف المستقبل بلا مواربة، فقد أسلم الناس أنفسهم للترف، وفقدوا القدرة على العمل، ثم جاء النذير عام2000) ليعلن نضوب النفط، فلم يكن أمام الجوع إلا العودة إلى البحر-)) القديم الذي نسوه، فنسيهم-ومن ثم كان الفشل والغرق هو المصير ! كوميديا سوداء مبكرة (1966) حاولت حفز الهمم والأفكار إلى تصور بديل لمجتمع الاستهلاك. سيتوفر الصديقان الزميلان صقر الرشود وعبد العزيز السريع-من خلال العمل في فرقة الخليج العربي-على تقديم دراما الأسرة الكويتية، وهى تعانى الطفرة الاقتصادية، فتوقظ الشهوات وتطلقها من عقالها[8]، وهى تعانى الغربة الروحية[9]، والغربة الثقافية[10] وتحاول إجتيار فاصل الطبقية، والاستعلاء العرقي[11].. الخ، ويمكن أن نطلق تعميما واحدا في هذا المجال، فنقول إن المسرح في الكويت، في صميمه اجتماعي، يعنى بالأسرة، أو ما تعانيه الأسرة نتيجة المرحلة الانتقالية من مجتمع «العائلة الكبيرة»-أو الحمولة-إلى الأسرة الصغيرة التي تستهدف لتقلبات شتى، وتجتاز صراعات ما بين الأجيال. قد يبدو هذا بشكل مباشر-كما في مسرحية «الدرجة الرابعة» لعبد العزيز السريع (1972) أو تتزي في سياق آخر، كما في «ضحية بيت العز» لسعد الفرج وعبد الحسين عبد الرضا (1975) وفى مسرحية «للصبر حدود» لخالد عبد اللطيف رمضان وقد يقترن الصراعان: صراع الأجيال وصراع الطبقات في سياق واحد، كما في «تنزيلات» لمهدى الصايغ (1981).

2- ومع صحة القول بأن التأليف المسرحي في الكويت يركز اهتمامه على قضايا الأسرة، يشرح من خلالها مركبات المجتمع وتطلعاته س تفاعلاته،

فإن الأمر لا ينحصر في هذا المدى. لقد انحصرت العينة المنتقاة (لزمن ليس بالقصير) في الأسرة الكويتية، فكانت بذلك معبرة عن مجتمع الكويتيين، وليس المجتمع في الكويت، ولكنها حين وسعت من دائرة رؤيتها، صححت الكثير من جوانب الرؤية، واتفق مدى العينة مع المدى الواقعي لحركة المجتمع[12] واقترن هذا بيقظة الحس النقدي لدى المؤلف الكويتي، فمن خلال السبيكة المشتركة في المجتمع الكويتي من كويتيين، وعرب غير كويتيين، ستكون مفاهيم الصواب والخطأ، واقتسام الفعل ورد الفعل والعجز عن الفعل مشتركا بين الجميع. في مسرحية «بم» كان الانحياز إلى القديم واضحا لدى الكاتبين وقد يتضمن الانحياز لقيم مجتمع ما قبل النفط دعوة ضمنية للانغلاق أو استقاء بالنفس. أما «بحمدون المحطة» فقد تساقط الجزء الكويتي المتفاعل مع أوروبا محطما في حين تمتع بالعافية والتجذر الجانب المتفاعل مع الامتداد العربي المناظر. وفى مسرحية «شياطين ليلة الجمعة» قال رئيس تحرير الصحيفة (الكويتي) لمحرر من مرؤوسيه، ساخرا من قدرته المحدودة: «أنت ! ما كان يمكن أن تكون صحفيا في غير الكويت»، فرد عليه المحرر (غير الكويتي) ثائرا لنفسه: «-أنت، ما كان يمكن أن تكون رئيس تحرير إلا في الكويت[13]، وظهرت «الزوجة الثانية» غير الكويتية على المسرح، لتأخذ حقها كاملا، ويتعلق بها-ولو إلى حين-أبناء ضرتها[14]، وتحلى بإعجاب الجمهور ولو إلى قبيل النهاية. وفى مسرحية «الواوي[15] ظهر صاحب البناية، الرأسمالي المستغل، يفرض الأجور العالية على العمال الكادحين، لا يفرق بين كويتي وغير كويتي، كما يتزوج العجوز الكويتي المتصابي فتاة (غير كويتية). في عمر أبنائه أو أقل، فيحطم قلبها، ويفقد عقله، وتظل نموذجا للطهارة، وفى «ضحية بيت العز» يذهب الفتى المراهق (غير الكويتي) ضحية التسرع والعنجهية من الرأسمالي، الذي يقع اختياره على أحد تابعيه من الكويتيين ليحمله تبعة جريمته. وأذكر أن تدريبات مسرحية «شياطين ليلة الجمعة» كانت تجرى، حين فاجأتنا حرب أكتوبر، والمسرحية من سبع لوحات انتقادية، قاسية في نقدها لسلبيات المجتمع الكويتي، ولكن العبور، وتحسن الموقف العربي أنعش الآمال، وارتفعت شعارات أن يدخل النفط المعركة بان يستخدم كعامل ضغط في توجيه التصويت في هيئة الأهم، وفى تصدير السلاح. وقد أضاف عبد العزيز السريع نشيدا أخيرا

هو ختام المسرحية، يعقب له على مشاهد الانتقاد الحاد، بأن الحل هو في مزيد من الانتماء للكويت والانتماء للعروبة، والدفاع عن أهدافها، ولو كان الثمن أن يتوقف النفط، ويعود الكويتيون مرة أخرى إلى حياة البحر محتفظين بشيمتهم العربية[16].

وينفرد حسن يتقوى العلي بالتطلع إلى طرح القضايا العامة (القومية) في مسرحيتين، إحداهما من تأليفه، وهى مسرحية «الثالث»[17]، والأخرى إعادة صياغة لنص قديم كتبه أحمد الرجيب، وهى «خروف نيام.. نيام[18]»، «والثالث» تستمد حكايتها من «أبى الحسن المغفل» (إحدى حكايات ألف ليلة) فهل المؤلف هو «الثالث» الذي يستمد نفس الحكاية (بعد مارون النقاش وسعد الله ونوس الذي منحها رؤية جديدة في «الملك هو الملك») أو أن«الثالث» هو موقع «الحلم» بين النوم واليقظة، وبخاصة أن حكاية إلى الحسن تعرف ب «النائم اليقظان» ؟ مهما يكن من أمر فإنها تعرض لأخطار الحكم الشمولي وما تتذرع به من أن مجتمع «الأسرة الواحدة» فرقته الأهواء، وليس من حل إلا بالبحث عن دكتاتور عادل!!

وفى «خروف نيام.. نيام» يبرز كيف يمسخ الحاكم الفرد حقائق الأشياء، ويفقد شعبه الموضوعية، وصحة التصور، ويجعل من حاشيته لعبة لا تصل حتى للنفاق. ولحسن يعقوب العلي مسرحية رمزية عن فلسطين، اختار لها اسم «عشاق حبيبة[19]، وهى فتاة رائعة الحسن، ليس لها أخوة، وإنما أبناء عمومة، وحماتها الطبيعيون هم سبب بلائها، غير أن إنقاذها من المحنة يتم على يد ابن عم آخر، ظهر في الوقت المناسب! إن المسرحيات التي كتبت من أجل فلسطين قليلة جدا، ساهمت فلسطين نفسها بمسرحية واحدة، هي «ثورة الزنج» وساهمت سورية بأخرى، هي «الغرباء» و ساهمت مصر بمسرحيتين هما «وطني عكا» و «حبيبتي شامينا»[20] وفى هذا المجال تدخل الكويت بمسرحية «عشاق حبيبة»، وتعانى هذه المسرحية ما عانته سابقاتها جميعا حين تعرض لموضوع لا مجال فيه للاجتهاد الفكري، ولا للابتكار في الحل أو النهاية، ويسيطر «التوازن» على مخيلة الكاتب، فتتحول الرموز إلى نوع من «التنكر». ومهما يكن وضع هذه المسرحية من الوجهة الفنية، فإنها تظل علامة على توجه، ورمزا لعلاقة ولم يكن مؤلفها رفيقا في نقده، ولقد انتهت إلى مقولة إنه لن ينقذ «حبيبة» أدعياء عشقها ولا ضعاف العشق،

سينقذها العاشق الحقيقي الذي يملك الدافع العمة،، إنه الشعب الفلسطيني نفسه.

3- من الطبيعي أن المؤلف المسرحي الكويتي، حين يكتب مسرحية فإنه سيكتبها عن مجتمعة الخاص، لمشاهده الكويتي، وأنه-لكي يجسد هذا الوضع على خشبة المسرح ستكون شخوصة كويتية. هذه بدهيات. لكن التركيبة السكانية في الكويت انتهت إلى أن أصبح العرب (من غير الكويتيين) المقيمين يبلغون عدد أبناء البلد. لقد جاء هؤلاء ليعملوا في وظائف الدولة والمصانع، والحرف اليدوية، والتجارة، والتعليم. ولكن الإعلام-الشديد الحساسية، والفن المسرحي-المرتبط مباشرة بالتعبير عن المجتمع، والموجه مباشرة إلى جمهوره الخاص، هذان الحقلان، نادرا ما يسمح لغير «المواطن» بالتسرب إليهما، إما تحت ضغط الموهبة المتميزة، وتكون الاستعانة لأداء عمل محدد، في مرحلة معينة، وإما من خلال وحدة المعتقد السياسي، الذي يجعل فلسفة «الحزب، وعقيدته فوق كل اعتبار. لقد تدفق إلى الإعلام الكويتي، والمسرح في الكويت (ونقصر اهتمامنا عليه) آلاف من أبناء العرب، دون أن تكون لهم الموهبة التي لا تعوض، ودون أن يتم اختيارهم بعد إيديولوجيا، لقد التحقوا بالعمل بنفس الإمكانات والقدرات والفرص التي تكون للمواطن نفسه، في أي عرض تم على خشبة المسرح في الكويت، ستعكس الجهود الفنية ونوعية العاملين التكامل من خلال التنوع الذي نجده في المجتمع بشكل عام. حين تعرفت إلى فرقة مسرح الخليج العربي أواسط الستينات، كان من بين أعضائها ثلاثة، هم أشد العناصر إيجابية ومشاركة (إلى جانب قطبيها. الرشود والسريع) وعبد الرحمن الصاع (كاتب، وهو مؤلف أول فيلم كويتي) ومحبوب العبد الله (ناقد صحفي) ووليد أبو بكر (أديب ناقد) وأسندت إلى أسمهان توفيق بطولة اكثر من مسرحية[21]. إننا لا نبحث أو نتصيد حالات فردية، ونحن نعرف أن الكويت استقدمت «زكى طليمات» ليؤسس فيها حركة مسرحية على أسس علمية، وأن هذا الصنيع أغضب الذين كانوا في واجهة العمل، فاضطرهم قدوم طليمات إلى التراجع عن الصف الأول وكتب بعضهم مذكراته-فيما بعد-معبرا عن غضبه ونقده، وكما لم يجد من «يراعى خاطره» عند قدوم طليمات، فيسند إليه عملا أو منصبا يسكته، فكذلك وجد من يرد على مذكراته غير المنصفة، وينتصف

لطليمات بعد رحيله عن الكويت بل بعد رحيله عن الدنيا [22]! لقد استبقى الكويتيون من خصال البادية ومن مآثر الأخلاق التاريخية المتوارثة للعرب، استبقوا القدرة على الإنصاف والانتصاف، ولو من النفس، بل من النفس أولا. أما وقد كبر طليمات ولم يعد قادرا على إدارة العمل المضني، فقد أخذ سعيد خطاب مكانه، وكان من قبل رئيسا لأكاديمية الفنون في القاهرة. وقد ضمت هيئة التدريس بالمعهد العالي للفنون المسرحية (الكويتي) أساتذة من العراق، وفلسطين، وتونس، وسورية، ومصر، والمغرب، والسودان !! إلى جانب أبناء الكويت. وفى مرحلة من تاريخ هذا المعهد كان به من كبار الخرجين. سعد أردش، وكرم وأحمد عبد الحليم، وكمال ياسين، والمنصف السويسي! فتأمل كيف جمع أكبر المواهب فتدفقت بالعطاء على الحركة المسرحية في الكويت إن هذا يذكرنا بمرحلة من تاريخ جامعة الكويت، حين استقطبت في قسم واحد من كلية الآداب «الأربعة الكبار» في الفلسفة الحديثة من العرب:

زكى نجيب محمود، ومحمد عبد الهادي أبو ريده، وتوفيق الطويل، وعبد الرحمن بدوي، ومن بعدهم جاء فؤاد زكريا، فكأنما جمعت الفلسفة العربية كاملة في بناء واحد. لقد تكرر هذا في مواقع مختلفة من الخليج، وفى الكويت بصفة خاصة، وكانت له آثار إيجابية على الكويت بالطبع، وعلى نشاط هؤلاء الأعلام العلمي أيضا وقد تألم شاعر كويتي (الدكتور عبد الله العتبى) للنظرة الجافية التي تلاحق بنجاح العاملين العرب في الخليج، وهى عكس الطريقة التي ينظر بها إليهم إذا حققوا هذا النجاح في الغرب:

إذا عالم أمس بأرض غريبة
فهذا انتصار للعروبة في الغرب
وإن سار من أرض لأخرى شقيقة
يقال: بلاد النفط أغرته بالكسب!

ونعود إلى ما نهتم به من أمر المسرح، فنعرف أن هؤلاء الخمسة المعدودين في مجال الإخراج المسرحي لم يكونوا مجرد «أساتذة» في المعهد، يعلمون عددا قليلا من طلاب الخليج، أو العرب عامة، وإنما تولوا إخراج عدد من العروض ليس بالقليل، يعتبر-إلى الآن-من العلامات البارزة. فأخرج المنصف

السويسي مسرحية «انسوا يا ناس» معربة عن جريجورى جورين[23]، وأخرج كرم مطاوع «الأشجار تموت واقفة» معربة، ثم «مكونة»-أعدها باللهجة الكويتية حسين الحداد، وأطلق عليها اسم «السدرة»-وهى من تأليف اليخاندرو كاسونا[24]. كما أخرج سعد أردلق مسرحية «رسائل قاضى أشبيلية» لألفريد فرج[25]. وأخرج أحمد عبد الحليم المسرحيات: «أربعة واحد»-عن مسرحية إنهم يقتلون الحمير تأليف لينين الرملي، و «رأس المملوك» لسعد الله ونوس، و «المتنبي يجد وظيفة» لعبد السميع عبد لله[26]...الخ. ينبغي أن نراقب: كيف أفادت البيئة المسرحية من وجود هؤلاء الأعلام في فنهم، و لم تعزلهم أعمالهم «الرسمية» وإنما أتيحت لهم فرص التفاعل، ونراقب أيضا كيف كان هذا التعاون طريقا إلى الارتفاع بمستوى النصوص المختارة، لغة، وفكرا، ومحتوى، وأنها لم تكن محصورة في ما يطلق عليه «قضايا المجتمع»، وإن لم تكن تجافيها، لكنها ترتفع بمستوى الصياغة، وترشح الرمز، ومن ثم تقارب القضية الإنسانية، أو تصبح في صميمها، ونشاهد في «رسائل قاضى اشبيلية»، و «الأشجار تموت واقفة».

في عام 1983 أصدر مسرح الخليج العربي ثبتا ضخما، بمناسبة مرور عقدين على تأسيسه (1963-1983)، وفى عام 1986أصدر المسرح العربي ثبتا خاصا به بمناسبة يوبيله الفضي أو «مسيرة ربع قرن». في هذين الكتابين الضخمين تعريف بالعناصر المشاركة في كل عرض قامت به الفرقة، داخل الكويت وخارجها، ودون أن ينص على جنسية هؤلاء المشاركين، فأننا سنجد دلائل وحدة العمل، وراء وحدة العاملين، مع أنهم من أقطار مختلفة، جمع بينهم حب المسرح، وأن يبقى مسرحا عربيا.

4- ونصل إلى المقياس الرابع-الأخير-في سبر درجة التفاعل بين الحركة المسرحية في الكويت، والحركة الشاملة للمسرح العربي، في وجه واحد من أوجهه، وهو انتخاب المخرج الكويتي لنص عربي مؤلف خارج الكويت: إلى من كان يتجه، وماذا كان ينتخب من مسرحياتهم ؟

أ- المسرح العربي: اختار المسرحيات آلاتية:

لمحمود تيمور: صقر قريش (1962) ابن جلا (1963) المنقذة (1963)

لتوفيق الحكيم: فاتها القطار (1963) عمارة المعلم كندوز (1963) الكنز (1964) سلطان للبيع[27] (1976).

لعل أحمد باكثير. مضحك الخليفة (1963).
لفتوح نشاطي: آدم وحواء (1964).
لأنور عبد الملك: 30 يوم حب (1973).
لسمير سرحان: إمبراطور يبحث عن وظيفة[28] (1974).
لأحمد عتمان. الدينار (1983).
لسعد الله ونوس: رحلة حنظلة 1985.
ب- واختار المسرح الشعبي من مسرحيات:
لينين الرملى. أربعة واحد[29] 1975.
سعد الله ونوس: رأس المملوك[30] 1977.
عبد السميع عبد الله: المتنبي يجد وظيفة (1979)
محمد الماغوط: المهرج (1980).
جـ- أما مسرح الخليج العربي فكان أقل الفرق استعانة بالمؤلف العربي خارج الكويت، وقد اختار:
لمحفوظ عبد الرحمن: حفلة على الخازوق (1976)، عريس لبنت السلطان (1978)
لألفريد فرج: الحلاق (1983).
د- واختار المسرح الكويتي من مسرحيات:
عبد الله بركات. ناطور الدنانير (1967) لما حصل لي بطلت أصلى (1968).
الفريد فرج: رسائل قاضى اشبيلية (1968).
نبيل بدران: جحا باع حماره (1980).
ونضيف إلى ما سبق: مسرحية «على جناح التبريزى» التي مثلتها فرقة مشتركة من الفرق، وأخرجها صقر الرشود (1976).
وكانت خير عروض مهرجان دمشق في ذلك العام، وشهد الفريد فرج أن العرض الكويتي لمسرحيته أرتفع إلى مستوى الخلق والإبداع، وأنه خير صيغة لعرضها[31]، ونضيف أيضا مسرحيات أختارها القطاع الخاص مثل: باي باي لندن، التي حظيت بشهرة واسعة، وهى من تأليف نبيل بدران، ومسرحية باي باي عرب، لنبيل بدران أيضا. كما مثل المسرح الجامعي: الفيل يا ملك الزمان[32] (1984).



وثيقة (14)

هذا فضلا عما ألفه السيد حافظ لمسرح الطفل: الشاطر حسن، وسندريلا، وسندس، ومحاكمة على بابا. كما ألف محفوظ عبد الرحمن مسرحية واحدة للطفل بعنوان: السندباد البحري.

بعد هذه العملية التي توشك أن تكون إحصاء دقيقا للعلاقة بين المخرج المسرحي الكويتي، والمؤلف المسرحي العربي (غير الكويتي) نجد أن دائرة التفاعل التي تبدأ من اختيار المخرج للنص اختارت من المؤلفين من تحقق في مسرحياتهم المضمون الإنساني والقومي، والنظرة التقدمية والبناء أتفنى المتقن. يمكننا أن نتجاوز الاختيارات المبكرة من تيمور والحكيم وباكثير (وقد قام بها طليمات لأسباب تعليمية تدريبية تتعلق بمرحلته، فضلا عن طبيعة المرحلة سياسيا) إن إبداعات سعد الله ونوس ألفريد فرج، ومحفوظ عبد الرحمن، تدخل في صميم الرسالة الثقافية للكويت، هي دعوات (فنية) صريحة إلى التغيير في سبيل التقدم، إلى تحطيم الخوف ورفض العبودية، إلى بناء المجتمع على قيم الأصالة ومسئولية الضمير، ويدخل في هذا أيضا ما أخذ من أعمال سمير سرحان، ونبيل بدران، والماغوط، ولينين الرملي وعبد السميع عبد الله. كانت هناك اختيارات غير هذه بالطبع، وليس لها هذا التوجه، استمد فيها مسرح الريحاني حينا، وقصص بعض الأفلام القديمة حينا آخر، وهى ليست الموجة الغالبة، وهى أيضا حكايات للترفيه والإضحاك، وهى لا تحمل مضمونا معاكسا أو ناقضا لرسالة الكويت الثقافية، وهذه هي المسألة الجوهرية التي نعنى بها في إطار التنمية الثقافية على المستوى القومي الشامل. وقد تآزرت أسماء هؤلاء المبدعين العرب مع أسماء من اختير لهم من عمد المسرح العالي: إبسن، وهنري بيك، وكاسونا، وموليير، ليتأكد هذا المنحى النقدي التقدمي في حركة المسرح في الكويت. وحين ارتضى المخرج الكويتي باقتسام العرض مع مؤلف غير كويتي، وإنما ينتمي إلى قطر عربي آخر، فإنه كان في هذه القسمة يمد جسرا من التفاعل، والتفاهم، وتوحيد المشاعر ما بين قطرين من خلال تعدد الرؤى للنص الواحد، وخلق مناخ فكرى واحد، ودوقي متقارب بين المشاهدين العرب في أقطار متعددة، وهذا بدوره من صميم التنمية الثقافية العربية، وأحد أهدافها المستقرة، ولسنا نقول بأن هذا التوجه خاص بالكويت، إننا نعطيه معناه ونكشف عن قيمته وأهميته، وإن كنا نرى-من خلال الرصد

والإحصاء-أنه كان اختر نشاطا، وعافية في الكويت. عن أي قطر عربي آخر.

ثانيا: حركة التأليف

لا تستطيع هذه الأسطر المحدودة، المخصصة لرصد حركة التأليف-أن تتابع النشاط الفكري في كافة اتجاهاته ومراحله، فمثل هذا العمل يحتاج إلى فهرسة وتبويب وتقص شامل-يحتاج إلى فريق من المختصين المؤهلين لأدائه. ونحن في هذه الدراسة-على أية حال، نكتفي بإقامة المؤشرات الدالة، والتنبيه إلى الملاح الأساسية، ولهذا يمكن أن نكتفي برصد جهود مؤسسة واحدة، هي جامعة الكويت، في مرحلة محددة من تاريخ تطورها، هي السنوات العشر الأولى، ونرى ماذا أختار أعضاء هيئة التدريس بها من موضوعات للحصول على درجاتهم الجامعية العالية، وماذا ألفوا بعد انتظامهم في العمل بالجامعة. وهذا الاختيار للجامعة، وللسنوات العشر الأولى، فيه قدر من المصادفة وقدر من التدبير، فقد تصادف أن أصدرت إدارة المعلومات بالجامعة سجلا شاملا يعرف بالأستاذ الجامعي الكويتي[33]، وقد أعاننا هذا السجل لاشك بالإضافة إلى ما يتصل بالمعرفة الشخصية من كتب ومعلومات. على أن لهذه السنوات العشر الأولى أهمية خاصة، في اختبار المبدأ الذي نريد استخلاصه من حركة التأليف بين باحثي جامعة الكويت، فالمبدأ المقرر أن أية جامعة إنما تنشأ لتؤدى خدمة علمية وثقافية لقطرها بحدوده السياسية، ولم نعرف أن جامعة أنشئت لتخدم منطقة تتجاوز تلك الحدود، إلا لأهداف سياسية أو اقتصادية، وهى عادة لا تكون الجامعة الأولى أو الوحيدة داخل القطر. وإذا، فليس محلا للسؤال أن نقول إن جامعة الكويت-وهذا منطقي وطبيعي تماما-إنما أنشئت لتلبى حاجات الكويت أولا، وقصدا. وقد كانت الكويت بلدا «مسكوتا عنه» في مجال الدراسات العلمية والأدبية، لا نجد-حتى افتتاح الجامعة-دراسة علمية ذات منهج توثيقي واصطلاحات معتمدة عن تاريخ الكويت، أو جغرافيتها، أو قوانينها، أو سياستها، أو نظامها الاجتماعي، أو اقتصادها، أو مياهها أو أمراضها.. الخ.. الخ، وهذا يعنى-من وجه آخر، وفى هذه السنوات العشر الأولى بصفة خاصة-أن جميع الأبواب مشرعة، وجميع القنوات عطشى

إلى الماء، وأن أي موضوع يختاره الباحث للماجستير أو الدكتوراه ويتعلق بالكويت، سيكون بلده في حاجة إليه، وسيكون موضع قبول، بل ترحيب، بل قد يعتبر تزكية خاصة في المشاركة العامة على مستوى الدولة، وقيادة سعيها إلى التكوين. إن البحث «في» الكويت مطلب أساسي في تلك المرحلة، وفيه ما يستغرق كل تطلعات الجيل الجامعي الأول إلى الاكتشاف والبحث وتعميق النظر وتصحيح المسار. وإذا أردنا أن نرتب الأوليات في دوائر فان حاجات الكويت ومطالبها تأخذ بالنسبة للباحث الكويتي، في جامعة الكويت، موقع مركز الدائرة، عنها دائرة الخليج التي تتسع قليلا لتضم إليها الجزيرة العربية، ثم تأتى دائرة الوطن العربي في النهاية، أو باتساع خريطته الشاملة.

هذه أوليات لا تثير شكا ولا جدلا، ويمكن اختبارها على ضوء أية جامعة واتجاه البحوث فيها، سواء كانت تلك الجامعة تقع في وهران، أو في البصرة، أو في الإسكندرية، أو في صنعاء وسواء كان مجال الدراسة علميا، أو أدبيا.. في هذه السنوات العشر الأولى سنجد الاستجابة لمطالب الكويت واضحة، في كافة المجالات: الاجتماع، والأدب، والتربية، والقانون، و الخدمات، والاقتصاد، والصناعة، و العمالة، و الهجرة.. الخ. كما سنجد البحث العلمي المتحرر من المكان والمرتبط به في نفس الآن يؤدى دوره كالبحث في الخلية السرطانية[34]، أو العلاقة بين طفيلي البلهارسيا والخلايا الدفاعية في دم السائل الوسيط[35]، أو «طيف أشعة جاما لمستويات الطاقة في نواة معينة «أو» دراسة احتمالات تصادم ذرات الأرجوان بشعاع من الإلكترونات[37] الخ الخ، ونحن لا نستطيع استثناء مثل هذه الموضوعات المغرقة في العلمية، وفى الدقة، وفى الجزئية، من أن يكون لها انعكاس ثقافي على البيئة الخاصة، والبيئة العربية الشاملة كما لا نستثنى الاهتمام بالإقليم في تكوينه البشرى، فهذا التكوين جزء من الكل العربي، وتنمية المجتمع المحلى هو عائد بالضرورة إلى المجتمع الشامل، والكويت التي حملت أرضها من العرب الوافدين اكثر مما حملت من أبنائها، أحق بأن توصف الدراسات الخاصة بها، بأنها ذات مردود عربي شامل لهذه الصفة الخاصة بها، أو هي صادقة عليها اكثر مما تصدق على غيرها.

مع هذا فإننا نؤثر من مؤلفات هذا الرعيل الجامعي الأول ما اتخذ موضوعه من التراث، أو من قطر عربي آخر، أو قام منهجه على الموازنة

بين الكويت وقطر عربي آخر، باعتبار أن المردود يتصل مباشرة دون وسيط إلى المواطن العربي في «الموقع الآخر».

سنجد-أولا-أن التوجه إلى التراث العربي الإسلامي شامل، يضم الأدب إلى التاريخ وأصول التشريع والقانون والاقتصاد. بل إن التراث يختبر على ضوء احتياجات وخطط التنمية في المستقبل. وهذه أمثلة وإرشادات:

الدكتور عبد الله المهنا. الرثاء في الشعر العربي القديم، وتحقيق كتاب ارتياح الأكباد للسخاوى (جامعة كمبردج 1975).

الدكتورة سهام الفريح: ابن قلاقس الإسكندري: دراسة فنية وتحقيق ديوانه (جامعة القاهرة 1979).

الدكتور سليمان الشطي: شروح المعلقات (قديما وحديثا) (جامعة القاهرة 1978).

الدكتور زيد عبد الله الزيد: أسرة بنى المنجم وتاريخها الأدبي في العصر العباسي (جامعة مانشستر (1979)

الدكتورة منيرة الرشيد: أسرة أبى حفصة وشعراؤها (ما بين الأمويين والعباسيين) دراسة فنية (جامعة مانشستر 1980).

الدكتور يوسف الحشاش: دراسة وتحليل لكتاب الإحاطة في تاريخ غرناطة للسان الدين بن الخطيب (جامعة مدريد المركزية 1979).

الدكتورة حياة ناصر الحجى: عصر الناصر محمد بن قلاوون (الكلية الملكية-جامعة لندن 1975).

الدكتور عبدالله يوسف الغنيم: أشكال سطح الأرض في شبه الجزيرة العربية، كما وردت في المصادر العربية القديمة (جامعة القاهرة 1976).

الدكتور أحمد ضاعن السدان. العقود: دراسة مقارنة بين القوانين العربية، ومبادئ الإسلام (جامعة ديوك الأمريكية 1981).

الدكتور مبارك النوييت: الدعوى الجنائية (بحث مقارن بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي) (جامعة الأزهر 1973).

الدكتور خالد المذكور: ابن أبى زيد القيروانى وأثره في الفقه المالكي: دراسة مقارنة (جامعة الأزهر 1977).

الدكتور عجيل النشمى: الفصول في الأصول للجصاص: تحقيق ودراسة في أصول التشريع الإسلامي (جامعة الأزهر 1977).

الدكتور أحمد مبارك البغدادي: الفكر السياسي لأبى الحسن الماوردى (جامعة أد نبرة-اسكتلندية 1981).

الدكتور خالد محمد بدوي: تحديد وتوزيع الأرباح في المؤسسات التي تقوم على أساس المشاركة في الأرباح (البنوك والشركات الاستثمارية الإسلامية (جامعة ميسوري الأمريكية 1980.

الدكتور صادق إسماعيل: فلسفة إخوان الصفا التربوية الهجري (جامعة هارفرد 1974).

هذا ما يتعلق بمحور «التراث»(وقد تندعنا دون قصد بعض الأسماء وبعض الجهود) ويمكن أن نضيف إليه جهود الدين حصلوا على الدكتوراه في النحو، (هناك على الأقل الدكتور يوسف المطوع والدكتورة وسمية المنصور) لكننا نفضل أن نبقى في دائرة «حرية اختيار الموضوع» فدارس النحو ليس له مندوحة عن العودة إلى الماضي وليس كذلك الذين توجهوا إلى التراث الأدبي، والجغرافي، والتربوي، والتشريعي، وحتى النظام المحاسبي وإدارة الأعمال. هكذا قدمت هذه المؤسسة (جامعة الكويت) خمسة عشر دكتورا، اختاروا تراث أمتهم العربية الإسلامية طواعية، وأقرتهم النظم العلمية على الاختيار، وكان لهم هذا الإنجاز الذي يستحق التقدير. وقد تتشعب اهتمامات عضو هيئة التدريس، وهذا حقه بل جزء من طبيعة المعرفة المتجددة ولكننا سنجد الرغبة في تعميق الخبرة الخاصة مستمرة، عاما بعد عام، على سبيل المثال: يهتم عبد الله المهنا بفنون الشعر القديم، فيترجم دراسة مرجليوث-التي نعرف كم أثارت من الضجة حين ألف طه حسين كتابه عن الشعر الجاهلي).

وتستمر حياة الحجى في عنايتها بعصر المماليك، في مكوناته، وعلاقاته الخارجية، وكبار رجالاته. ويواصل عبد الله الغنيم عنايته بالتراث الجغرافي فيعرف ب: «مصادر البكري ومنهجه الجغرافي» ويستخلص «جغرافية مصر من كتاب الممالك والمسالك» ويضم خبرة إضافية للمشتغلين بالتراث (الجغرافي خاصة) حين يقدم ببليوجرافيا شاملة عن «المخطوطات الجغرافية في المتحف البريطاني». ثم نخلص إلى محور آخر ليست له عمومية التراث، كما أنه لا يقف عند حدود الإقليم (الكويت) إنه موضوعه محددا بقطر آخر، يجرى عليه دراسته، أو يقيمها على دراسة مقارنة بين

قطرين أحدهما) الكويت، أو قطرين أحدهما عربي والآخر غير عربي. وهذه أمثلة وإشارات:

الدكتورة رشا الصباح: صورة العرب في الأدب الإيطالي في العصور الوسطى (جامعة بيل الأمريكية 1977)

الدكتور طارق عبد الله: تأثير الأدب الإنجليزي (من خلال كولردج ووردورث) على الأدب العربي (من خلال عبد الرحمن شكري) (جامعة نيويورك 1977)

الدكتورة نجاة عبد القادر القناعي: العثمانيون والقسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية) (جامعة عين شمس بالقاهرة 1976)

الدكتور داود سليمان العيسى: النظريات المتعلقة بأعمال السيادة في القانون الفرنسي، وفى قوانين بعض الدول العربية (جامعة رين بفرنسا 1980)

الدكتور عادل الطبطبائى. النظام الاتحادي في الإمارات العربية (دراسة مقارنة) (جامعة عين شمس 1978)

الدكتور على ذياب المشوط: متداخل الحلقة، الطائف، المملكة العربية السعودية، (دراسة جيولوجية لمنطقة متداخل الحلقة) (جامعة وسكونسن الأمريكية)1977

وللدائرة الخليجية خاصة أمثلة وإشارات تمتد ما بين الماضي السحيق، إلى الراهن والمستقبل.

الدكتور سليمان سعدون البدر: دراسة تاريخية لمنطقة الخليج العربي والحضارات التي نمت على شواطئه أثناء الألف الرابع قبل الميلاد (جامعة الاسكندرية 1976)

الدكتورة نورية صالح الرومي: الحركة الشعرية الحالية في الخليج العربي (بين التقليد والتطور) (جامعة عين شمس بالقاهرة 1979)

الدكتور شملان يوسف القناعي: تأثير سياسة النفط والتسلح على علاقات الولايات المتحدة بدول الخليج (جامعة فلتشر الأمريكية)1978

الدكتور عبد المالك التميمي. التبشير في منطقة الخليج العربي (جامعة درهام-بريطانيا 1978)

الدكتورة بدرية العوضى: الجوانب القانونية لمنع تلويث البحار بالزيت،

مع الإشارة بصفة خاصة للخليج العربي (1975)

وتتسع الدائرة لتشمل الوطن العربي، أو الشرق الأوسط، أو نمط الدوامة النامية، بدءا بالكويت:

الدكتورة كافية جواد رمضان: تقويم قصص الأطفال في الكويت، مقارنة بقصص الأطفال في الوطن العربي، ومصر خاصة (جامعة عين شمس بالقاهرة1978)

الدكتور خلدون النقيب: تغير الأنماط في المجتمع في الشرق الأوسط (الكويت كنموذج) (جامعة تكساس-أوستن 1976)

الدكتور فيصل سالم العلى السالم: الأبعاد الإكولوجية لإدارة التطور في الدول النامية (جامعة تكساس 1973)

وبعد، فهذه «قائمة» أخرى من خمسة عشر دكتورا، درسوا خمسة عشر موضوعا إننا لم نرد أن يكون العدد مساويا تماما لأولئك الذين اتخذوا من التراث موضوعا، أو منطلقا للموازنة، أو المقارنة، أو الامتداد إلى المستقبل، ودليل ذلك أننا لم نضمن هذه «القائمة» اسم الدكتور محمد الرميحي، لمجرد أن السجل المشار إليه آنفا لم يحدد موضوع الدكتوراه، (التي نالها من جامعة درهام-بريطانيا 1973) ونحن نعرف نشاطه المتجه إلى الخليج في دراساته المتعددة[38]، ولكن هكذا أملى واقع الحال العلمي في بعثات جامعة الكويت، عبر السنوات العشر الأولى من مسيرتها الناجحة، وبالطبع هناك أضعاف هذا العدد لا نجد ضرورة الإشارة إلى تخصصاتهم (ذكرنا إحصاء لهم في فصل سابق) إذا اقتصرنا على من نرى أن لهم علاقة مباشرة بالتنمية الثقافية على مستوى العربي، وكانت تلك بداياتهم حين اتجهوا إلى الدراسة العليا، ولقد اختلفت بهم سبل تنويع المعرفة أحيانا، وتعمق في نفس الاتجاه أحيانا أخرى، كما نلاحظ في أبحاث محمد الرميحي، وفتوح الخترش، وبدرية البعوضي بصفة خاصة، كل في مجال تخصصه[39]. إن هذه الدراسات-على تنوعها-وقد نشرت في كتب، وترددت أفكارها في مؤتمرات وندوات على مساحة الوطن العربي، واستخدمت كمصادر في دراسات أخرى مستجدة أجريت خارج الكويت، لابد أن تحتسب ضمن عوامل التفاعل الفكري والبحثي، والتنمية الثقافية للوطن العربي. إن الباحث قد نال بها درجته العلمية، هذا مما لاشك فيه، ولكننا لا نملك تجريده من

نبالة القصد، ورحابة الفكر، وعروبة التوجه، وهو يؤثر اختيار هذا الموضوع بعينه، على موضوعات أخرى، كان يمكنه أن ينال بها الدرجة أيضا، ولعلها كانت أقل عناء وأسرع استجابة، غير أننا لا نملك إلا الشعور العميق بالتقدير، لباحث كان يفكر فينا جميعا وهو يروض موضوع أطروحته، ويكتشف منهجه، ويعانى في صياغته، واستخلاص نتائجه. إن هذا يعنى-في النهاية، من بين ما يعنيه-أن حب الكويتيين لوطنهم الكويت، الذي يبدو لغيرهم مبالغا فيه، أو متجاوزا، كان شعورا عميقا في القلب، وانتماء إيجابيا للحرص عليه، ولكنه لم يكن أبدا تحديدا لإقامة الولاء القومي، ولم يكن أبدا اعتقالا لحرية الفكر واتساع آفاق البحث العلمي.

ثالثا: بناء الإنسان

ونحن نشعر بما في هذا العنوان من عمومية، تجانب التجدد، ربما ساعد على هذا الإسراف في استخدام هذا التعبير في خطب السياسيين، دون أن يعنى شيئا محددا، أو أهدافا تسوق إليها خطط مدروسة. وقد كان في ضميرنا-وفى تصورنا المنهجي-أن تخصص هذه الفقرة لصحافة الكويت، باعتبارها وجها من أوجه التواصل القومي، وعلامة على «اختيار الانتماء» لدى الأفراد والجماعات، (وهو ما نعنى به في هذا الفصل) لكن الصحافة الكويتية، مع وفائها لما نصفها به، ليست إلا جانب من جوانب بناء الإنسان في ذاته، وفى تواصله مع الآخرين. وإذا كان التعليم (بما فيه الجامعة) والإذاعة والتليفزيون من بين «أجهزة الدولة» التي ترسم سياساتها، وتمولها، وتشرف عليها، فإننا سنتوقف لنقدم تعريفا موجزا «بالأجهزة» الشعبية التي تشارك في صنع الرسالة ذاتها، مستندة إلى سياستها الخاصة، معبرة عن إرادتها الحرة (حتى وإن يكن بعضها معانا من الدولة ممثلة في وزارة الشئون الاجتماعية) وهذا يشمل-إلى جانب المسرح وقد بيناه-الصحافة، وجمعيات النفط العام، والنوادي الرياضية، والفنية.

لا تتسع هذه الأسطر لذكر شئ عن «الظاهرة الصحفية» في الكويت، فلها امتداد تأريخي يرجع إلى عام 1928،ولها حضور قوى على امتداد الوطن العربي، ولعل الصحافة الكويتية-مع الصحافة اللبنانية في زمن ازدهارها-تكون الوحيدة التي تصدر موجهة حديثها إلى، ومعبرة في محتواها

عن الأمة العربية كلها. إنها تحتفظ بمكاتب دائمة-وليس مجرد مراسلين- في عدة عواصم عربية، ولهذه المكاتب اهتمام بأخبار الكتب والأعمال الفنية، وما ينشر حولها من دراسات. كما أن حجم متابعات السياسات العربية يأخذ مدى واضحا في كل صحيفة، وهذا متوقع في تكوين سكاني محدود، يتلقى كل صباح سبع جرائد عربية يومية: الرأي العام، والسياسة، والقبس، والأنباء، والوطن، أضيف إليها الآن: صوت الكويت الدولي، والفجر الجديد، فضلا عن جريدتين بالإنجليزية والأوردية، هما: آراب تايمز، وكويت تايمز. أم المجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية فتصل إلى سبعين مجلة، في مقدمتها: النهضة، أسرتي، الرسالة، الرائد، الهدف، الطليعة، اليقظة، الملاعب، عالم الفن، المجتمع، مرآة الأمة، البيان، أتوعى الإسلامي.. الخ.. الخ.. وهذه جميعا تتوجه إلى المواطن في الكويت، كما تتوجه بمحتواها إلى المواطن العربي في الكويت، وفى موقعه من الخريطة الشاملة، وهذا التوجه يتجاوز لغة الخطاب، وطريقة التفكير، إلى المحتوى ذاته، ولهذا-وهذه ملاحظة خاصة-سنجد قارئ الصحافة المقيم في الكويت أو يستديم الاطلاع على صحفها، أكثر معرفة وإحاطة بالكتاب والأدباء والمفكرين، والكتب، والمسرحيات، والفنانين والعلماء والمخترعين والسياسيين، والقضايا المعلقة، والمشكلات المزمنة، والتجمعات والجمعيات العربية، في أي قطر كانت من الأرض العربية، هو اكثر معرفة من أي مواطن عربي آخر في موقع آخر، وهذا قول لا نرسل فيه الزعم إرسالا، وإن دليله قائم حين نقلب أي صحيفة تصدر في الكويت يومية أو أسبوعية أو شهرية. وبالمثل فإن جمعية الصحافيين الكويتية التي تضم (125 عضوا كويتيا)[40] تضم نحو ضعف هذا العدد من العاملين في التحرير-من غير الكويتيين، ومثلهم من الفنيين. ولسنا بسبيل ما تقدمت به صحافة الكويت من استخدام وسائل الاتصال، والصدور خارج البلاد (في لندن مثلا) والطباعة الحديثة، والألوان، فهذا نجاح مهني خاص لا يتصل بما نحن فيه اتصالا مباشرا، ولكننا سنذكر لها استقلال رؤيتها وجرأتها في إفساح صفحاتها للمعارضة حينا، ولمن يكون التيار الغالب ضدهم حينا آخر، فتستمع-على سبيل المثال-لشاه إيران وتحاوره في وقت ظهرت أطماعه في الخليج بازغة، وتجرى مقابلات مع السادات، والسياسة المعلنة والمطبقة لدولة الكويت هي مقاطعته. وفى مجال السياسة

الداخلية، ونقد الأجهزة الحكومية، فيمكن العودة إلى كتاب «صحافة الكويت: رؤية بين الدوافع والنتائج[41]»، وسنجد من خلال توجيه الاتهام، ومرافعات الدفاع في قضايا وزارة الإعلام مع بعض الصحف نوعية الأخبار والتحليلات التي نشب النزاع بسببها.

تنتشر في صحافة الكويت كتابة الخواطر اليومية القصيرة، في نصف عمود أو أقل، تحت عنوان ثابت، وهذه نماذج لعناوين بعضها: «في الصميم»، «صباح الخير» «بيني وبينك» «محطة» «يوم ويوم»، «بلا عنوان» «ليس إلا» «زووم» «شرباكة» «قبس محلى»، «على الدرب» «بلا قناع» «مناظر» «الله بالخير» «حوار الطرشان» «يا ألطاف الله»«شطحات».

ولهذا دلالته على حميمية المتابعة لكل ما يجرى في الوطن، وللعلاقة «الخاصة» مع القارىء

أما جمعيات النفع العام فهي متعددة تعدد أنساق العمل واختلاف المهن في الكويت، ويمكن تحديد 32 جمعية، هدفها خدمة أعضائها، أو تقديم الخدمات العامة. ومن النوع الأول: جمعية المهندسين الكويتية، جمعية المحامين الكويتية، جمعية المعلمين.. الخ.. ولكن النوع الثاني هو الأكثر انتشارا، واتصالا بما نحن بسبيله من اكتشاف جسور التواصل مع الوطن العربي، بهدف التنمية الثقافية. نذكر في هدا المجال:

1- جمعية الجنوب الخليج العربي:

2- وقد تم إشهارها في 10- 3- 1963وأهدافها-كما حددتها لائحتها-(أ) مساعدة طلبة الجنوب والخليج العربي في مختلف معاهد التعليم في الكويت، وسائر الدول العربية والأجنبية.

3- (ب) التعاون مع الهيئات المهتمة بالشئون الثقافية والاهتمام بالرعاية الاجتماعية، وإرسال الطلبة في بعثات تعليمية، وفقا للشروط والأحكام التي يقررها مجلس الوزراء.

فهذه الجمعية، كما نرى، هي الوجه «الشعبي» لنشاط الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي. فهذه الهيئة تمارس خدمتها الثقافية «هناك» والجمعية تؤدى نفس الرسالة، وتبذل نفس الرعاية، «هنا»في الكويت، وتلتقي «هناك» و «هنا» في توجيه الطلبة إلى التعليم في بعثات للخارج.

2- جمعية صندوق التعليم العالي للاجئين العرب:

وقد تم إشهارها في-24-4-1963 و تنحصر رسالتها في أهدافها المعلنة، وخلاصتها. توفير فرص التعليم والتحصيل الجامعي، وما فوقه، والتخصص العلمي والنظري والمهني للطلبة اللاجئين العرب، وفقا لأحكام قانون الصندوق وأنظمته.

وقد نصت أهداف الجمعيات الأخرى، مثل رابطة الأدباء، وجمعية الخريجين الكويتيين، والجمعية الكويتية للفنون التشكيلية، ورابطة الاجتماعيين، نصت أهدافها على رعاية أفراد المجتمع (في الكويت أصلا) والعمل على تنمية العلاقات بين أعضاء الجمعية وأندادهم في الأقطار العربية، ولم يكن هذا المحور الأخير مجرد نص يعبر عن

«وجاهة» أو «أمنية»، لقد أعمل هذا النص دائما، وقد كانت وفود رابطة الأدباء تجوب العواصم العربية، في إطار سياسة «الأسابيع الثقافية» التي شهدتها الجزائر، والمغرب، وتونس، و طرابلس، و بغداد، و عدن، وصنعاء، و القاهرة، الخ.. الخ كما أسهمت جمعية الخريجين بإقامة ندوات وتنظيم مؤتمرات، بالتنسيق مع المجلس الوطني للثقافة (مؤتمر: قضايا تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي) وبالمشاركة مع جامعة الكويت (مؤتمر: أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي)، وقد كان لها موسمها الثقافي، كما كان لرابطة الأدباء موسمها، وأمسياتها الشعرية، واستضافتها للمفكرين والأدباء والشعراء العرب، وقد كانت صفحات مجلتها «البيان» تعبيرا عن نظرتها المتوحدة المتكاملة للأدب والفكر والشعر في الأقطار العربية، و لم تكن «البيان» تعتمد على ما يوافيها به بريد الأدباء من بحوث ودراسات، بل كانت تستكتب الأقلام التي ترى أنها تؤدى خدمة للثقافة العربية، وتتخذ لها مراسلين دائمين في عواصم الثقافة العربية كما كان لرابطة الاجتماعيين موسمها، ومنهجها، الذي نتخذ الوقوف عند بعض مفرداته مؤشرا على نشاط هذه الجمعية، وسائر الجمعيات كذلك.

في فصل سابق أشرنا إلى المواسم الثقافية في الكويت عبر الخمسينيات ومدى ما كان لها من رواج واسع، وكيف كونت دائرة تفاعل بين المثقف العربي القادم إلى الكويت، وجمهور الندوات المتنوع في العاصمة وما حولها، ورأينا كيف كان ينتقى هؤلاء المحاضرون من أقطار عربية مختلفة، ومدى اتساق موضوعات محاضراتهم مع التوجهات الأساسية (المقبلة) لرسالة

الكويت الثقافية. وقد كانت هذه المواسم من صنع دائرة المعارف (وزارة المعارف، ثم وزارة التربية فيما بعد) وفى هذا الفصل نرصد الظاهرة نفسها (الندوات) والاتجاه ذاته (التأصيل والتنوير والاستعداد للمستقبل) في نشاط الجمعيات الأهلية، لنكشف على ضوء هذا الرصد تناغم الجهود، وتكامل العمل، وثبات الهدف، ولأنه ليس في مكنة هذه الدراسة أن تتابع كافة الجهود في هذا المضمار، ولعله ليس مطلوبا منها كذلك، فإنها تكتفي بالتعريف بأنشطة جمعية واحدة هي «رابطة الاجتماعيين» في فترة زمنية محدودة، نختارها عشوائيا، هي عامي 1971- 1972 أو الموسم الثقافي الرابع، والموسم الثقافي الخامس بالنسبة لنشاط الرابطة[42]. ورئيس الرابطة- في ذلك الوقت-الأستاذ عبد العزيز الصرعاوى، الذي عمل وكيلا لوزارة الشؤون الاجتماعية، ثم وزيرا للبريد والبرق والهاتف، ثم سفيرا للكويت في المملكة المغربية، وقد ترك في كل موقع شغله ما يؤكد إيجابيته واحترامه للفكر والثقافة. وفى هذين الموكلين المشار إليهما، كان يقوم بتقديم المحاضرة الأولى (افتتاح الموسم) ويعلى من خلال محاضرته حدود ومؤشرات المحور الذي ستدور حوله محاضرات الموسم، وهى ثلاث وعشرون محاضرة، وهذا يعنى أنها-وهى تقدم أسبوعيا-تغطى نحو ستة أشهر من العام.

ليس مصادفة أن موسم 1971 تجمع حول محور أساسي هو «التراث العربي الإسلامي» وهو محور ثابت في كافة مستويات الخطاب الثقافي الكويتي ما بين الندوات والمؤتمرات، وعالم الفكر، وعالم المعرفة. أما الموسم التالي-1972- فعقد حول «المجتمع العصري واحتياجاته»، و كما أشرنا في فصل سابق أن التفاعل مع العصر واحتفاء إيجابياته، وتوقى انحرافاته هدف ثابت من أهداف الرسالة الكويتية. ونسجل هنا ملاحظتين: أن محاضرة افتتاح الموسم 1971 التي ألقاها الأستاذ الصرعاوى، وكانت تحت عنوان: «نحو مستقبل أفضل أو: الدعوة إلى النظر في تراثنا العربي الإسلامي وإحيائه» كانت جسرا ممتدا إلى عنوان المحور الذي دارت حوله جهود المحاضرين في الموسم التالي وهو «المجتمع العصري واحتياجاته»، كما هو واضح في اختيار العنوان، وهو مما يؤكده المحتوى حين نعود إلى نص المحاضرة. الملاحظة الثانية أن كل محور من المحورين يضع الوطن العربي على امتداده في الاعتبار الأول، فتطرح قضاياه في تصورات نظرية حينا،

وطابع تطبيقي شامل حينا آخر، كما يضع الكويت في خط مواز يلبى احتياجاتها المحددة تحت نفس العنوان. ويتحقق هذا التوازن بين القومي والمحلى من خلال اختيار المحاضرين والمشاركين في الندوات (بعد اختيار عنوان المحاضرة أو الندوة بالفل) كما أنه يراعى التركيبة السكانية في الكويت، واتجاه الاهتمام، وحجم الارتباط بالموضوع لدى جمهور هذا المستوى من المحاضرات والندوات.

عن التراث العربي الإسلامي عقدت خمس محاضرات، وندوة واحدة، فهناك إذا ست إطلالات على الموضوع نفسه.

1- نحو مستقبل أفضل، أو: الدعوة إلى النظر في تراثنا العربي الإسلامي وإحيائه. الأستاذ عبد العزيز الصرعاوى

2- دور التراث العربي الإسلامي في تدعيم القومية العربية: الدكتور محمد ناصر

3- التراث العربي والفلسفة الإسلامية. الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة.

4- دور بعض الشخصيات العربية في ريادة الفكر الإسلامي: الدكتور زكى نجيب محمود

5- أثر العرب في حضارة الغرب والعالم. الدكتور شاكر مصطفى.

6- [ندوة] دور الجامعات والمراكز الثقافية في إثراء التراث العربي والإسلامي، لمواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي: الأستاذ إبراهيم الشطي- الدكتور يعقوب الغنيم-الأستاذ أنور النورى.

المشاركون جميعا من أساتذة جامعة الكويت، أو قياداتها الإدارية، وهذا يكشف بدورة عن تفاعل البنى الثقافية وقوة حضور الجامعة كمؤسسة ثقافية في التكوين العام، وهم من الكويت وسورية والعراق، ومصر.

أما المحور التكميلي-في نفس الموسم الثقافي-فقد خصص للرعاية الاجتماعية في الكويت، ومد تشعب في اتجاهات الرعاية الإسكانية، وتنمية الموارد البشرية، ورعاية الشباب والطفولة.. إلخ.

أما الموسم الخامس (1972) وقد عقد حول «المجتمع العربي واحتياجاته» فقد مزج بين الفكر النظري الفلسفي، وصورة المجتمع العربي، وصورة المجتمع الكويتي بخاصة في محاضرات وندوات متعاقبة (23 محاضرة

وندوة) تحدث فيها أعلام مشهود لهم في تخصصاتهم منهم: الدكتور زكي نجيب محمود، الدكتور توفيق الطويل، الدكتور وحيد رأفت، الدكتور رمزي الشاعر، الدكتور نور الدين حاطوم، الدكتور إسكندر النجار، الدكتور سعد عبد الرحمن. ومن شباب العلماء في الكويت الدكتور حسن على الإبراهيم (أول رئيس كويتي لجامعة الكويت) والأستاذ أحمد على الدعيج، مدير مجلس التخطيط.. وغيرهم..

لقد طرحت مطالب العصرية غير محصورة في الاحتياجات الآنية المرحلية، أو المستقبلية القريبة. هناك الماضي أيضا: ماذا نستبقى منه ؟ بعبارة أخرى: ما مدى احتياج واقعتا ومستقبلنا إليه. وهناك المستقبل الذي يعد الراهن خطوة حتمية لبلوغه. أما احتياجات المجتمع العصري فقد تم تناولها من خلال مفهوم العصرية، والخصائص الحضارية، والنظم السياسية، والسياسة التربوية، والخدمة التطوعية الأهلية، ومستقبلية التشريع، والنمو الحضري، والإنجازات العلمية المعاصرة وأثرها على الإنسان..

ونستكمل صورة النشاط الثقافي الشعبي بإشارة تتعلق بالفنون التشكيلية، ولها نشاط واضح، ومستوى مرموق، مما يجدر علاقة الكويتي بالفن، وبالفن التشكيلي بصفة خاصة. نكتفي-في هذا التعريف الموجز-أن نعرض بعض صفحات كتاب الفنان «عبد الرسول سلمان» و«بداية مسيرة الفن التشكيلي في الكويت» (وقد صدر عام 1975 فتعريفاته تقف عند هذا الحد) وقد نشر من شهادات النقاد في الصحف الفنية، والمختصين المترددين على معارض الفن التشكيلي التي تقام دوريا في الكويت، وخارجها، بل نكتمل من لوحات وتماثيل الفنانين، ما هو بذاته شهادة على تميزهم، وأصالتهم. حين كانت أمرر الفن في رعاية وزارة التربية، دأبت على إقامة «معرض الربيع» سنويا، وعلى استضافة أعمال منتخبة لبعض التشكيليين العرب في المعرض، وقد أرسلت وزارة التربية عددا غير قليل من الفنانين الهواة في بعثات إلى الخارج (العربي، والأوربي) وأتاحت لكل منهم أن يتلقى فنه وينظم معرفته بالأسلوب الذي يناسبه، ولهذا سنجد من لازم الدراسات الحرة، ومن حصل على درجات عاليه من أعرق معاهد الفن في القاهرة، ولندن، وروما على التحديد.

أما تنظيمات الفنانين في الكويت فقد بدأت بالمرسم الحر، ثم تبلورت

بإنشاء الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية (عام 1967) ولم تكن هذه الجمعية حجرا أو احتكارا، فهناك جمعيات أخرى لها إسهامات فنية غير مذكورة. وبعد إنشاء المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، صار السند اخبر للجمعية، ولحركة الفن في الكويت، باقتنائه للمتميز من إبداعاتهم، وحفظها، وإقامة المعارض، واستضافة الفنانين من خارج الكويت ورعاية معارضهم.

وقائمة أسماء التشكيليين في الكويت ممتدة، ولكنها لن تغنى عن مشاهدة أعمالهم، من أشهرهم: معجب الدوسرى، أحمد زكريا الأنصاري، أيوب حسين، خليفة القطان، طارق السيد فخري، محمود الرضوان، عيسى صقر، عبد الله القصار، عبد الحميد إسماعيل، خالد العقود، جواد جاسم، أمير عبد الرضا، محمد الدمخى، بدر القطامى (وقد صدر عنه كتاب خاص يحوى عددا من أشهر لوحاته) عبد الله سالم، سامي محمد، خزعل عوض، إبراهيم إسماعيل، عبد الرسول سلمان، ساميه السيد عمر، يوسف القطامى، صبيحة بشارة (وهى تكتب القصة القصيرة أيضا، وصدر لها مجموعتان) نسرين عبد الله، أحمد عبد الرضا.

سنجد تنوعا في استخدام الأداة، ما بين رسم، ونحت في الخشب، وفى الحجر، وطرق للحديد والنحاس الخ. كما سنجد توجها إلى التراث العربي والإسلامي، يتنفس في الوحدة الزخرفية، وتكوينات الخط العربي، ورسم الشخصيات التاريخية العربية مثل شخصية طارق بن زياد، وشجرة الدر، وسيدنا بلال مؤذن الرسول. كما نجد الحداثة ومحاولة ابتداع أسلوب. خاص، كما نجد في السيركلزم، أي الدائرة، أو «التطويرية» كوحدة في التشكيل، التي آثرها الفنان بدر القطامى، وعرف بها.



وثيقة (15)



وثيقة (16)



وثيقة (17)

الهوامش والمراجع

(ا)عيد الكريم برشيد منظر المسرح الاحتفالي، وأحد عمد الإبداع في المغرب، والاقتباس س دراسته عن «المسرح والنفط المستقبلي له، في إطار الثقافة العربية» وقد نشرت ضمن بحوث: «الخطة الشاملة للثقافة العربية:< ح 3 ص 390

(2) هنا و الكويت أربع فرق أهلية معانة من الدولة: المسرح العربي، المسرح الشعبي، مسرح الخليج العربي، المسرح الكويتي. ثم هناك المسرح الجامعي، والمسرح التابع للمعهد العالي للفنون المسرحية. وبعد توجد مسارح القطاع الخاص ومن أهمها: مسرح الناس-المسرح الجديد-مسرح الفنون-المسرح الكوميدي، مسرح السور، المسرح الأهلي-مؤسسة الفنانين-المسرح الحر-أسرت المحلان-مسرح الأهل-مسرح الشباب-مؤسسة البدر.

فهذه ثماني، تختلف مستوياتها، كما يختلف حجم نشاطها، وقد تخصصت أربع منها و «مسرح الطفل» فكان الرواج شاملا بحق..

(3) عبد الرحمن بن زيدان: أسئلة المسرح العربي-ص: 187- 188 الثقافة بالدار البيضاء عام 1987 وهذا مقدمة لدراسة نقدية لمسرحية «ضاع الديك» للكاتب عد العزيز السريع.

(4) عرضت هذه المسرحية المرتجلة عام 1952- -الظهر: المسرح في الكويت: خالد سعود الزيد ص 42-43 المسرحية في وجود خزانين لدى إحدى الأسر الفقيرة، في أحدهما نفط، وفى الآخر ماء. حين اقتحم اللص بيت الأسرة سرق خزان المياه، وترك لهم النفط ! !

أهمية المياه على أهمية النفط تمثل رأيا عاما كويتيا قديما، ومستمرا، ومما قاله في هذا الشاعر الشعبي فهد بورسلي:

ليت هالنفط العزيز

ينقلب ماى الغدير

مانبى النفط ومعاشه

صرنا للعالم طماشة

ضاع بالطوشه الفقير

والمعنى: ليت هذا النفط يتحول إلى ماء. (لانبغى) مرتبات النفط، أمواله، فقد جعلتنا محل تهكم في العالم، وضاع فقراؤنا في زحام الصراع!!

(5) وتعنى: ما رأيكم يا جماعة، وحكايتها أو زوجة خرساء تاق روجها أهلها إلى أن تنطق وتسترد إنسانيتها، فظهر طبيب عرض نوعين من العلاج: سريع فوري، وبطئ متدرج مالت الأسرة إلى العلاج السريع، فتكشف عل زوجة خرقاء حمقاء لا تجيد غير المنابذة! ! وهكذا وقف المؤلف ضد الطفرة، ورأى أن التدرج (في تعلم الكلام) هو الذى يحمى الزوجة (الكويت-) من أخطائها. يراجع: الحركة المسرحية في الكويت (طبعة ثانية) ص 268

(6) في مسرحية «عشت وشفت» (1964).

(7) عرض المسرح العربي هده المسرحية في موسم 1966

(8) في مسرحية «فلوس ونفوس» لعبد العزيز السريع 1970، ومسرحية «الطين» لصقر الرشود1965

(9) في مسرحية «الخلب الكبير» لصقر الرشود 1965.
(10) في مسرحية «ضاع الديك» لعبد العزيز السريع (1972) ومسرحية «1 ، 2 ، 3 ، 4 بم» التي كتبها بالاشتراك مع صفر الرشود (1972) ومسرحية «عنده شهادة» لعبد العزيز السريع (1965)
(11) في مسرحية «الحاجز» لصقر الرشود (1966) و «بحمدون المحطة» (1974)
(12) كتبنا حول هذا الموضوع في «المسرح الكويتي بين الخشية والرجاء»-دار الكتب الثقافية، بالكويت 1978
(13) مع تغيير طفيف في العبارة لمحكن قراءتها بعيدا عن اختلاف اللهجة..
(14) في مسرحية «للصبر حدود» ولكن المؤلف حمل بعد ذلك على الزوجة الثانية، وتشتت خط الدراما، فاختلط الأمر، هل هي مرفوضة لأنها «الثانية» أم لأنها عبر كويتية ؟ !
(15) وهو «الذئب» وقد اتخذ عنوانا لعرض أحد، قام على ثلاث مسرحيات قصيرة، لثلاثة س المؤلفين (976).
(16) تقول كلمات النشيد الجماعي الختامي، يقوده، صوت امرأة، وصوت رجل: المرأة:
كل الأمل فيك.
أنت ولدى
قوم انتحى (من النخوة).
ريحه على (أهلي)
شد العزم واركب على كفوف الخطر
الرجل: واللي بي (ببغي) الزين يعمل ياولد.
اخطف شراعك واتكل واقهر قهر
كويت العرب يا شعله نورها القدر.
حسك علا ما بنطفي طول الدهر
الله على عزم الرحال.
الإيد واحدة في الخطر.
النفط يوقف تحدي
بشتمنا نرجع للبحر!!
راجع في تحليل «شياطين ليلة الجمعة»دراستنا لها في «المسرح الكويتي بين الخشية والرجاء: ص 57 وما بعدها.
(17) الدكتور حسن يعقوب العلي ناقد صحفي لفن المسرح سالفا، حصل على الدكتوراه من بريطانيا لي أدب المسرح، وهو أول عميد كويتي للمعهد العالي للبنود المسرحية. «الثالث» هي مسرحيته الأولى (بعد محاولة مبتدئة) عرضها المسرح العربي عام 1976
(18) عرضها المسرح العربي عام 1982
(19) عرضها المسرح العربي عام 1978.
(20) ثورة الزنج للكاتب الشاعر معين بسيسو، والغرباء لعلى عقله عرسان، وطني عكا لعبد الرحمن الشرقاوى، حبيبتي شاميا للدكتور رشاد رشدي. من المحتمل أن هناك مسرحيات أخرى أقل شهرة، أو أقل جودة لم تصل إلينا، و لم نقصد إلى ذكر القطر الذي ينتمي إليه الكاتب أي مغزى سياسي أو نومي، وما أردناه أن صعوبة الموضوع في أنه «جاهز» و «محدد»، ولهذا لا يتحمس له كتاب المسرح، دون أن بكور هدا حكما على إيمانكم القومي.

(21) وحين يتفق الزي، كما في حالة الصالح والعبد الله، أو يمكن إتقان اللهجة، كما في حالة أسمها توفيق ما كنت أعرف الكويتي من غيره، واحتاج الأمر إلى زمن-طويل، وربما إلى سؤال في ظروف معينة.
(22) هذا الموضوع برمته في كتاب خالد سعود الزيد: «المسرح في الكويت، مقالات ووثائق» ص 70- وأماكن-أخرى-في الكتاب.
(23) أخرجها لفرقة المسرح العربي في موسم 1980
(24) أخرجها لفرقة المسرح الكويتي في موسم 1976- والسدرة هي شجرة «النبق».
(25) كان ذلك عام 1987، لفرقة المسرح الكويتي أيضا.
(26) هذه المسرحيات عرضتها فرقة المسرح الشعبي في مواسم 1975 , 1977 , 1987 واستمر الأستاذ أحمد عبد الحليم في ممارسة الإخراج بالكويت، طوال عمله المستمر بالمعهد العالي.. .
(27) وهى تسمية خاص لمسرحية السلطان الحائر، وقد ارتضاها الحكيم، كما ارتضى تعديلا محدودا أجراه الدكتور حسن يعقوب العلي في بعض المواقف قرب الختام.
(28) وقد مثلت في مصر ونشرت تحت اسم. ملك يبحث عن وظيفة.
(29) وقد عرضت خارج الكويت باسم: إنهم يقتلون الحمير.
(30) وتمامها: رأس المملوك جابر.
(31) قال الكاتب الكبير هذا، مرتين، بينهما ستة عشر عاما: حين رأى العرض الأول للمسرحية في الكويت، وحين دعي للاحتفال بعيد ميلاد صفر الرشود الخمسين (وكان قد مضى على وفاته اكثر من عشرة أعوام) بالمركز الثقافي الكويتي بالقاهرة (يونيو 1991).
(32) عرضت تحت اسم: الفيل يا كبرى البلدان.
(33) صدر هذا السجل عام 1981 وتضمن أعضاء هيئة التدريس في ذلك العام، والمعروف أن جامعة فتحت أبوابها عام 1966، ولكن أحدا من أعضاء هيئة التدريس (الكويتيين) لم يحصل على درجة الدكتوراه قبل عام 1972 وكذا تصدق الإشارة إلى السنوات العشر.
(34) كان هذا بحث عبد اللطيف أحمد البدر في أطروحة الدكتوراه، وعنوانه الكامل: التغيرات الكيماوية والسلكية لخلايا السرطان ومقابلتها مع نظائرها الطبيعية، حصل عليها من جامعة تكساس.
(35) موضوع أطروحة دكتوراه جاسم محمد يوسف عبد السلام، حصل عليها من جامعة هارفارد عام 1979.
(36) وهو موضوع دكتوراه عفيفة سيد حسن بهبهاني، حصلت عليها في الفيزياء من جامعة ليفربول عام 1979.
(27) وهو موضوع دكتوراه مصطفى عباس معرفي، حصل عليها من جامعة ميتشجان عام 1976 (فيزياء ذرية).
(28) نص السجل الجامعي على أربعة كتب هي. البترول والتغير الاجتماعي في الخليج العربي، مشكلات التغير السياسي والاجتماعي في البحرين، الجذور الإجماعية للديمقراطية في مجتمعات الخليج المعاصرة، معوقات التنمية الاجتماعية في مجتمعات الخليج المعاصرة. ومن أهم كتبه وأشهرها: «الخليج ليس نفطا» ! ! وفى العنوان دلالات كثيرة!!.
(39) ويمكن أن نضيف هنا-لاستكمال تصورنا-الذين حصلوا على الدكتوراه و لم يكونوا أعضاء في هيئة التدريس بالجامعة، ودرجات الماجستير. أيضا.

(40) إحصائية عام 1985- انظر ملاحق كتابنا: صحافة الكويت: رؤية بين الدوافع والنتائج.

(41) صدر عن «منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية»1985.

(42) هذا يعنى أن رابطة الاجتماعيين بدأت إقامة ندواتها بمجرد تكوينها، إذ تم إشهارها في 27/ 1967/8.

استفتاح

هذه كلمة ختامية، آثرنا أد نجعل إشراق البداية عنوانا لها، ليس على سبيل التفاؤل، وإنما-أيضا- لأن الفصل الصامت في مسيرة الثقافة في الكويت، سيحتاج إلى بداية جديدة، قد يستمر فيها قديم، ولكنها لابد (من يعرف نفسية الكويتي وطريقة تفكيره) ستبدأ أشياء جديدة، ستفتح طرفا جديدة للثقافة، ولعلنا بهذا الإسهام المحدود نقدم بداية خيط قابل لأن يتحول إلى نسيج له شخصيته وجماله.

بعد قراءة ما قدمنا من صفحات عن التكوين الثقافي للكويت ذاتها، وقدرة مثقفيها على اكتشاف رسالة، بتحديد وسائلها وأهدافها، ومراحل عملها ونظامه، وبعد التعرف على طبيعة هذه الرسالة، وأساليبها في الوصول إلى من يهمهم أمرها في كل أقطار الوطن العربي، وبعد أن سلطنا الضوء على العناصر الفاعلة في نوجبه تلك الرسالة، على المستويين الرسمي (الدولة) والشعبي (المبدعين والمؤلفين)، لم نرد أن نقول: ليس في الإمكان أبدع مما كان!! إن «المثال» غاية لا تدرك، ومفهوم «الكمال» يتطور ويتغير بتطور الفكر، وبتغير العلاقات الاجتماعية والدولية أيضا.

وقد وجه للعمل الثقافي الكويتي اتهامان، يجازف بإرسالهما-بلا روية، أولهما يزعم بأنه ليس للكويت من فضل فيما صنعت لأنها مجرد ممول، أما مضمون الثقافة فإنه من صنع غيرها!!

وهذا تحريف يتعمد الانتقاص، فمن وجه: إن التمويل هو الذي جعل الممكن حقيقة، والأحمال واقعا، والعجز مقدرة، وليست الكويت وحدها تملك المال، ولا هي أغنى من يملكه، ولكنها صنعت ما لم يصنع غيرها، وهدا أوضحناه قبل، ولو أن الكويت حصرت دورها الثقافي في حدود استطاعة أبنائها، لم يكن مستبعدا أن يقال إنها تنكمش في حجم طاقتها السكانية المحدودة بخلا بالمال ورغبة في «تلميع» أبنائها وقصر العمل عيهم، ولو كانت رسالتها الثقافية قومية حقا، ونابعة من ضميرها لوجب أن نستعين بجميع القادرين المؤهلين الذين قعد القصور المادي بهممهم، وحجب عطاءهم، مهما كانت مواقعهم في الوطن العربي الكبير. على ألنا رأينا-في فصل سابق، وكما يدل تعريفنا بالنشاط الشعبي الإبداعي، أن فئات من أبناء الكويت فد حصلوا على أرقى الدرجات العلمية، من جامعات العالم رفيعة المستوى، وانهم في مجال التأليف كانت لهم إبداعات متميزة.

المجازفة الأخرى التي توجه كاتهام، تقول: وما أهمية عدة ملايين من الدولارات أو الدنانير ! ؟ هل أتاحت لكل راغب في الثقافة أن يقرأ ؟ إنها أفادت عدة آلاف، ولكن، ما نسبتهم إلى الملايين من البشر الذين لا يجدون زادهم الثقافي إلى اليوم؟!

وهنا نتذكر قول الأصوليين القدماء. الاعتراض وارد، والحكم مسلم. ونقول أيضا. كلمة حق أريد بها باطل، لسبب أتدهى، وهو: على آي أساس يمكن اعتبار الكوب-وحدها، ودون غبرها-مسئولة عن «تثقيف» مائة وخمسين مليونا ؟ ! وإذا كاد هذا القول يتأسس بالنظر إلى من لم تصله الرسالة، أو لم بصل هو إلى مستوى تلقى الرسالة، فقد تم أعمل رأى، ومصادره تجربة الدين تلقوا هده الرسالة، وتفاعلوا معها وكان لها دور لي تنمية قدراتهم، أو التنوير بأفكارهم ! ! ونقول إنه مع ما فى هذه المجازفة من مجافاة للموضوعية، فإنها قد تهدى إلينا تصورا لامتداد واجب، للدور الثقافي للكويت. «سنجازف» بدورنا لتقديم بعض المقترحات، بعضها يتجه إلى تنمية ما هو قائم، وتطوير فكرته، وبعضها بهدف تعميم الرسالة، واستكمال وسائلها. وتبل أن نفعل هدا نقول إن ما نشير إليه توجد بداياته في مشروعات المجلس الوطن للثقافة، وبعض آخر لدى مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، أو في وزارة الإعلام ذاتها. وليست العلاقة بين هذه الأجهزة، أو سلطة القرار

مما يدخل في المقترحات، ومن ثم فإنها لا تحدد «المخاطب».

أ- أول المقترحات تنظيمي، وعلى افتراض أن المجلس الوطني، هو الجهة التي تتصدر جهات العمل، فإذ الاقتراح أن تضم هيئته الاستثمارية، أو مجلس إدارته أعضاء من جميع، أو بعض الأقطار العربية (مثلما تفعل المجامع اللغوية والعلمية) والهدف من هذه المشاركة توسيع الرؤية، وتنويع الرسائل، ودراسة الصدى، وإدخال التعديل أو التطوير وقد رصد الواقع من جميع روايات. إن الأمر يختلف كثيرا عن إدارة الخطة في حدود تصورات المقيمين في الكويت (سواء من أهلها أو من الوافدين عليها) مهما كانت مشاربهم الثقافية متنوعة أو قدراتهم كبيرة. إن بهذا الصنيع لا نسبغ على الخطة أنها ثمرة «رؤية عربية» شاملة، وحسب، وإنما سنكتسب لعملنا مساحات جديدة من الموضوعات المقترحة، قبل أن تكون مساحات جديدة للتوزيع. أما معايير الاختيار، والتكامل من خلال التنوع بين من يقع عليهم الاختيار، فهذا تفصيل يأتي سد إقرار المبدأ، ولا يصعب الاهتداء إليها.

2- وقد بدأت مشروعات ثقافية كبرى، لكنها تتحرك ببطء، وأشير إلى مشروعات أخرى، هي أمنية المثقف العربي، ولم يبدأ العمل فيها أو أصبحت من المسكوت عنه.

- إن معجم «تاج العروس» تتقاطر أجزاؤه منذ ثلاثين عاما، ولا يزال أمامه الكثير. في كم من الأعوام ألفه الزبيدي؟ وهل يتصور أن مقدرته «الفردية» في التأليف، تتجاوز مقدرة علمائنا-بصيغة الجمع-في تحقيق النص، ومقدرة مطابعنا-بالجمع أيضا-في الطبع والنشر؟! إن بعض البطء-بعضه فقط-يرجع إلى إسناد الطبع إلى مطبعة حكومة الكويت دون غيرها، وهي تغص بالكتب والمجلات والدوريات الخ، وهذا التصرف صحيح من الوجهة المالية، والتنظيمية، ولكنه ليس الحتم الذي لا مناص منه إذا أريد استكمال عمل في «جيل»، وليس في عدة أجيال.

- وقد كان مشروع ترجمة «مجلة العلوم» الأميركية، وإخراجها في صورة علمية وفنية متقنة وراقية، بتوجيه خاص من أمير البلاد، أرادها هدية إلى شباب الباحثين العرب. فما القول في ترجمة دائرة المعارف البريطانية، والإسلامية؟ إن الحاجة إليهما، والى ما يماثلهما، ليست اقل عند الباحثين من شباب العرب، وشيوخهم أيضا.

- هناك إرشادات قديمة في أعمال المجلس الوطني (ترجع إلى عام 1975) عن تكوين لجنة لكتابة تاريخ العرب والإسلام. فهل يمكن العودة إلى طرح المشروع الخطير من جديد.

- هناك مشروعات بدأت في مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، مثل نشر بحوث الدكتوراه، والكتاب الأول، والعمل الإبداعي الأول. لكن أمر اختيار هذه الكتب والبحوث مرهون بالوجود في الكويت، والقدرة على تقديم العمل المرغوب في نشره إلى المؤسسة. الاقتراح هو تطوير وتوسيع دائرة الاختيار، فيوكل إلى خمس جامعات عربية-مثلا-كل عام، أن ترشح كل منها كتابا، أو بحثا جديدا للدكتوراه في فرع معين من العلوم أو الآداب، وترشح وزارات الثقافة، أو مجالس الثقافة، أو اتحادات الكتاب: الأعمال الأدبية. إن هذا الصنيع كما يمنح مددا لا ينقطع، يتيح الفرصة للحصول على «الأجود» ويذكي المنافسة في سبيل التقدم. ويمكن توقي أن تصبح الترشيحات محاباة للمقربين، بعرض نتائج الاختيار أو الترشيح على لجنة عليا، لها الرأي الأخير.

3- وهناك مجالات، هي الآن مصادر خصبة للثقافة، تبلغ بوسائلها إلى ما لم تبلغه المطبوعات، في مقدمة هذه المجالات التلفزيون،والسينما، وشريط الكاسيت. إن التغير السريع في بعض أقطار الوطن العربي، يجتاح المعالم، ويمحو ملامح التاريخ، وقد تعرضت الكويت في الخمسينات خاصة-لشيء من هذا، ثم تداركت الأمر، وأوقفت هدم القديم. هذا مجال خصب، ومهم، لأفلام تسجيلية تعجز تلك الأقطار عن تدبير نفقاتها، أو تنفيذها فنيا. وحتى في مجال الدراما التلفزيونية، والفيلم السينمائي، والأغنية. إن جميع المثقفين العرب يؤلمهم ما يشاهدون من دخول تجار الفن إلى مجال الإنتاج، وإخضاع الذوق العام، والفكر العام لمبدأ الربح والخسارة، أو الربح السهل السريع في الحقيقة. بدلا من الألم، ليكن العمل في الاتجاه البديل، الجدية والجمال معا، بالإنفاق السخي، دون حرص (مبالغ فيه على الأقل) على الربح، أو الربح السريع. اعتقد انه آن أوان تأسيس «هيئة السينما والتلفزيون» كويتية، أو خليجية، مقرها الكويت، ومجال عملها الوطن العربي، وهدفها إنتاج الأعمال الفنية المتميزة: التسجيلية، والدرامية، والموسيقية.

4- ولعلنا ندرك الآن، باقتناع اكثر، أن العلاقات الثقافية بين الكويت

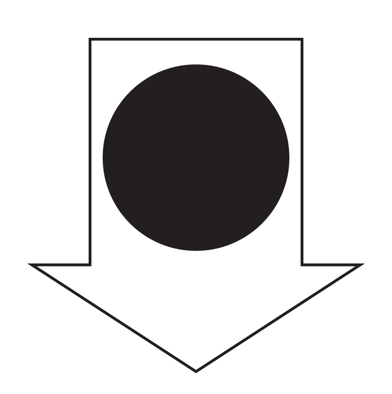
وبعض الأقطار العربية، لا يكفي لاجتناء إيجابياتها وجود ملحق، أو مستشار ثقافي كويتي في كل سفارة، هو مشغول بتعاقدات المدرسين، وبالطلبة الكويتيين. إن «العلاقات» اكثر تشعبا، ولا يمكن إهمالها إلى حين الحاجة إليها، فمثل هذه الأمور تعتمد على التأثير البعيد المدى، المستمر، وعلى الحضور القوى، من خلال الكتب، والصحف، والمحاضرات، والعروض.. إلخ. لهذا سيكون من المهم تماما الاحتفاظ بالمراكز الثقافية التي تكونت على عجل في بعض العواصم الثقافية العربية، وتحوير دورها بحيث تصلح لأداء رسالة مستمرة، وليس خدمة أزمة عارضة وحسب، بل نرى إضافة مراكز أخرى، حتى تصبح شبكة متصلة على مساحة الوطن العربي، الذي عملت الكويت دائما، في مجال الثقافة، وهو موضوع الصون والإجلال، في قرارة ضميرها.

فهرس الوثائق

المؤلف في سطور:

د. محمد حسن عبد الله

* أستاذ النقد الأدبي بجامعة القاهرة (كلية التربية بالفيوم)
* عمل أستاذا بآداب الكويت، منذ إنشاء جامعتها 1966 وحتى عام1987
* له اهتمام خاص بأدب الخليج وثقافته ومسرحه وصحافته. وهذا كتابه العاشر عن الكويت.
* صدرت له في «عالم المعرفة» دراستان من قبل: الحب في التراث العربي-الريف في-الرواية العربية.
* من أهم مؤلفاته: الواقعية في الرواية العربية-الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ-الصورة والبناء الشعري-التراث و رؤية عصرية.
* عضو اتحاد الكتاب (في مصر) وعضو منتسب برابطة الأدباء في الكويت.
* يكتب الرواية والقصة القصيرة والمسرحية.
* من المنصورة، بجمهورية مصر العربية.



النقطة المتحولة:

أربعون عاما

في استكشاف المسرح

تأليف: بيتر بروك

ترجمة: فاروق عبد القادر

هذا الكتاب

ستبقى الوحدة الثقافية العربية الأساس المكين لكل ما يأتي بعدها، وسيبقى معيار العمل الثقافي من زاوية التوجه للأمة المقياس المعتبر الذي يفرق بين الصدق والزيف.

وهذا الكتاب يحاول تقريب الصورة، وتجميع الخيوط، التي رسمتها الكويت، ونسجت بها رداء عربيا صميما، يؤصل الماضي، وينتقى أجمل ما فيه، ويضع «العربي»، و بؤرة حركة العصر ويعده لاستقبال القرن القادم. ليست الكويت أكثر الأقطار العربية ثروة، ولكنها، ندبت نفسها لتحمل رسالة الثقافة، وكانت بجهود أبنائها من العلماء والأدباء وبقدرتها عل اكتشاف ما هو جوهري، وضروري، في مستوى تحمل أعباء الرسالة الثقافية. لقد عملت أجهزة الدولة، كما عملت المؤسسات الشعبية، كما أبدع الأدباء والفنانون، لتحقيق هدف واحد كأنما اتفقوا عليه.. وما كان كذلك إلا لأنه نابع من الضمير العام لهذا الشعب، في تلك البقعة العزيزة من الوطن العربي.